الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة– كلية الآداب والحضارة الإسلامية

الرقم التسلسلي ..... قسم التاريخ

الكنفدراليات القبلية الحدودية ودورها في العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني

– الحنانشة أنموذجا –

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

تخصص العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير

إعداد الطالب : **إشراف الأستاذ الدكتور:**

توفيق بن زردة **علاوة عمارة**

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. احميدة عميراوي	أستاذ التعليم العالي	الأمير عبد القادر	رئيسا
أ.د. علاوة عمارة	أستاذ التعليم العالي	الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا
أ.د. عبد المجيد قدور	أستاذ التعليم العالي	الأمير عبد القادر	عضوا
د. خليفة حماش	أستاذ محاضر	الأمير عبد القادر	عضوا

السنة الجامعية : 1434هـ/2013م– 1435هـ/ 2014م

شكر وعرفان

أتقدم بخالص الشكر وأصدق الثناء إلى الأستاذ المشرف علاوة عمارة على رعايته لي منذ السنة النظرية وحرصه الدائم على صدور هذا العمل في أجمل حلة .

كما أشكر كل طاقم الأساتذة الذين أطروني في السنة النظرية وأخص بالذكر الأستاذ خليفة حماش، الأستاذ أحمد صاري والأستاذ إسماعيل سامعي .

ولا يفوتني أن أثني على كل الموظفين الذين قدموا لي يد العون بمكتبة الشيوخ بجامعة الأمير عبد القادر، ومصلحة أرشيف ولاية قسنطينة والمديرية الجهوية لمسح الأراضي بقسنطينة والأرشيف الوطني التونسي، وصاحب مكتبة ابن عرفة بتونس، وأيضا القائمين على الزاوية العثمانية بطولقة - بسكرة - و سكان خنقة سيدي ناجي بالأوراس.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى روح والدي الكريمين.

وإلى زوجتي الأستاذة التي لطالما كانت سندا وعونا لي.

وإلى بناتي لجين، ابتهال، بلقيس

مختصرات مستعملة

م.و.ج = المكتبة الوطنية الجزائرية

أ.و.ت = الأرشيف الوطني التونسي

م.أ.و.ق = مصلحة أرشيف ولاية قسنطينة

D.R.C.C. = *direction régionale du cadastre. Constantine*

R.A= *Revue Africaine*

R.T = *Revue Tunisienne*

R.S.A.C. = *Recueil des notices et mémoires de la société Archéologique de la province de Constantine*

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقـــــــــــدمة:

وجدت التركيبة الاجتماعية الريفية في كل من الجزائر وتونس خلال الحكم العثماني اهتماما في ساحة البحث العلمي، فبرزت العديد من الدراسات التي اعتنت بهذه التركيبة نذكر منها دراسة ليلى باباس حول أصول وبنية القبائل في الشرق الجزائري[1] ودراسة مبروك الباهي حول بداوة القبائل التونسية[2] ودراسة الأزهر الماجري حول قبائل ماجر والفراشيش بالحدود الغربية لتونس [3] وغيرها من الدراسات التي عالجت المجموعات القبلية ضمن حيزها الجغرافي في إيالة الجزائر أو إيالة تونس .

لقد سجلت أن الظروف التاريخية والجغرافية قد ساعدت بعض هذه المجموعات كي تشكل محورا لصلات ثقافية واقتصادية جمعت بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني، خاصة تلك التي توزعت على الحدود الجزائرية التونسية وبرزت في شكل " كنفدراليات " واسعة النفوذ ومترامية الأطراف نذكر منها : "كنفدرالية النمامشة " و"كنفدرالية نهد " و"كنفدرالية الحنانشة "[4].

وعلى اعتبار أن كنفدرالية الحنانشة الحدودية قد تميزت عن غيرها بتعدد مكونها الاثني وحجمها الجغرافي الذي امتد على أطراف الإيالتين، ووزنها الذي طال حوالي ثلاث قرون (من القرن 10هـ/ 16م -12هـ/18م)وهي الفترة التي تزامنت والوجود العثماني في كل من الجزائر وتونس، كلها عوامل ارتأيت من خلالها و– وبتوجيه من المشرف الأستاذ علاوة عمارة– أن أبني لبحث موسوم بـ

"الكنفدراليات القبلية الحدودية ودورها في العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني – الحنانشة أنموذجا – ".

---

[1]-Leila Babés, *Mythes d'origine et structures tribales dans le Constantinois sous la domination Turque* ,Essai sur le fondement du pouvoir politique, Thèse pour le doctorat troisième cycle, université Aix –Marseille,1984.

[2]–مبروك الباهي، القبيلة في تونس في العهد الحديث (ق16هـ–19م) من بداية بداوة الجمل إلى بداوة الخروف والحوز،السباسب الوسطى مثالا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،صفاقس،2005.

[3]– الأزهر الماجري، قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي)، منشورات كلية الآداب والفنون الإنسانية ، منوبة،2005.

[4]-Louis Rinn, *Le royaume d'Alger sous le dernier dey*, grand Alger livres, Alger, 2005.pp.189-193

يعالج هذا الموضوع الجوانب الاقتصادية والثقافية – دون السياسية – في علاقة الجزائر مع تونس من خلال كنفدرالية الحنانشة الحدودية، وكون الموضوع يتصل بالوسط الريفي الذي له أسسه وضوابطه تختلف كليا عن الوسط الحضري، لذلك سيكون هذا البحث هو نتاجا للتعامل مع مجموعات قبلية بدوية تقوم على آليات التواصل التقليدية القائمة على الحلف والمصاهرة، وشبكة الروابط الدموية ضمن هرمية صارخة تؤكد سلطة أحرار الحنانشة على باقي القبائل ومزاحمين لمؤسسة الباي في إدارة الأحداث على المنطقة الحدودية. كما سيكون هذا البحث بعيدا عن الوسط المديني الذي استأثر في بعض الدراسات المتأخرة بكونه أساسا لكل صلات ثقافية واقتصادية[1] .

هذا ويظهر أن الحنانشة قد استهوت بعض الباحثين والمهتمين بدوافع متباينة وبمستويات مختلفة وتراوحت هذه الدراسات بين مؤلفات ورسائل جامعية، وسأحاول في هذا العرض تقديمها بحسب تاريخ صدورها:

1– شال فيرو، الأحرار أسياد الحنانشة *(les Harar seigneurs des Hanencha)* [2]

كان ضابط ومترجم الجيش الفرنسي شارل فيرو (Charles Féraud) ضمن أعضاء لجنة السيناتيس كونسلت (Sénatus Cosulte) التي تأسست بموجب قرار الحاكم العام الصادر بتاريخ 28 مارس 1865م برئاسة الجنرال " فيدارب " (Faidherbe) والموفدة إلى قبيلة الحنانشة[3]، واستغل فيرو هذه العضوية لينقب عن تاريخ الحنانشة حيث صدر عمله في شكل أربع مقالات غـزيرة المحتـوى

---

[1]– يرجى الرجوع مثلا إلى :

– محمد علي الحناشي، الحياة الدينية والعلمية بمدينة الكاف خلال القرنين 18 و 19 ميلادي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ جامعة تونس، 2004-2005.

–صرهودة يوسفي، معاملات ومبادلات اقتصادية في قسنطينة أواخر العهد العثماني، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة– ،2004–2005م.

[2]- L.Ch . Féraud, .,« *les Harar seigneurs des Hanencha* » ,R.A ,18,(1874),pp.22-32 ,119-123,127-149,196-236,281-294.

[3]- صدر قانون السيناتيس كونسلت (Sénatus Consulte) بتاريخ 22 أفريل 1863م في عهد نابليون الثالث الذي كان يسعى لتكوين مملكة عربية بالجزائر، كما اهتم القانون بتدوين تاريخ القبائل وللمزيد من التفاصيل حول القانون يرجى الرجوع إلى:

-Annie Rey Golzeigeur, *Le royaume Arabe,* ENAG ,Alger 2010.

نشرت بالمجلة الإفريقية (Revue Africaine) في عددها الـ 18الصادر سنة1874م تحت عنوان "الأحرار أسياد الحنانشة " (les Harar seigneurs des Hanencha).

يعد فيرو (Féraud) وحسب اطلاعي أول من تناول تاريخ الحنانشة بشكل مفصل فرصدها من أصولها إلى غاية وقوعها تحت الاحتلال الفرنسي، وجاء عمله هذا ثريا من حيث المعلومات التي سلطت الضوء على الأدوار المحورية التي لعبها أحرار الحنانشة في المنطقة الحدودية التي كانت تحت نفوذهم لذلك وحسب اعتقادي فلا يمكن لأي باحث في تاريخ الحنانشة أن يستغني عن هذا العمل في بعض جوانبه.

في المقابل يؤخذ على فيرو اعتماده الملفت على الروايات الشفوية التي التقطها من مسني الحنانشة في ذلك العهد، الأمر الذي جعله ينساق في الكثير من الوقائع في سرد أحداث أسطورية.

2- أندري نوشي، تحقيق حول المستوى المعيشي لسكان الريف القسنطيني من الاحتلال إلى سنة1919م *(Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en 1919)* [1]

الكتاب في أصله رسالة دكتوراه ناقشها صاحبها عام 1961م الذي شغل منصب محافظ الأرشيف الوطني الجزائري في بداية الستينات، حيث حاول تسليط الضوء على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية التي أصبح يعيش في كنفها سكان الريف بشرق الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي مستغلا كم هائل من التقارير التي تمت صياغتها في الفترة التي أخذها حيزا لدراسته، حيث برزت في لغة أرقام وإحصائيات مدعمة بخرائط وأشكال بيانية.

والواقع أن جهد نوشي يساعد على بناء صورة قريبة من واقع المجتمع في الفترة العثمانية المتأخرة خاصة وأن الباحث مهد عمله بعرض جوانب اقتصادية في العهد العثماني.هذا واهتم نوشي بالحنانشة وعالجها في أكثر من محطة كحيز جغرافي في قطاع الريف القسنطيني، كما أورد حولها إحصائيات عديدة. لكن يبقى هذا الجهد وعلى أهميته يغطي فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر.

---

[1]- André Noushi, *Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en 1919* ,Essai d'histoire économique et sociale ,PUF/C.N.R.S ,Paris 1961.

3- عبد الجليل التميمي، بايلك قسنطينة والحاج أحمد باي

(Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey) [1]

كتابات عبد الجليل التميمي وإصداراته ثرية لكل مهتم بالتاريخ العثمانيّ. في هذا الكتاب اعتمد فيه صاحبه على كم هائل من الوثائق الموجودة في مختلف الأرشيفات العالمية، كي يؤرخ لبايلك الشرق على عهد آخر بايات قسنطينة وهو الحاج أحمد باي، فحدد من خلاله خريطة النفوذ التي تتقاسمها القبائل بالشرق، فجاءت الحنانشة كواحدة من القبائل التي تتقاسم النفوذ في القسم الممتد من مدينة قسنطينة إلى الحدود التونسية، ولم يخلو العمل من تحديد شبكة العلاقات التي جمعت الباي بمختلف القبائل من ضمنها الحنانشة التي ربطته بها علاقات وثيقة على عهد شيخها " الرزقي " الذي آزره في الحملة الفرنسية الثانية على قسنطينة عام1837م،كما نشر المؤلف ختم شيخ الحنانشة ضمن العريضة التي أرسل بها أحمد باي بمعية شيوخ وقواد بايلك الشرق إلى البرلمان البريطاني عام 1834م. هذا وكما يبدو من العنوان ويرتسم في المحتوى فهذا العمل بقي إطاره الجغرافي ينحصر ضمن بايلك الشرق كما طغت عليه الأحداث السياسية، رغم بروز الوضع الاقتصادي في بعض جوانبه.

4- العربي الحناشي، الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس من 1640-1740م[2]

هو ثاني عمل حسب اطلاعي يتناول الحنانشة بشكل مباشر بعد المقال الموسع الذي نشره شارل فيرو. صدر هذا العمل في إطار تحضير المؤلف لشهادة الكفاءة في البحث بجامعة تونس الأولى في السنة الدراسية 1987-1988م. وهو جهد يبرز العلاقات السياسية التي جمعت بين الحنانشة والأسرة المرادية ثم الأسرة الحسينية اللتين حكمتا بتونس.

جاء العمل ثريا من حيث المعلومات التي كشف من خلالها العربي الحناشي عن دور الحنانشة في تحريك وقائع الأحداث السياسية بتونس، حيث أصبحت طرفا فاعلا في معادلة تولي منصب باي تونس الأمر الذي فتح لها – حسب الباحث– بابين الأول هو انخراطها في حروب طويلة لوزنها العسكـــري

---

[1]- Abeldjelil Temimi , *Le beylik de Constantine et Hadj Ahmed bey (1830-1837)* , publications de la Revue d'Histoire Maghrébine, Tunis, 1978. vol.1.

[2]-العربي الحناشي، الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس من 1640-1740م،شهادة الكفاءة في البحث ،جامعة تونس الأولى،1987-1988.

لنصرة طرف على آخر، أما الثاني هو مصاهرات بايات تونس لشيوخها مما ترتب عنه تولي بايات متقدمين أخوالهم الحنانشة، مثل مراد باي الثالث (1699-1702م).ويسجل هذا البحث ضمن التاريخ السياسي للحنانشة، التي رغم تأكيد الباحث على وزنها ضمن حدود تونس الغربية إلا أنه تناولها كقبيلة دون كنفدرالية .

5-جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ إلى 13هـ (16 - 19م)[1]

الدراسة عبارة عن رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي والسياسي نوقشت بجامعة قسنطينة في السنة الدراسية 1990-1991م، تناولت فيها الباحثة الحنانشة كواحدة من الأسر النافذة ببايلك الشرق إلى جانب أسر بوعكاز الذواودة، والمقراني، وبني جلاب، وابن قانة.

تتبعت جميلة معاشي الحنانشة لفترة دامت ثلاثة قرون من الزمن (10هـ /16م- 13هـ/ 19م) من أصولها إلى عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر تنقلت خلالها عبر محطات عالجت فيها موقف الحنانشة من دخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة، الذي اعتبرته موقفا ايجابيا رغم احتفاظ الحنانشة باستقلاليتها عن مركز القرار ومشاركتها في إدارة المجال الذي هو تحت نفوذها إداريا واقتصاديا كما توقفت عند المصاهرات التي جمعت بين بايات تونس والحنانشة باعتبارها قوى على أطراف تونس الغربية كما خاضت في الصراعات التي برزت حول مشيخة الحنانشة التي انقسمت إلى فرعين متنافسين لتنتهي في الأخير بالحديث عن ملابسات تراجع نفوذ هذه الأسرة ودور السلطة المركزية في ذلك.

يبقى هذا البحث وعلى أهميته دراسة اجتماعية سياسية تناولت الحنانشة ضمن حيز جغرافي لم يخرج عن إطاره الجغرافي بايلك الشرق أما مع تونس فركزت على عنصر المصاهرات والجوانب السياسية.

[1]- جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق من القرن 10هـ إلى 13هـ (16 - 19م)، دراسة اجتماعية سياسية، مذكرة ماجستير في التاريخ ،جامعة قسنطينة 1990-1991م.

6- احميدة عميراوي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي[1]

صدر هذا الكتاب سنة 2002م وخاض فيه المؤلف في مسألة العلاقات الجزائرية التونسية من خلال بايلك الشرق الذي توزعت عبره قبائل حدودية دخلت بحكم موقعها في علاقات مع ما يجاورها من قبائل في الطرف التونسي مثل المصاهرات، وقد نالت الحنانشة نصيبا ضمن هذه القبائل كونها قوى مؤثرة في الأحداث السياسية على طول الحدود خلال القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي. وتبقى مسألة الظرف الزمني وهو الفترة الأخيرة من الحكم العثماني هو ما طبع هذا العمل، ومع ذلك فقد شكل بالنسبة لي أرضية ملائمة في بناء موضوعي خاصة وأنه استند على مادة أرشيفية هامة.

7-سهيلة علوش، حصن الباستيون الفرنسي والسلطات المحلية في الجزائر العثمانية[2]

هي مذكرة قدمتها صاحبتها لنيل درجة الماجستير في السنة الدراسية 2005-2006م، وقد بنت موضوعها على مجموعة الوثائق رقم 1641 الموجودة على مستوى المكتبة الوطنية الجزائرية، وهي مجموعة مراسلات تمت بين وكيل الباستيون الموجود ضواحي القالة وبايات قسنطينة والقبائل المجاورة له.

اهتمت الباحثة بالعلاقات الإدارية والاقتصادية وحتى الاجتماعية التي جمعت بين القائمين على الحصن والقبائل القريبة منهم، ففي الجانب الاقتصادي غطت حيز جغرافي كان ضمن نفوذ الحنانشة ونشطت عبره الحركة التجارية من خلال تعامل القبائل الجزائرية مع الباستيون، لكن البحث وعلى أهميته وردت الحنانشة عبره غي شكل نتوف وإشارات .

[1]- احميدة عميراوي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي دار البعث، قسنطينة ، 2002.

[2]- سهيلة علوش، حصن الباستيون الفرنسي والسلطات المحلية في الجزائر العثمانية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة – 2005-2006

8-صالح علواني، القبائل والمرابطون.عرب وولايا داخل افريقية بين القرنين 06هـ/12م-12هـ/18م

(Tribus et Marabouts. A'rab et walàya dans l'intérieur de entre le 6e/12e et le 12e/18e,)[1]

الكتاب زودني به الأستاذ علاوة عمارة وهو في أصله رسالة دكتوراه ناقشها صاحبها في جامعة تولوز الثانية بفرنسا سنة 2006م تعرض فيه لحركة التصوف التي انتشرت بالبلاد الخلفية لإفريقيا خلال ستة قرون من الزمن. فتحدث عن الطريقة الشابية وزاوية فريانة التي أسسها أحمد التليلي في الفترة الحديثة وجاء حديثه عن الحنانشة ككنفدرالية ضمن الفضاء الذي خصصه لدراسته والذي كان مفتوح على أقاليم جزائرية تونسية في آن واحد وهذا ما جعل الدراسة تقدم لي صورة عن الخلفية التاريخية لعلاقات الجزائر مع تونس في الشق الثقافي.

لكن مع فسحة علواني في الجوانب الثقافية إلا أنه جعل دائما من القيروان والساحل التونسي هما مصدر الأنشطة الصوفية، فوجدناه أهمل الحديث عن خنقة سيدي ناجي التي كانت منارة ومحجا لطلاب العلم في الفترة الحديثة، في المقابل سجلت أنه ركز على زاوية فريانة التي تأثرت عمرانا وتصوفا بخنقة سيدي ناجي .

9- عبد الحميد هنية، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال[2]

الكتاب صدر حديثا سنة 2012م، ورغم أن صاحبه خاض في فترة طويلة شملت كامل تونس العثمانية والمعلومات التي وردت فيه متداولة في أكثر من كتاب، إلا أن ما طبعه هو التحليل المتميز للأحداث الذي فككها وأعاد تركيبها وفق رأى متجددة تعطي للقارئ نكهة خاصة، ومما استعرضه هو المراحل التي اجتازتها تونس في رسم معالم مجالها الذي كانت الحنانشة تتقاسم جزء منه على حدودها الغربية. ويبقى الحيز الجغرافي لهذا العمل المتميز هو تونس دون محيطها الخارجي .

---

[1]- Salah Alouani , *Tribus et Marabouts.A'rab et walàya dans l'intérieur de l'Ifriqiya entre le 6e/12e et le 12e/18e*,Academic Fernica, Finlande,2010.

[2]-عبد الحميد هنية، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال، منشورات تبر الزمان، تونس،2012 .

هذه إذا بعض القراءات لما تسنى لي من دراسات سالفة أتت على موضوع الحنانشة بشكل مباشر أو غير مباشر .

قد يبدو من الوهلة الأولى أن العلاقات الثقافية والاقتصادية بين الجزائر وتونس خلال حكم العثمانيين ستكون من خلال القنوات الرسمية خصوصا في ظل بروز ملامح الدولة الحديثة التي تستند إلى سلطة مركزية وحدود جغرافية متعارف عليها، لكن لا العلاقات الثقافية ولا الاقتصادية كانت ضمن أولويات الحكام حسب بعض الدراسات[1] .

ولا شك أن هذا الدور الذي تخلت عنه السلطة ستتولاه الرعية. لذلك سأسعى من خلال هذا البحث أن أرسم شبكة العلاقات الثقافية والاقتصادية التي تمكنت كنفدرالية الحنانشة من نسجها عبر ما توفر لديها من تنوع إثني ومكون قبلي توزع بين إيالتي الجزائر وتونس، وعمق جغرافي امتد على طول الحدود تداخلت فيه مختلف المصالح والروابط، وبالتالي بلورة تصور عن دور هذه الفئة من المجتمع في تفعيل الحراك الاقتصادي القائم على الحدود، وحجم تفاعلها مع ما يستجد من أفكار وقيم وحركات زهدية وصوفية ؟

وإذا كان الموضوع يصنف ضمن التاريخ الثقافي والاقتصادي للجزائر وتونس، فإنه يهتم في جانب منه بتاريخ الريف والمجموعات القبلية المشكلة له مرتكزا الموضوع على إشكال محوري: هو مدى قدرة الكنفدراليات الحدودية في مد جسور التواصل الثقافي والاقتصادي بين الجزائر وتونس خاصة إذا علمنا أن مشروع المركزة في البلدين بدأ يستدرج إليه المجموعات القبلية مما قد يفقدها تفاعلها مع محيطها الخارجي؟ وإذا كانت كنفدرالية الحنانشة قد حافظت على تواجدها ووزنها قرابة ثلاث قرون رغم مشروع المركزة الذي كان يتهددها من الطرفين، فما هي العوامل الجغرافية والتاريخية التي توفرت في هذه الكنفدرالية حتى تبقى مقاومة لمشروع المركزة وتحافظ على تواجدها ؟

---

[1]- يرجى الرجوع إلى :

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16- 20)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م ،ج1 ، ص ص ، 45-49

- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، في الفترة مابين 1792م – 1830م، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984،ص, 151

إن مشيختها التي كانت تضاهي من حيث الوزن والمكانة باي قسنطينة، هل استطاعت هذه المشيخة أن تتعايش وتتفاعل مع الأحداث التي تعاقبت عليها خاصة وأنها انشطرت في النصف الأول من القرن السابع عشر ميلادي إلى فرعين متنافسين ؟ وهل كان لها قبل الانقسام وبعده يد في رسم معالم العلاقات الثقافية والاقتصادية ضمن محيطها الذي تقاسمته الجزائر غربا وتونس شرقا ؟

سيغطي البحث فترة زمنية تقارب الثلاث قرون من الزمن (10هـ/16م – 12هـ/18م) وهي المدة التي برزت فيها الحنانشة بحجمها الكنفدرالي قبل أن تتراجع مع نهاية القرن الثامن عشر ميلادي وتتفكك لتبقى في شكل قبيلة عاشت بسوق اهراس[1]، أما الحيز المكاني فيشكله المجال الجغرافي الذي عاشت عبره الكنفدرالية وهو مجال متحرك وأحيانا يزيد وأخرى يتقلص لكنه حافظ على خصوصيته ضمن طرفي الإيالتين .

المنهـــــــج :

للخروج من دائرة الروايات الشفوية التي اعتمد عليها شارل فيرو بشكل كبير في تعاطيه مع تاريخ الحنانشة– وانساق وراءه أكثر من باحث– وتمييزا بين الواقع والأسطوري حاولت العودة إلى ما توفر من وثائق في دور الأرشيف الجزائرية والتونسية حول الحنانشة وكانت الدفاتر الإدارية والجبائية واحدة من أولوياتي التي تمكنت من الاطلاع على بعضها بالأرشيف الوطني التونسي[2] إضافة إلى مجموعة كبيرة من المراسلات تمت بين أطراف الإيالتين وعلى مستويات مختلفة، عثرت على أغلبها بالأرشيف التونسي ضمن ملف كامل والبعض الآخر بالمكتبة الوطنية الجزائرية ومصلحة أرشيف ولاية قسنطينة، وأتممت ذلك بمعطيات النصوص الأدبية بأقسامها الإخبارية والوصفية والمنقبية وتقارير القيادات العسكرية في بداية الاحتلال الفرنسي، ودعمت كل ذلك بزيارات ميدانية قادتني إلى أكثر من نقطة ضمن ما كان يعرف بمجال الحنانشة في البلدين الجزائر وتونس ففي الجزائر زرت على سبيل المثال ضواحي كل من سوق اهراس، عنابة، قالمة، وحصن الباستيون بالقالة وعين الفزقية بعين مليلة وشعبة الحنانشة بعين عبيد

[1]-Procés- Verbaux du Sénatus Consulte, Tribu Hannencha, 138 (25 mars 1868), D.R.C.C

[2]– عدد الدفاتر الإدارية والجبائية الموجودة بالأرشيف الوطني التونسي سجلت رقم 4065 دفتر، لمزيد من التفاصيل حولها يرجى الرجوع إلى:

المنصف الفخاخ، موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي، منشورات الأرشيف الوطني التونسي،تونس،1990

ضواحي قسنطينة، وخنقة سيدي ناجي بالأوراس والزاوية العثمانية بطولقة، أما تونس فزرت طبرقة والكاف والمحيط الذي على الحدود الجزائرية.

تقديم مكان الدراسة :

أولا/ الوثائق الغير منشورة

01- رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية

- **المجموعة رقم** 1641

تضم هذه المجموعة 130 رسالة أغلبها من بايات قسنطينة وبعض شيوخ القبائل موجهة إلى وكيل الباستيون الفرنسي بضواحي القالة، وهي تؤرخ لحراك القبائل الاقتصادي خاصة تلك التي تستقر بضواحي الباستيون من بينها الحنانشة والرسائل تغطي الفترة مابين 1132هـ/1719م-1198هـ/ 1783م، هذا وانتقيت من هذه المجموعة الوثائق رقم :

130.128.109.87.79.72.71.45.44.36.32.18.06

- **المجموعة رقم** 1642

تضم 30 رسالة وجهها محمد باي وأحمد باي قسنطينة إلى حسين باشا الجزائر وكل رسالة تحوي نتوف من العلاقات الاقتصادية التي كانت تجمع بين قبائل الشرق الجزائري والسلطة المركزية بقسنطينة من جهة وبقبائل حدودية تونسية من جهة أخرى، وهي تغطي الفترة مابين 1232هـ/1816م-1245هـ/1830م. انتقيت من هذه المجموعة الوثائق رقم:29.26.25.23.19.18.15

02- رصيد مصلحة أرشيف ولاية قسنطينة :

ما عثرت عليه بهذه المصلحة هو عبارة عن نسخ لوثائق صورها عبد الكريم بجاجة بالأرشيف الوطني التونسي لما كان على رأس هذه المصلحة، والوثائق عبارة عن مراسلات تمت بين السلطتين في الجزائر وتونس و بين السلطة الواحدة وقبائل حدودية، وهي تصور النشاط الاقتصادي القائم على الحدود

هذا ومنح القائمون على الأرشيف هذه الوثائق أرقام خاصة تختلف عن تلك الموجودة بالأرشيف التونسي. وانتقيت منها :

- رقم38: مكتوب من أحمد باي للسيد حسين باشا يعلمه بتوجيه إبل وبقر وأغنام لبيعها بتونس، بتاريخ 1237هـ/ 1821م.
- رقم 113: مكتوب من محمد باي إلى السيد حسين باشا باي حول إغارة قبيلة الهمامة التونسية على دوارين بتبسة .بتاريخ 1241هـ/1825م.
- رقم 114: مكتوب من الحاج أحمد باي إلى السيد حسين باشا في شأن نزاع وقع بين رعايا جزائريين من بينهم الحنانشة ورعايا تونسيين على الحدود.بتاريخ 22 رمضان 1242هـ/20 مارس 1827م.
- رقم 117: مكتوب من الحاج أحمد باي للقايد سليمان والمشايخ في شأن رعايا جزائريين فارين من تونس .بتاريخ ربيع الأول 1243هـ/1827م.

03 – رصيد الأرشيف الوطني التونسي

أ-السجلات الإدارية والدفاتر الجبائية :

الدفتر رقم 01:

يحتوي على مستخلصات السلطة التونسية من الضرائب على مختلف أنواعها من السكان منهم الحنانشة، والدفتر يغطي الفترة مابين 1087هـ/ مارس 1676م إلى محرم 1092هـ/ جانفي 1681م.

الدفتر رقم 1769:

بيان ببيع بقر وغنم في شكل مرتب للجيش وجل هذه الماشية من التي أتى بها علي فريكح مبعوث الجزائر والدفتر به معلومات هامة عن العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين تونس والجزائر، وهو يغطي الفترة مابين 1181هـ/ 1767م إلى 1182هـ/ 1769م.

الدفتر رقم 2070:

بيان بمداخيل ومصاريف الوكلاء على أملاك الباي (أراض وزياتين وبقر وقمح وخيل وغيرها)، تاريخ بداية التسجيل في الدفتر 1187هـ/ 1773م ويتواصل إلى سنة 1196هـ/ 1782م. مداخيل لزمة

غابة تونس. مداخيل سبع نواعر وقد أحصيت الحنانشة ضمن هذه المداخيل وهي تغطي الفترة الممتدة مابين 1188هـ/ 1774م إلى 1192هـ/ 1779م.

الدفتر رقم 2144:

يحتوي على الإحسان (صداقات وهدايا) الذي وزعه باي تونس على مختلف القبائل والبلدان والزوايا، منها زاوية الشابية، وقلعة سنان، والقبائل المنضوية تحت كنفدرالية الحنانشة، وشيوخ الحنانشة بفرعيهما نصر ومنصر، حيث وردت في الدفتر 16 صفحة من أصل 486 صفحة تخص الحنانشة وحدهم والدفتر ساعدني على معرفة أسماء مجموعات الحنانشة وقوائم طويلة بخدم وحاشية شيوخ الكنفدرالية، فضلا على أن الدفتر زودني بمعلومات عن طبيعة العلاقة التي كانت تجمع بايات تونس بمجموعات الحنانشة من خلال التدفقات المالية التي كانت تصلهم تباعا من الخزينة التونسية والتي جاءت في شكل إحسانات، والدفتر يغطي الفترة مابين 1170هـ/1756م إلى سنة 1192هـ/ 1779م.

الدفتر رقم 2145:

بيان لما احتوت عليه دفاتر بيت خزندار من الإحسان والصداقات " العوائد" لفائدة سكان سائر أماكن البلاد التونسية والهدايا الموجهة إلى بلدان أجنبية أهمها الجزائر وطرابلس والشام وقد ورد في الدفتر هدايا قدمت للحنانشة من قبل باي تونس.الدفتر يغطي الفترة مابين 1191هـ/ 1771م إلى سنة 1197هـ/1784م.

ب-ملف العلاقات التونسية الجزائرية تحت رقم : H.223.384.01

الملف يحتوي المئات من الرسائل التي تبادلها بايات تونس مع أطراف مختلفة: وهم بايات قسنطينة ودايات الجزائر ومختلف القبائل التي عاشت على حدود البلدين، إضافة إلى رسائل تبادلها بايات قسنطينة مع وكلائهم بتونس، وأغلب هذه الرسائل تتناول العلاقات الاقتصادية التي كانت قائمة بين الإيالتين، والرسائل تغطي النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ميلادي,هذا وانتقيت من الملف أربعين رسالة .

04- رصيد المديرية الجهوية لمسح الأراضي – قسنطينة –

قصد الاطلاع على الخصائص المورفولوجية والهيدروغرافية والثروة الغابية والنباتية لكنفدرالية الحنانشة كان علي العودة إلى محاضر السيناتيس كونسلت (Sénatus Consulte) التي دونت بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر بموجب صدور القانون بتاريخ 22 أفريل 1863م. والتي هي محفوظة اليوم على مستوى هذه المديرية. وكون الكنفدرالية تفككت بين القبائل كان عليا الاطلاع على الكثير من محاضر تلك القبائل لبناء معلومات متكاملة، وقد بلغ عدد تلك المحاضر التي تسنى لي الاطلاع عليها اثنا عشر محضرا خصت القبائل التالية :

- قبيلة الحنانشة رقم 138
- قبيلة أولاد خيار رقم 220
- قبيلة ويلان رقم 179
- قبيلة أولاد سيدي يحي بن طالب رقم 238
- قبيلة أولاد ضحية رقم 208
- قبيلة الشيابنة رقم 107
- قبيلة أولاد سيدي عبيد رقم 237
- قبيلة بحيرة طويلة رقم 23
- قبيلة زناتية رقم 176
- قبيلة سوراخ رقم 264
- قبيلة لخضر عواوشة رقم 150
- قبيلة أولاد علي عشيشة رقم 186

ثانيا/ الوثائــق المطبـوعــة

– معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619- 1830م، نشرها قنان جمال اعتمدت عليها في تتبع نشاط الباستيون.

–كراسات الأرشيف، وثائق من القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي، صدرت عن الأرشيف الوطني التونسي الذي نشر عدة وثائق مثل وثيقتي الحدود البرية والبحرية بين الجزائر وتونس.

- " التشريفات " التي ترجمها ألبير دوفو (Albert Devoulx)، وهي في أصلها مخطوط يؤرخ للجانب الإداري في عهد العثماني بالجزائر. كما وردت فيه أنشطة اقتصادية .

- " مراسلات دايات الجزائر مع البلاط الفرنسي 1579- 1833" (Correspondances Des deys d'Alger avec la cour de France 1579 -1833) ترجمها للفرنسية " أوجين بلونتي " (Eugéne Plantet) وهي تصور العلاقات الاقتصادية القائمة بين الجزائر وفرنسا.

- " معاهدات فرنسا مع بلدان شمال افريقيا,الجزائر، تونس، طرابلس، المغرب

(Traités de la France avec les pays de l'Afrique du Nord, Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc.

التي نشرها " دوكار غوار " (De Card Rouard) وهذه المعاهدات بدورها لا تختلف عن المراسلات السالفة .

ثالثا/ النصوص المطبوعة

اعتمدت على عدد معتبر من النصوص المطبوعة أهمها تلك التي عايش أصحابها كنفدرالية الحنانشة على فترات نذكر منها :

-" منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية " لصاحبه عبد الكريم الفقون المتوفي عام 1073هـ/ 1662م، وهو مصدر مهم وردت فيه المراسلات التي كانت بين المؤلف وعلماء تونس مثل تاج العارفين، كما وردت فيه أحداث كثيرة مثل اتفاقية الحدود بين الجزائر وتونس والمجاعات التي ضربت الأوراس.

- " وصف افريقيا " لصاحبه الحسن الوزان المعروف بليون الافريقي المتوفى عام 957هـ/ 1550م.تعرفت من خلاله على جغرافيا مجال الحنانشة مثل واد مجردة ومدينة تيفاش وقرى أخر داخل نفوذ الكنفدرالية.

- " المؤنس في أخبار افريقيا وتونس " لمؤلفه ابن مدينة القيروان " ابن أبي دينار " أو القيرواني المتوفى عام 1091هـ/ 1698م، والكتاب ساعدني في تغطية المرحلة الأولى من الحكم العثماني، فتحدث عن

بعض شيوخ الحنانشة وعلاقتهم بتونس وقتها أما الطريقة الشابية التي كان متحاملا عليها فوردت في شكل نتوف وإشارات .

-"تاريخ العدواني " لصاحبه محمد العدواني المتوفي في النصف الثاني من القرن الـ 11هـ/ 17م وهو يعد من أهم المصادر التي أرخت للطريقة الشابية .

-" الحلل السندسية في الأخبار التونسية " للوزير السراج الأندلسي المتوفي عام 1149هـ/ 1737م الذي كان مقربا من دائرة الحكم بتونس خاصة حسين بن علي مؤسس الأسرة الحسينية.

-" إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان" لصاحبه ابن أبي ضياف المتوفي عام 1291هـ/1874م، كان بدوره مقربا من بايات تونس متقلدا عدة مناصب جعلته يعايش الكثير من الأحداث التي اتصلت بالحنانشة .

-" الكتاب الباشي" لمؤلفه حمودة بن عبد العزيز المتوفي عام 1202هـ/ 1788م والذي اهتم فيه بسيرة مخدومه علي باي بن حسين بن علي .

-كتب الرحلة: كان اهتمامي منصبا بالرحالة الذين تنقلوا بين الجزائر وتونس مجتازين الحنانشة وأهمهم بايصونال ودي فونتان (Peyssonnel et Desfontaine) المعروفة بـ " رحلة في إيالة الجزائر وتونس " (Voyages dans la régence de Tunis et Alger) ورحلة طوماس شو(Timas Shaw)" رحلة في إيالة الجزائر (Voyages dans la régence d'Alger) ورحلة عالم النبات الألماني هابنسترايت.ج.أو, إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/ 1732م)، ورحلة الورتلاني المتوفي سنة 1193هـ/ 1779م المعروفة بـ " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار " .

صعوبات البحث

إن الاعتماد على هذا الكم من النصوص والوثائق لم يمنع من وجود صعوبات واجهتني أهمها نقص المادة الخاصة بكل فترات تاريخ الحنانشة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

كنفدرالية الحنانشة الحدودية:
المجال والنشأة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

01.الكنفدرالية :دراسة في المجال والمسالك

1.1. الموقـــــع

عاشت الاتحادات القبلية المشكلة لكنفدرالية الحنانشة على الحدود الجزائرية التونسية، هذه الحدود التي برزت معالمها بشكل واضح وجلي بعد الاتفاقيتين اللتين أبرمتا بين الجزائر وتونس الأولى سنة 1023هـ/ 1614م والثانية سنة 1037هـ/ 1628م، حيث أفضت الاتفاقيتان إلى ضبط الفضاء الجغرافي والقاعدة البشرية التي تمارس عليها كل إيالة سلطتها[1] .

وباتت كنفدرالية الحنانشة أمام هذا الوضع يتقاسم امتدادها أراضي تحسب على إيالة الجزائر وأخرى تحسب على إيالة تونس، فما كان من غرب وادي سيراط [2] الذي يقع في عمق الكنفدرالية فهو لإيالة الجزائر وما كان من شرقه فهو لإيالة تونس[3]. وينقل لنا الرحالة الانجليزي طوماس شو (Thomas Shaw) في النصف الأول من القرن الـ 18 م صورة عن موقع الكنفدرالية التي كانت من ضم محطات رحلته فيذكر أنها تمتد شمالا إلى وادي الحميز وجنوبا إلى وادي مسكانة ضواحي تبسة [4] وعلى امتداد أربعة فراسخ [5]غربي وادي صيراط [6] .

لكن هل كان موقعها ثابت بحكم تركيبتها القبلية ووقوعها بين سلطة البلدين ؟ الواقع أن كل القرائن التاريخية التي نقلت إلينا عبر كتب الرحلة، وفي فترات زمنية متباينة كلها أكدت على احتفاظ الحنانشة بموقعها الحدودي بين الجزائر وتونس، مع تسجيل فارق في امتدادها الذي يزيد ويتقلص .

---

[1]– حول اتفاقيتي الحدود بين الجزائر وتونس لنا في الفصول الآتية تفصيل حول ذلك .

[2]– عند عرضي لهيدروغرافيا الكنفدرالية سيأتي حديثي عن وادي صيراط بشيئ من التفصيل .

[3]-الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1985،ج.2ص 361.

[4]-Thomas Shaw, *Voyage dans la régence d'Alger au 18^e siècle* .Traduit de l'anglais par E.Mac Carthy.1830 , grand Alger livres. Alger.2006.p.180

[5]– الفرسخ يساوي 4.8 كلم، ويساوي في المقابل 03 ميل

[6]-*Ibid.*,182.

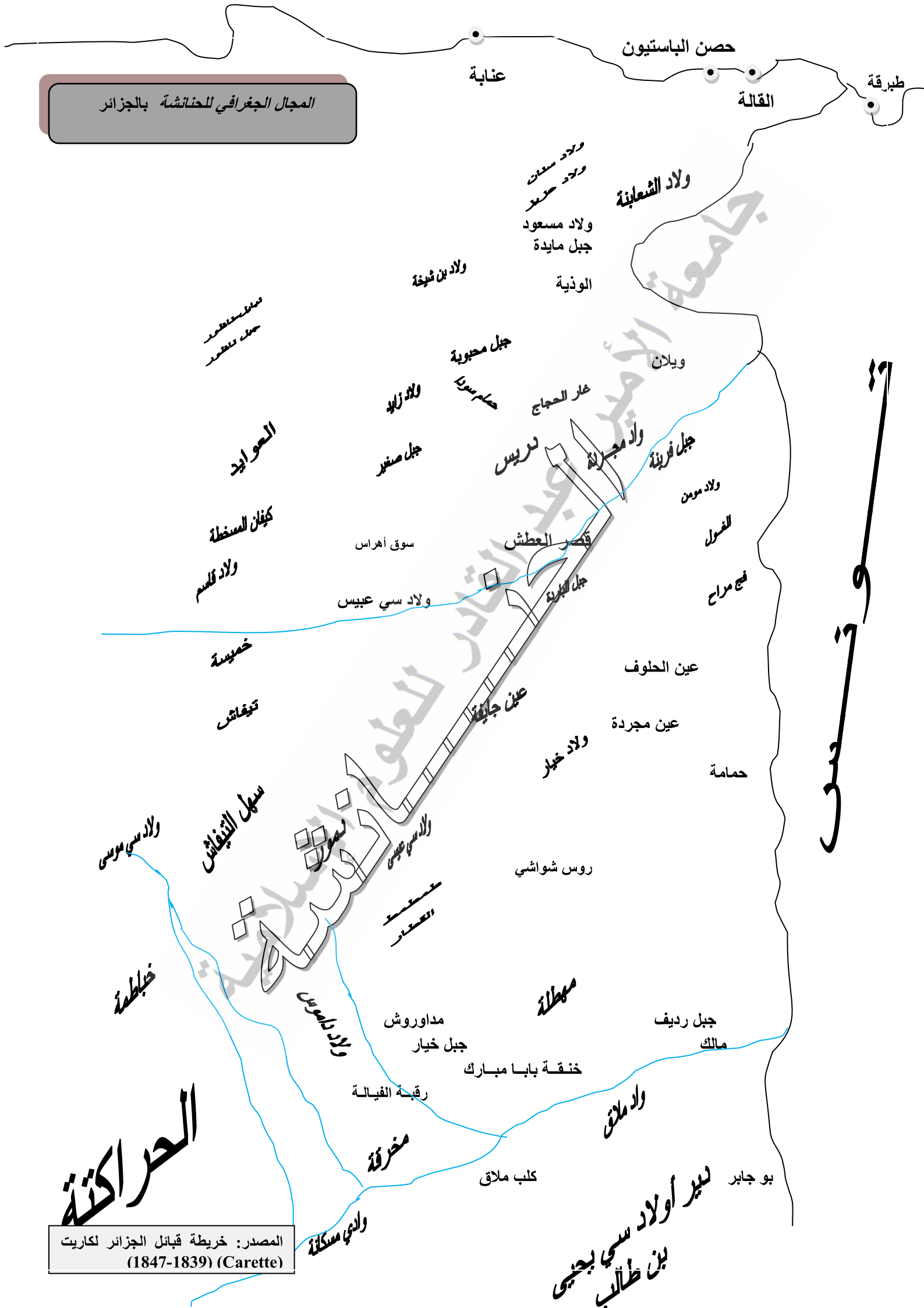
المجال الجغرافي للحنانشة بالجزائر
حصن الباستيون
عنابة
القالة
طبرقة
ولاد الشعابنة
ولاد مسعود
جبل مايدة
الوذية
ولاد بن شيخة
ويلان
جبل محبوبة
غار الحجاج
دريس
واد مجانة
جبل فرينة
ولاد مومن
الفسول
فج مراح
العوايد
جبل صغير
ولاد زايد
كيفان المسخطة
ولاد قاسم
سوق أهراس
قصر العطش
جبل البابرة
ولاد سي عبيس
خميسة
تيقاش
عين الحلوف
عين جابية
عين مجردة
ولاد خير
حمامة
سهل التيفاش
ولاد سي موسى
ولاد سي عيسى
روس شواشي
خباطة
مهطلة
مداوروش
جبل خيار
جبل رديف
مالك
خنقة بابا مبارك
رقبة الفيالة
واد ملاق
مخرقة
كلب ملاق
بو جابر
الحراكتة
وادي مسكانة
المصدر: خريطة قبائل الجزائر لكاريت (1847-1839) (Carette)

2.1.مورفولوجية المجال

يتميز إقليم الحنانشة في قسمه الشمالي بانتشار الجبال التي تمتد تقريبا في شكل مواز للبحر تخترقها أودية صغيرة وتغطيها الأحراش، ويعد جبل مسيد (الغرة) أهم جبال هذا القسم حيث يشكل النقطة الأكثر ارتفاعا على حدود القالة، أين يبلغ ارتفاعه 1410متر، وتنتشر خاصرة الجبل في جميع النقاط انطلاقا من بني مازن ويمتد إلى الشرق في إقليمي شتاتة والشيايعة التونسيتين ونحو الشمال الغربي في إقليم قبيلة الشيابنة الجزائرية، وهو قسم كثير الأشجار.كما تنتشر على الحدود الجزائرية التونسية في هذا القسم الكثير من الجبال أهمها جبل فرينة وجبل غزوات وجبل قليل وجبل الشقة وجبل الحمري وجبل شوشة وجبل سيدي ناصر وجبل المكمن[1].

أما وسط الإقليم فنجد به سهل تيفاش الذي يقع بحوض وادي مجردة، وهو يعد أهم وأخصب سهل ينتشر بإقليم الحنانشة، حيث يخترقه وادي تيفاش الذي يصب بوادي الشارف [2]، أين ساعدت مياهه على خصوبة الأراضي التي يسقيها، وتعد التربة الكلسية هي التربة الطاغية التربة، أما على الضفة اليسرى لوادي مجردة فالتربة صلصالية، والأراضي الصالحة للزراعة تقع عموما بالسهول وعلى امتداد المجاري المائية وهي تقريبا ذات نوعية جيدة وصالحة لزراعة الحبوب[3].

جاء عن بايصونال (Peyssonnel) لما زار الحنانشة قوله"خلف سلسلة الجبال الممتدة إلى طبرقة (الأطلس التلي) توجد سهول واسعة صالحة للزراعة والرعي تمتد إلى غاية الصحراء "وقال عن سهل تيفاش " إقليمهم أكثر خصوبة وامتدادا يقع بين وادي حاميز ومسكانة، ويعد وادي حاميز أحد فروع وادي مجرة "[4] هذا وقد أحصت الإدارة الفرنسية بعد احتلال الجزائر مساحة سهل تيفاش بأكثر

[1]-Procès - verbaux du Sénatus Consulte, Situation topographique,Tribu Ouillen.,179,(15 décembre 1869), D.R.C.C.

[2]–وادي الشارف يلتقي مع وادي بوحمدان عند نقطة مجاز عمار مشكلين وادي سيبوس الذي يصب شرق مدينة عنابة عند حي سيدي سالم.والمعلومات مستقات من زيارات ميدانية .

[3]-Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Situation topographique, Tribu Hannencha.,138

(25 mars 1868),D.R.C.C.

[4]-Peyssonnel et Desfontaines , *Voyages dans la régence de Tunis et Alger* .M.Dureau de la Malle. Gide. Paris.1838.pp.188,205

من 8500 هكتار وتعد هذه النقطة الأكثر انبساطا وانفتاحا للمواصلات بين الجزائر وتونس [1].

القسم الجنوبي تطبعه بدوره مرتفعات كثيرة تنتشر على الضفة اليمنى لوادي مجردة، لكن عموما هذه الجهة تتخللها مظاهر تضاريسية أقل امتدادا وأهمية مقارنة بالقسم الشمالي،أما أقصى الجنوب فتنتشر به سلسلة جبلية، يشكل جبل الدير الذي يقع بإقليم قبيلة أولاد سيدي يحي بن طالب أقصى نقطة لهذه السلسلة كما يظهر جبل بوجابر وقلب بوخضرة والونزة وقلعة سنان في الجهة الشرقية [2].

أعمدة بيانية لمساحات صالحة للزراعة بمجال الحنانشة بالجزائر

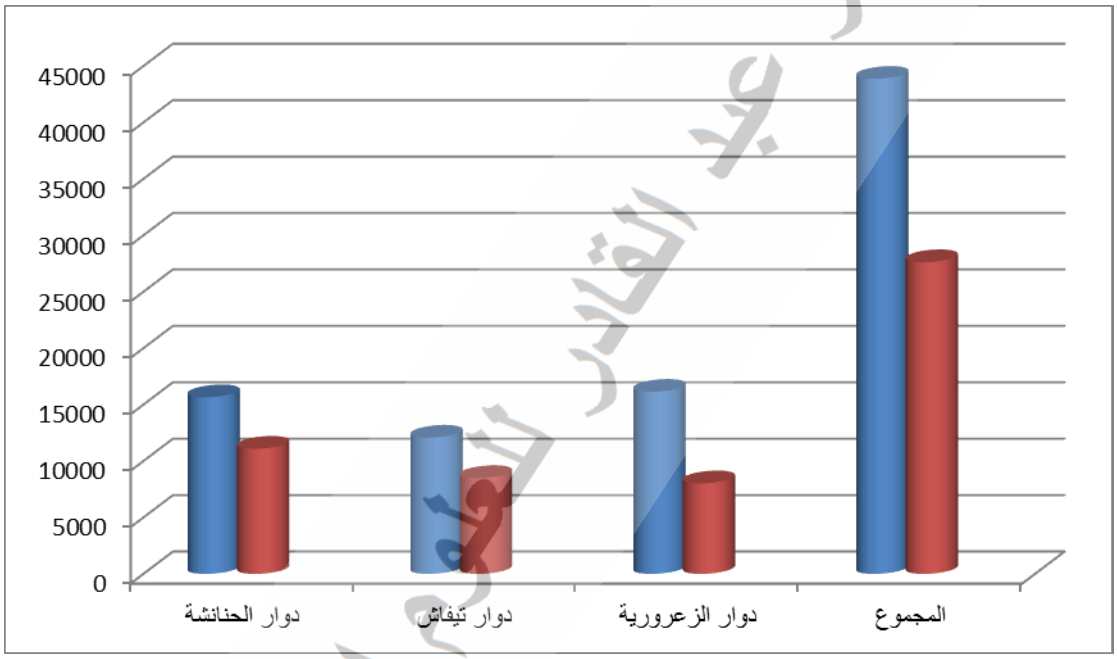

[1]-Procès-verbaux du Sénatus Consulte,Situation topographique ,Tribu Hannencha.,*op.cit*.

[2]-*ibid*

3.1.هيـدروغرافيا المجـــال

تميز إقليم الحنانشة بوجود ثروة مائية تنوعت بين الأودية، والعيون، والآبار، فالكثير من الرحالة الذين زاروا الإقليم تحدثوا عن هذه الثروة المائية، أمثال حسن الوزان المعروف بليون الإفريقي وبايصونال (Peyssonnel) وطوماس شو(Thomas Shaw)، فالأخير تحدث عن هذه الثروة بالقول" لا توجد قطعة أرض في هذا الوطن لا يوجد بها منبع أومجرى مائي "[1] ولا شك أن هذه الثروة سيكون لها دور كبير في تفعيل النشاط الفلاحي على الحدود،لذلك سنحاول التعرض إلى أهم الأودية والمنابع التي توزعت في مجال الحنانشة .

يعد وادي مجردة أهم واد يخترق إقليم الحنانشة، حيث لعب دورا في التقسيم الطوبوغرافي لوطن الحنانشة يأخذ منبعه من ضواحي مدينة خميسة الأثرية (جنوب غرب سوق أهراس)، يسلك مجراه في اتجاه الشمال الشرقي أين يصطدم بخاصرة جبل مسيد ثم ينحني نحو الشرق ليخترق الأراضي التونسية عبر سهولها الخصبة المعروفة بـ"الدخلة" [2]. وقد وصفه حسن الوزان بالنهر الكبير الذي يخترق الحدود التونسية، ليصب في البحر في المكان المسمى غار الملح على بعد أربعين ميلا من تونس وهو يشهد فيضانات كثيرة خاصة في فصل الشتاء، أين يضطر التجار المسافرون إلى انتظار انخفاض مياهه،كما يذكر أن كثرة انعراجاته تجعل المسافر من تونس إلى عنابة يجتازه حوالي خمس وعشرون مرة مع انعدام أي جسر أو زورق [3] كما قدم لنا الرحالة بايصونال (Peyssonnel) صورة عن أهميته الاقتصادية فيذكر: " هو واد مهم في الصيف ويجري بسرعة في الشتاء وفي عهد محمد باي (باي تونس) الذي كان يريد تحويل مجرى هذا الوادي نحو تونس المدينة لكن الأمر لم يتم ،وأكبر ما يلفت الانتباه هو ذلك الجسر الذي أنهى تقريبا بناءه على الوادي طوله حوالي 400 قدم،وعرضه حوالي90قدم به 22 قوس،وعندما تصـل الميـاه إلى هـذا الجسـر تسقـط بكميـة كبيرة في الحاجـز المائـي الأول أين تـــدير

---

[1]-T.Shaw, *op.cit*.,p.205

[2] -Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Cours d'eau, Tribu Hannencha.,138(25 mars 1868),D.R.C.C.

[3]-حسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تحقيق ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ط2،دار الغرب الإسلامي،بيروت.1983، ج2،ص،253

22 طاحونة وفي الثاني تدير نفس العدد "[1].

ويتوفر وادي مجردة على روافد كثيرة بإقليم الحنانشة أهمها:وادي تيفاش ووادي الحمام ووادي بوهاشم ووادي المنقوب، الذي يتشكل بتجمع أودية بورجم وعين الكليل وبني سهل والشوك ووادي الحمري[2].

من الأودية ذات الأهمية كذلك والتي تحدث عنها الرحالة طوماس شو وادي ملاق الذي يتشكل من وادي شبرو الذي ينبع من ضواحي تبسة ووادي مسكيانة الذي ينبع في وطن الحراكتة (إقليم عين البيضاء) حيث يلتقي الواديان عند جبل القلب في مكان يقال له الملاق (الالتقاء).و يتجه في سيره من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، مخترقا الأراضي التونسية،كما تصب فيه أودية فرعية عديدة منها:وادي كيسة ووادي قنيفيدة ووادي بسباس ووادي هرهير ثم وادي سرديا س [3].

ومن الأودية التي تلتقي مع وادي ملاق في الأراضي التونسية جنوب غرب مدينة الكاف نجد وادي سراط الذي ينبع ضواحي تبسة وهو يفصل الحنانشة عن النمامشة حسب طوماس شو[4] وقد أحصينا الكثير من الأودية الثانوية لا تكفي هذه الصفحات لعدها سنذكر بعضا منها مثل:وادي بوسس الذي ينبع من هنشير مداوروش ليصب بوادي ملاق، وادي بوموجة الذي يصب بدوره بوادي ملاق بعد أن يجري ماءه 3500 متر، وادي الكرص الذي يقطع الحنانشة بنحو 1300 متر ليصب بوادي ملاق....الخ[5].

على شاكلة الأودية توفرت في مجالات الحنانشة العديد من المنابع والعيون، أين اختلفت مياهها بين الحارة والكبريتية والعادية، والعيون في عمومها صالحة للشرب من ضمنها عين خميسة وعين الطاسة ومنبع الحمام الذي يشكل منبع لوادي الحمام الذي يصب في وادي مجردة عند نقطة مجاز العزري الذي

.

---

[1]- Peyssonnel et Desfontaines,*op.cit*.,p.100

[2]-Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Cours d'eau ,*op-cit.*

[3]-Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Cours d'eau, Tribu Ouled Sidi Yahia Ben Taleb., 238(28 Avril 1887),D.R.C.C.

[4] - T.Shaw,*op.cit*.,p.208

[5]-Procès- verbaux du Sénatus Consulte,Cours D'eau,Tribu Ouled Khiar,220,(25 mars 1868),D.R.C.C.

يقع بإقليم الزعرورية، وهي كلها منابع مستغلة فيما تبقى المياه الكبريتية والحارة غير مستغلة.كما يوجد بالحنانشة بئران فقط هما بئر ناجي وبئر الخميسي ويتوزعان بدوار الزعرورية [1].

4.1.الثروة الغابية والنباتية

انتشرت بالحنانشة ثروة غابية هائلة، توزعت على جميع النقاط وهي امتداد للغابات الكثيفة المنتشرة تقريبا على الحدود الجزائرية التونسية من القالة شمالا[2] إلى تبسة جنوبا،[3] فقد ظل الانجليز يتزودون من أخشاب غابات القالة، وعنابة وبني صالح وسيبوس حتى عام 1232هـ/1817م مقابل 200 ألف فرنك في السنة [4]، هذا وقد منح بايات قسنطينة الحرية المطلقة لعناصر الحنانشة في استغلال الغابات التي تنتشر فوق أراضيهم، حيث لم يكونوا يتدخلوا في ضبط وتنظيم استغلالها وكانت أغلبها غابات تمتد إلى الأراضي التونسية، ففي القسم الواقع شمال وادي مجردة تكسوه غابات جميلة تتمثل في أشجار الفلين والصنوبر البحري، كما توجد أشجار الزيتون البري،وأما الجهة الجنوبية بدورها كانت مأهولة بأشجار البلوط الأخضر والصنوبر، أما أشجار الدردار فتوزعت ناحية مجردة [5]. واستغل الحنانشة الثروة الغابية في المجالات الآتية :

- صناعة الأكواخ والمحراث الخشبي وأعمدة الخيم .
- استعمال الفلين في صناعة خلايا لتربية النحل الذي كان يجلب خاصة من غابة فج الماكلة
- استعمال الخشب للتدفئة.
- استخراج القطران .

---

[1]-Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Puits et sources -.Tribu Hannencha, *op.cit.*

[2]-Peyssonnel et Desfontaines,*op.cit*,p.222

[3]-أهم الغابات التي انتشرت بتبسة :غابة السيف2028 هكتار،غابة جبل مستيري 2205 هكتار ،غابة جبل أنوال 1272هكتار، غابة الصيد 577هكتار ، وأهم أشجارها الصنوبر الحلب والبلوط الأخضر .

[4]-ناصرالدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1979،ص.31

[5]- شجرة الدردار أغصانها ملائمة للبناء وهي تنمو بمحاذاة الجداول والمنحدرات السفلى حيث تكون الأرض جيدة السقي وتعيش هذه الشجرة أكثر من 150 سنة .

- رعي القطعان .[1]

هذا وتقدم لنا محاضر السيناتيس كونسلت مقاربة إحصائية لهذه الثروة الغابية التي وجدتها الإدارة الفرنسية بعد الاحتلال والتي أتاح لها مرسوم صدر في07. 08. 1267هـ/الموافق لـ16 جوان 1851م استغلال غابات الفلين المنتشرة في الجزائر [2]وسنحاول من خلال هذا الجدول أن نرصد أهم الغابات التي انتشرت بمجالات الحنانشة .

أعمدة بيانية لأهم الغابات التي انتشرت بمجال الحنانشة بالجزائر (المساحة بالهكتار)[3]

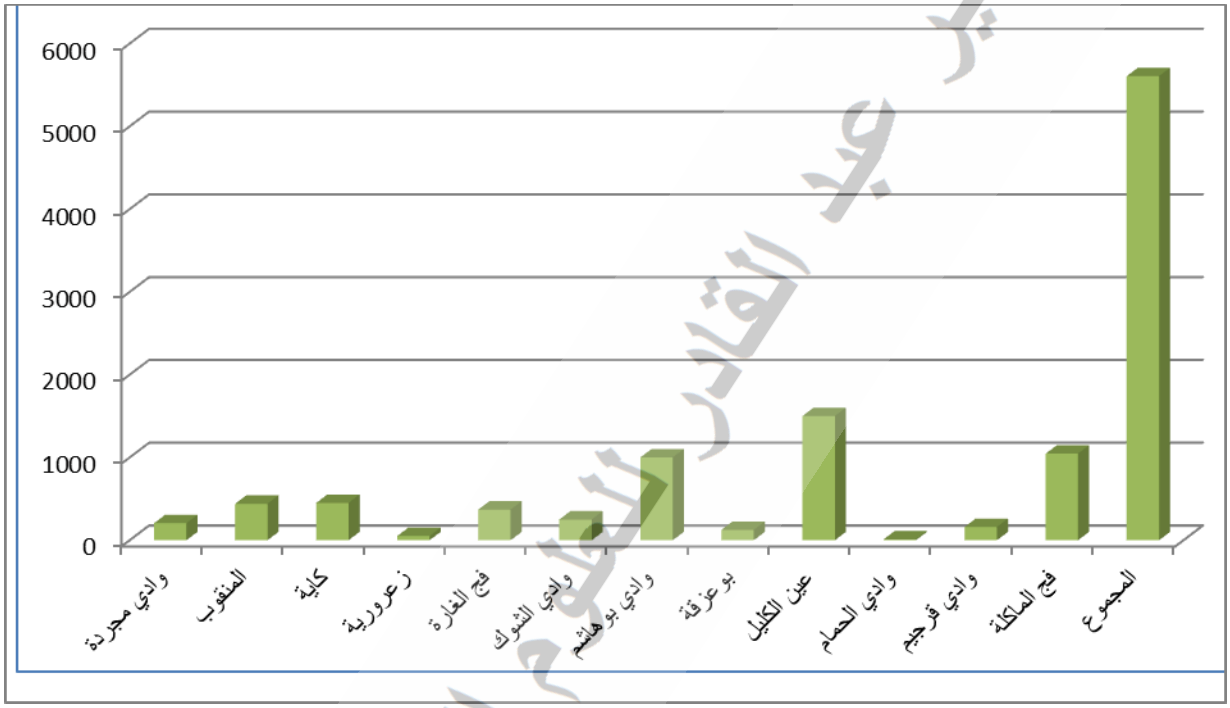

إلى جانب الغابات انتشرت ثروة نباتية وحشائش رعوية بشكل واسع خاصة الأحراش،التي شكلت الثروة النباتية الرعوية الأولى فقد تربعت على مساحة 9448 هكتار، ويمكن الاحتفاظ بها في شكل حزم لمدة أربع سنوات دون أن تتلف، و يمكن إنتاج منها 1000 حزمة في الهكتار الواحد في الهكتار الواحد

[1]-Procès- verbaux du Sénatus Consulte ,forets ,Tribu Hannencha,*op.cit*

[2]-R.Estoublon et A. Lefébure ,*Code de l'Algérie annoté. Recueil chronologiques des lois. Ordonnances,décrets,circulaires,ets ,1830-1895*-Adolphe Jordan libraire-éditeur,Alger

;1896.p.135

[3]-Procès- verbaux du Sénatus Consulte ,forets ,Tribu Hannencha,*op.cit*

بمجالات الحنانشة [1] وأحيانا كان يتم حرقها من أجل استغلال الأشجار في التدفئة أو من أجل القضاء على النباتات الضارة [2].

كما وجدت نبتة المرج الطبيعي (ترتكز أعشابه على القطانيات كالبرسيم).هذاوانتشرت في بعض النقاط الحدودية بين الجزائر و تونس التربة الرملية التي سادت بها نباتات الحلفاء[3] بشكل مكثف أين يخترقها وادي ملاق، وهي من فصيلة النباتات المعمرة والدائمة الاخضرار بأوراق طويلة وتنمو تحتها نباتات ثانوية ترعاها الأغنام [4].

5.1.طــرق ومحطـــات

يتجلى لنا منذ الوهلة الأولى ومن خلال كتب الرحلة الأهمية التي اكتسبها موقع الحنانشة الحدودي بين الجزائر وتونس وكيف أنه أسس بامتداده وحيوية مجاله لشبكة من الطرق والمسالك اجتازته لتخترق حدود البلدين، أين نقلت لنا هذه الكتب صورة واضحة وجلية عن هذه الطرق ولا نكاد نجد رحالة سواء من المغاربة أو الأوروبيين، الذين تنقلوا بين الجزائر وتونس لم يجتز وطن الحنانشة ولم يقدم لنا تفاصيل وحيثيات عن المحطات التي اجتازها والمسالك التي عبرها مرفوقة غالبا بالمسافة التي قطعها بين موضع وآخر .

---

[1]–أحصت الإدارة الفرنسية أن الحنانشة ينتجون سنويا 2362000 حزمة في السنة من هذه الأحراش بينما احتياجاتهم تقدر 606125حزمة ، يرجى الرجوع إلى :

Procès- verbaux du Sénatus Consulte ,droits d'usage,Tribu Hannencha,*op.cit*

[2]-Ministre de la guerre ,*Tableau de la situation des établissement française dans l'Algérie* ,vol.1.imprimerie, Royale, Paris.1838, P.99

[3]–نضرا للاستغلال الواسع للحلفاء من قبل عناصر قبيلة أولاد خيار ككلأ لقطعانهم فقد فرضت الإدارة الاستعمارية رسوم نضير استغلالها حيث فرضت 0.20 سنتيم عن الهكتار الواحد.

[4]- Procès- verbaux du Sénatus Consulte - forets -.Tribu Ouled Khiar,*op.cit*

وقد عددت من هؤلاء الرحالة: بايصونال (Peyssonnel) (1725م) والطبيب الانجليزي طوماس شو(Thomas Shaw) (1732م) ودي فونتان (Desfontaines) (1784م) والحسين الورتلاني[1] وعالم النبات الألماني هابنستراية (1732م) (Habenstreit)[2].

توزعت داخل مجالات الحنانشة الكثير من المحطات والمراكز التي رغم أن بعضا منها بني في عهود سالفة ولم تعد سوى آثارا وأطلالا مثل خميسة ،[3] تاغاست (سوق اهراس)، مداوروش[4] والقطار التي تقع في أقصى شرق إقليم الحنانشة على بعد 08 فراسخ من تيفاش. إلا أنهم احتفظوا بمكانتهم كمحطات ضمن محاور لمسالك وطرق يجتازها المسافر، فقد سلك الرحالة الألماني هابنستراية الطريق الذي يربط بين القالة وتاغاست والمسلك الذي يربط تيفاش بخميسة حيث كتب عن هذا المسلك يقول"في المسلك الذي يربط تيفاش بخميسة في مجالات الحنانشة هو مسلك ما زال مبلطا بالحجارة وهو قسم من الطريق الروماني تونس قسنطينة "[5].

---

[1]- الحسين الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورتلانية ،مطبعة بيير فونتانا الشرقية الجزائر، ج2،1908.

[2]- هابنستراية.ج.أو.رحلة العالم الألماني.ج.أو.هابنستراية،إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)،ترجمة ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008.

[3]- خميسة هي المدينة الرومانية المعروفة بتوبربيكا (Thuburbica-Numidrum) تقع على بعد 14 كلم إلى الشمال الشرقي منمدينة صدراتة الحالية ،كانت تعتبر من أهم المدن الرومانية بإقليم نوميديا اشتهرت بكونها مركزا علميا تردد عليه- القديس أوغسطين وناظر فيه مع خصومه دعاة المذهب الدوناتي وحول هذه المدينة وما جاورها من مدن رومانية يرجى الرجوع إلى :

Stéphane Gsell,*Histoire ancienne de l'Afrique du Nord,* Hachette,Paris,1927,T.5,pp,262-271

[4]- تاغاست (Thagaste) هي مدينة سوق اهراس الحالية تقع في منخفض جبل يعبره وادي مجردة أما مداوروش فتقع جنوب سوق اهراس على بعد 46 كلم وتعد احدى المدن الرومانية المهمة بمقاطعة نوميديا وحول هذه المدينة وما جاورها من مدن رومانية بنوميديا يرجى الرجوع إلى :

Stéphane Gsell, ,*op.cit*.,pp,262-271.

[5]- هابنستراية، المصدر السابق،ص ص 86،98

تيفاش التي قال عنها حسن الوزان" مدينة بناها الأفارقة في العصر القديم على بعد نحو خمسين ميلا جنوبي عنابة وكانت في الزمان الغابر متحضرة كثيرة السكان مزدانة ببناءات جميلة لكنها دمرت عند قدوم الأعراب إلى إفريقيا، ثم عمرت من جديد ولم تصب مدة بضعة أشهر بأي أذى ثم استولى عليها أعراب آخرون من جديد وأخيرا بقيت في ملك إحدى القبائل الإفريقية تدعى هوارة لا تستعملها إلا كمستودع لحبوبها"[1]. أما عندما زارها طوماس شو فوجدها عبارة عن آثار ولم تبق تحتفظ إلا باسمها القديم تيفاست القديمة، حيث تقع في سهل جميل يقطعه مجرى مائي صغير على بعد حوالي 06 فراسخ جنوب شرق قالمة و19 فرسخا شرق قسنطينة [2] وحدثنا ابن العطار الذي عاش أواخر العهد العثماني أن طريق قسنطينة الكاف عبر تيفاش محورا تزاحمت عبره الكثير من الأحداث التي وقعت بين الجزائر وتونس[3].وتلتقي عند تيفاش خمسة طرق من الجزائر في اتجاهها إلى مدينة الكاف التونسية، وهي قسنطينة، قالمة، عنابة وقلب ملاق التي تقع عند التقاء وادي شبرو ووادي مسكانة والكوسة (سيقوس) التي تقع على بعد 06 فراسخ جنوب شرق قسنطينة وتلتقي هذه الطرق الخمسة عند تيفاش لأنها تقع على واحد من الممرات الأكثر انبساطا وسهولة نحو الكاف[4].

ومن المراكز الهامة التي شكلت ملجأ طبيعي للحنانشة نجد " قلعة سنان " التي تحدث عنها الطبيب شاو بالقول "بالقرب من حواف وادي صيراط في جهة الغرب وعلى بعد 05 فراسخ جنوب شرق القطار توجد القلعة أو قلعة سنان قرية هامة بنيت على مرتفع جبلي حاد ويقود إليها طريق واحد ضيق جدا هذه القلعة التي لا يمكن التضييق عليها إلا من خلال التجويع أو المفاجئة إنها ملاذ للمتمردين "[5]كان الطريق الذي يربط بين تبسة ومدينة الكاف يمر عبر قلعة سنان ويعد أقصر طريق فمن تبسة إلى قلعة سنان هناك 08 فرسخ،ومن قلعة سنان نحو الكاف هناك 13 فرسخا ومن تبسة إلى

[1]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ص،62،63.

[2]-T.Shaw,*op.cit*.,p.206

[3]-ابن المبارك ابن العطار أحمد: تاريخ بلد قسنطينة، نشر عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع ،قسنطينة ،2011. ص ص، 132،133

[4]-Peyssonnel et Desfontaines,*op.cit*.,p.288.

[5]-T.Shaw, *op.cit*.,p.206

قلعة سنان هناك 08 فراسخ، ومن قلعة سنان نحو الكاف هناك 13 فرسخا ومن محطاتها وادي الزغالمة [1].

وضمن نفوذ الحنانشة نجد قرى ومدن عديدة ففي بلاد النمامشة نجد " نيني " وتقع على بعد 04.5 فرسخا شرق " باغاي "، و" بابار" التي تقع على بعد 05 فراسخ في اتجاه الجنوب ." المحمل" وهي القرية الرئيسية التي تركز بها العرب وهي في أرض حجرية على نصف الطريق بين باغاي وتبسة،كما توجد " يوكوس" التي تقع في منحدر جبل مرتفع على بعد 06 فراسخ شمال شرق المحمل وعلى بعد 04 فراسخ شرق يوكوس توجد تبسة التي تشكل الحدود الجزائرية التونسية وتوجد بها حامية للأتراك [2].

كما توزعت خارج إقليم الحنانشة وبالقرب من محيطها الكثير من المدن والمراكز التجارية الجزائرية والتونسية التي يصعب حصرها في هذه الأسطر فمن الجزائر نذكر على سبيل المثال قسنطينة عاصمة بايلك الشرق، التي تقع إلى الغرب من تيفاش وتبعدها بمسافة 26 فرسخا، وشمالا نجد القالة حاضنة الباستيون الفرنسي وعنابة (بونة) التي تميزت بحركية مينائها أين يبعدان تيفاش بحوالي 24.5 فرسخا أما جنوبا فنذكر بسكرة وطن الذواودة وتبعد تيفاش بحوالي 100 فرسخ [3].

أما في تونس فجاءت مدينة الكاف في اتجاه الشرق في سهول أوساف التي يقطعها وادي سليان الذي يصب في وادي مجردة وتبعد تيفاش بـ 25 فرسخا وهي تشكل مفتاح الإيالة التونسية لأنها تقع على الحدود مع الجزائر [4] وفي اتجاه الجنوب الشرقي نجد فريانة التي تقع على مسافة حوالي 20فرسخا من قلعة سنان[5] أما شمالا فنجد طبرقة التي بها مركز تجاري يعود إلى عائلة جنوية، وتبعد طبرقة عن القالة بمسافة 07 فراسخ [6] ولا شك أن الحنانشة كانت على صلة دائمة مع هذه المراكز الحضرية والتجارية وهذا ما أكدتـــه أحد الدراسات الحديثة الـــتي سجلت حضورها البارز مثـــلا في مدينـــة قسنطينـــة

[1]-Ernest Carette, *Etude des routes suivies par les Arabes dans la partie méridionale de l'Algérie et de la Régence de Tunis*. imprimerie Royale, Paris,1844.pp.32,33
[2]-T.Shaw, *op.cit*.,p.208

[3]-E.Carette ,*op.cit*.,pp.15-17
[4]-Peyssonnel et Desfontaines,*op.cit*.,pp.122,163

[5]-E.Carette , *op.cit*.,pp.26 ,33
[6]-Peyssonnel et Desfontaines,*op.cit*.,pp.220,265

وبالتحديد في سجلات المحكمة المالكية التي تحتوي على عقود، معاملات ومبادلات تمت بمدينة قسنطينة [1].

لكن هل كانت شبكة الطرقات التي تجتاز الحنانشة في اتجاه عمق التراب الجزائري أو داخل تونس كانت آمنة بالنسبة للتجار والمسافرين؟ وهل كان للحنانشة دور في أمن هذه المسالك ؟

الواقع أن الرحالة الذين تنقلوا عبر هذه الطرقات نقلوا لنا وجهات نظر متباينة حول واقع هذه المسالك ولا شك أن هذا الاختلاف مرده الظروف التي تنقل فيها كل طرف، فبايصونال ذكر أن الطرقات في الجزائر ليست آمنة كما عليه في تونس حيث تستطيع التجوال بحارسين بينما في الجزائر تمشي بحراسة كبيرة [2]. الانطباع نفسه نقله الطبيب طوماس شو الذي أكد أن القبائل الحدودية كانت تقريبا قبائل لصوصية وبالتالي انعدم الأمن عند ممراتها [3]، بينما الحسين الورتلاني قدم لنا انطباعا مخالفا لهما فأثناء عودته من تونس نحو الجزائر عبر مدينة الكاف ووطن الحنانشة أشار إلى أنه سار أياما في عافية إلى أن وصل مدينة قسنطينة [4].

أما عن دور الحنانشة في أمن الطرقات والمسالك التي تجتازها بين الجزائر وتونس فالقيرواني يسرد لنا حدثا يذلل لنا الإجابة عن هذا السؤال" ... وفي وقته الشيخ خالد بن نصر الحناشي وكان خالد المذكور أشهرهم سمعة بين قبائل العرب وله منعة وعدة ...وكان يتشامخ بأنفته على العمالة التونسية ويمتد في وطنها ...إلى أن هزمه (باي تونس) سنة أربع وخمسين وألف بمكان يعرف بصراط ...ولما دانت له جملة هذه الجبابرة وَصَفَا له زمانه حمل رعيته على أحسن طريق وانقطعت قلوبهم مع بعد أوطانهم من خوفه إلى أن صار كل مسافر لا يحتاج في سفره إلى رفيق وربما سافر عدة أيام وليس معه إلا زاده وبضاعته ولم يلف من يتعرض له في الطريق وامتد المسافرون في جميع الأفاق "[5] وفي المراسلة التي بعث بها باي

[1]– صرهودة يوسفي، المرجع السابق، ص.27.

[2]-Peyssonnel et Desfontaines,*op.cit*.,pp.298,315

[3]- T.Shaw, *op.cit*.,p.187

[4]–الحسين الورتلاني ، المصدرالسابق، ص.685

[5]–ابن أبي دينار ، المصدرالسابق ،ص،ص،236،237.

قسنطينة مصطفى انجليز (1212هـ/ 1798م – 1218هـ/ 1803م) إلى شيخ الحنانشة تؤكد بدورها أن للحنانشة دورا في أمن الطرقات التي تربط بين الجزائر وتونس فقد وردفيها"...يليه إعلامكم أن أولادنا أهل زاوية قلعة سنان السيد الطيب وإخوانه رفعوا أمرهم لدينا شاكين من أولاد بوغانم أنهم طغوا وبغوا ونفروا وصاروا يقطعون عليهم الطرقات ...فالذي آمركم به وعليه يكون عملكم تزجرهم وتقهرهم وتكفهم عن أهل القلعة "[1].

جدول رقم–01– طرق ومسالك بين الجزائر وتونس عبر نفوذ الحنانشة[2]

نقطة الانطلاق	نقطة الوصول	المسافة	أهم المحطات
الكاف	قسنطينة	51 فرسخا	تيفاش، وادي مقاصبة (واديالشارف) تاملوكة، بيار سطل
الكاف	تونس	46.5 فرسخا	سيدي عبد الربو،تبرسق،تستور،مجاز الباب،سيدي على الحطاب
الكاف	قالمة	40 فرسخا	وادي ملاق، قلتة الزرقة، القطار،مجردة، بلاد أولاد الشيخ
الكاف	القالة	28 فرسخا	سور بن نور، مجردة، الحمام، وادي الحوت
الكاف	القيروان	29 فرسخا	بني زيد، أولاد سعيد، أولاد عيار
قلعة سنان	الكاف	13 فرسخا	وادي الزغالمة، عين البيوش
قلعة سنان	تبسة	08 فرسخا	الدير

[1]– رسالة نشرتها جميلة معاشي ضمن ملاحق بحثها:

جميلة معاشي، المرجع السابق، ص . 360.

[2]-Peyssonnel et Desfontaines,*op.cit*/T.Shaw,*op.cit*/E .Carette,*op.cit.*

تبسة	تيفاش	28 فرسخا	رأس عين شبرو، جبل سطح، قلب ملاق
فريانة	تبسة	17 فرسخا	درنية، بكارية.
فريانة	قفصة	16.5فرسخا	وادي الحكوف
نقرين	تبسة	37 فرسخا	العنق، درمون، بوجلال
قفصة	تبسة	36 فرسخا	1-عبر القصرين 2- عبر فريانة
تيفاش	قالمة	11.5فرسخا	خميسة، فج طراد
تيفاش	قلب ملاق	16فرسخا	سيدي محمد صالح، قورمات، الكباريت
تيفاش	عنابة	24.5فرسخا	هناك ثلاثة طرق: 1- عبر خميسة وقالمة (طريق الغرب) 2- عبر كيفان مساخطة وعقبة البغلة(طريق الوسط) 3- عبر عجارة (طريق الشرق)
نفطة	خنقة سيدي ناجي	35 فرسخا	شط الغرسة، الميتة، زريبة حامد
القطار	قالمة	22.5 فرسخا	مجردة، بلاد أولاد الشيخ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

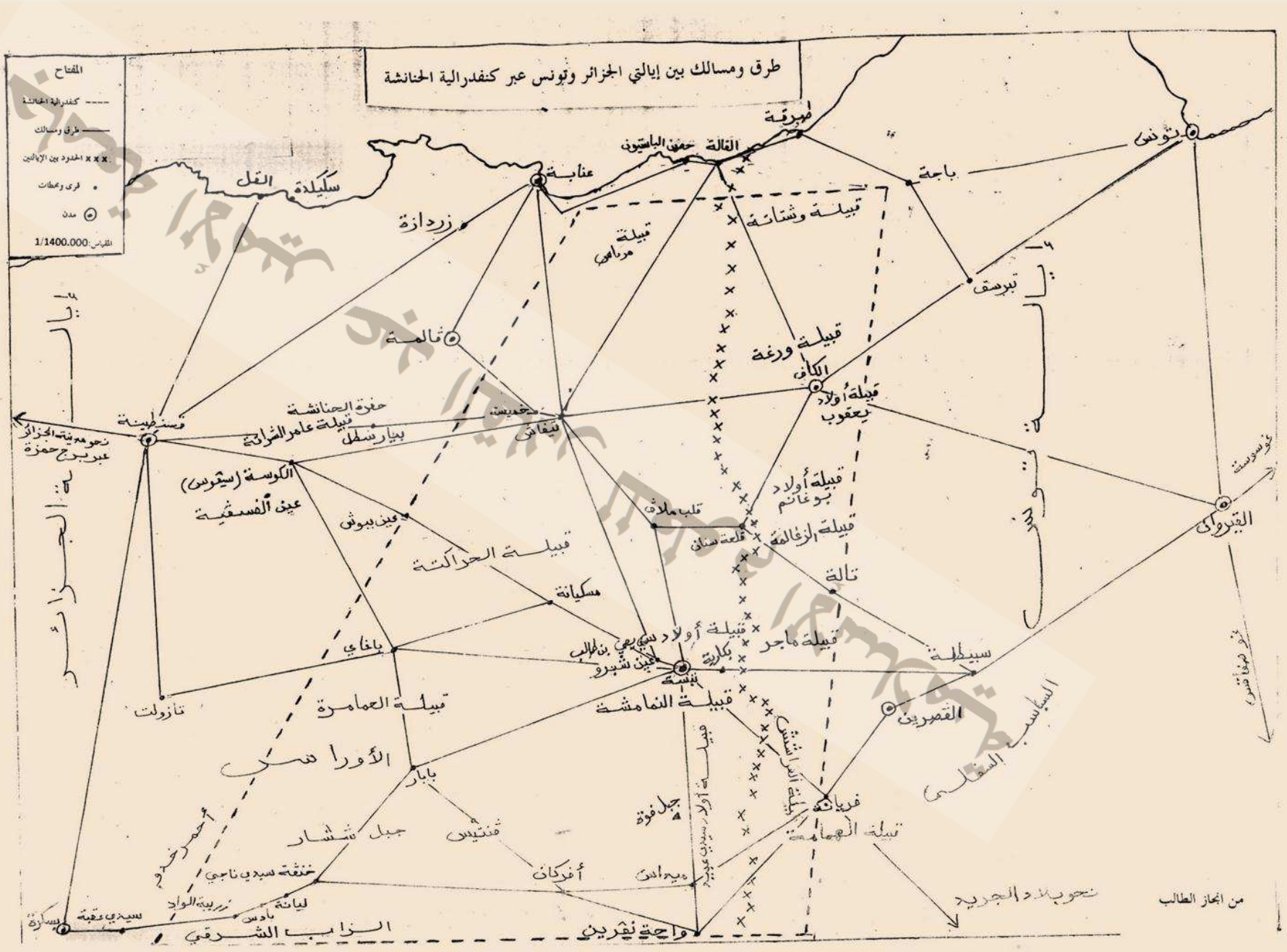
طرق ومسالك بين إيالتي الجزائر وتونس عبر كنفدرالية الحنانشة
المفتاح
كنفدرالية الحنانشة
طرق ومسالك
الحدود بين الإيالتين
قرى ومحطات
مدن
المقياس: 1/1400.000
سكيكدة
القل
عنابة
القالة
حفون الباستيون
بربرة
تونس
باجة
زردازة
قبيلة مرباحي
قبيلة وشتاتة
تبرسق
ثالمة
قبيلة ورغة
الكاف
قبيلة أولاد يعقوب
حفرة الحنانشة
قبيلة عامر الشراقة
بيار سلطان
خديس
تيفاش
مسكيانة
زحوم عين الجزائر عبر برج حمزة
الكوسة (سيتوس)
عين الفسقية
عين بيوش
قبيلة الحراكتة
قلب ملاق
قبيلة أولاد بوغانم
قبيلة الزغالمة
قلعة سنان
القيروان
تالة
مسكيانة
باغاي
قبيلة أولاد سيدي يحي بن طالب
عين شبرو
بكارية
سبيطلة
تازولت
قبيلة العمامرة
تبسة
قبيلة النمامشة
القصرين
الأوراس
بابار
جبل فوة
جبل ششار
ثنتيس
أفركان
مية اس
خنقة سيدي ناجي
ليانة
نادس
زريبة الوادي
سيدي عقبة
بسكرة
الزاب الشرقي
واحة نفرين
قبيلة أولاد سيدي عزيز
قبيلة الدراوشة
فريانة
قبيلة الهمامة
نحو بلاد الجريد
السباسب السفلى
من انجاز الطالب

02. الأصول: قراءة في نقاش تاريخي

خاضت العديد من الكتابات في مسألة أصول الحنانشة، لكنها قلما وصلت إلى نتائج مشتركة ويقينية تجعل من مسألة أصولها أمرا يمكن تجاوزه، فهل هذا التباين مرده شح المادة الخبرية التي جاءت في شكل نتوف وإشارات حالت دون بلورة تصور واضح وجلي؟ أم أن طبيعة هذا النسيج السكاني (الحنانشة)، قد تداخلت في تشكله عوامل ثقافية وتاريخية،جعلت من الصعب فك خيوطه وترسيم ملامحه؟أو لأن الأصول تجاذبتها خلفيات إثنية جعلت من العنصر البربري والعنصر العربي مادة لهذه الخلافات[1] ؟.

وسأحاول في هذه المحطة رصد أهم الكتابات التي تحدثت عن هذه الأصول، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وفضلنا أن تكون على فترات زمنية متباعدة حتى نستوضح مختلف القراءات كونها ستقدم لنا مادة خبرية ستقودنا لا محالة إلى بلورة فكرة ذات أهمية عن أصول هذه الكنفدرالية .

يعد عبد الرحمان ابن خلدون المتوفي سنة 808هـ/1405م ممن لهم باع طويل في التأريخ لقبائل بلاد المغرب الإسلامي ويكاد يكون الوحيد في الساحة مما فرض العودة إليه.فقد نالت قبيلة هوارة البربرية حيزا في مؤلفه كتاب العبر[2] التي أتى على ذكر بعض زعاماتها التي يظهر أنها كانت تنسب إلى حناش، مثل يفرن بن حناش وبعرة بن حناش وغيرهم[3].

أكد ابن خلدون أن هوارة قبل الهجرة الهلالية والسليمية لبلاد المغرب خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، إنما كانت تستقر بنواحي طرابلس وما يليها، لكن بعد هذه الهجرات لقبائل بني سليم وبني هلال انتقلت هوارة بفروعها المختلفـــة للعيش بأرض التلـــول من افريقية ما بين تبســـة إلى

[1]–حاولت الكتابات الاستعمارية تسليط الضوء على العنصر البربري الذي يعيش بالجزائر،في المقابل صور العنصر العربي كجنس دخيل على المنطقة وضد قيم التحضر من خلال مثلا تحطيمه للمدن الرومانية .

[2]- عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار مؤسسة جمال للطباعة والنشر ،بيروت،مج6، 1979 ، ص ص، 139-146.

[3]–ابن خلدون،المصدر نفسه ،ص ص،142،143

مرماجنة (وطن وادي صراط) إلى باجة فاستقرت بالقرب من تبسة أول عشيرة من هوارة تسمى وينفن ورئاستهم في ذلك العهد كانت في ولد يفرن بن حناش،وإلى جانب تأثير الهجرات العربية في التوزيع الجغرافي لبطون هوارة، فقد أكد ابن خلدون أنها أثرت أيضا في زيهم ولغتهم ونمط عيشهم ويقول عن ذلك "...صاروا في عداد الناجعة عرب بني سليم في اللغة والزي وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الإبل وممارسة الحروب وإيلاف الرحلتين في الشتاء والصيف في تلولهم قد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب فلا يكاد يفرق بينهم "[1].

ورد في الشجرة التي أنجزها ابن خلدون عن قبيلة هوارة اسم حناش بن وينفن بن لهاتة بن هوار وإن كان لم يتحدث عن أصول الحنانشة بشكل مباشر ولم يذكرهم بهذا الاسم إلا أن مختلف القراءات أكدت أن القرائن التي قدمها ابن خلدون عن المسمى حناش ومنه جاء اسم الحنانشة، وعن المجال الذي عاشت فيه هوارة ضواحي وادي صيراط وتبسة وهو المجال نفسه الذي عاشت فيه الحنانشة خلال تاريخها الطويل.كلها قرائن قوية أكدت لا محالة أن أصول الحنانشة بربرية من قبيلة هوارة يعودون في نسبهم إلى حناش وجده الأول هوار. وقد حدثنا الزركشي بدوره عن شيخ هوارة الذي يحمل اسم حناش وهو شاب برز في الحرب التي خاضها إلى جانب الموحدين ضد ابن غانية بداية عام621هـ/1224م [2].

حاول ضابط الجيش الفرنسي شارل فيرو[3] في النصف الثاني من القرن التاسع عشر التعامل مع أصول الحنانشة بأسلوب مركز ، طرح فيه مختلف الفرضيات التي استطرد في تحليلها، من خلال توظيف جميع القرائن التاريخية والشهادات الحية التي من شأنها أن تقدم إجابات واضحـــة عن أصـــول الحنانشة

[1]–ابن خلدون، المصدر السابق،ص ص، 142،141

[2]–الزركشي،تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966،ص.26

[3]– شارل فيرو هو مترجم الجيش الفرنسي،عمل ضمن اللجان الموفدة للقبائل في إطار تجسيد قانون السيناتيس كونسلت 1863م اهتم كثيرا في كتاباته بالشرق الجزائري حيث نشرت له عدة أعمال بالمجلة الإفريقية ومجلة لاروكاي ،أين سلط فيهما الضوء على تاريخ القبائل مثل زواغة،أولاد عبد النور وتلاغمة وعامر الشراقة والسقنية والزمول...الخ كما اهتم بتاريخ المدن مثل جيجل والقالة، ورغم الخلفية الاستعمارية التي تتجلى في كتاباته إلا أنها تبقى دراسات لا يمكن الاستغناء عنها .

حيث أكد في البداية أن الهجرات العربية إلى بلاد المغرب جعلت من معرفة أصول القبائل موضوعا يصعب فك خيوطه كون هذه الهجرات إما دفعت بالسكان الأوائل إلى الانتقال إلى مناطق أخرى وتعويضها بعناصر جديدة، أو بسبب اختلاط سكان بلاد المغرب من بربر مع العرب، ومنه امتزاج العنصرين العربي والبربري وهو ما صعب من مهمة تحديد الأصول[1].

واستدل فيرو في ذلك بمجموعة من القرائن من ضمنها بعض طقوس الديانة اليهودية التي لازالت منتشرة وسط الحنانشة في بداية الاحتلال الفرنسي،كما أن أهالي القبائل الأخرى وفي شتمهم لفرد من الحنانشة كانوا يرددون عبارة تؤكد أصله اليهودي بالقول" حناش بن فناش بن فلاش بن حباش بن شالوم اليهودي"[2].

حاول فيرو من خلال هذه القرائن أن يمهد لبناء تصور مفاده أن معرفة أصول الحنانشة يستجدي الخوض في البنية الإثنية للقبيلة، فلسانهم العربي في ذلك العهد قد يوحي من جهة إلى سلالتهم العربية وبعض طقوس الديانة اليهودية التي لا زالت تنتشر في بعض أوساطهم قد تشير من جهة أخرى إلى أصولهم البربرية وبالتحديد إلى قبيلة هوارة[3] ؟

لذلك راح في هذا المسعى يسرد في تاريخ قبيلة هوارة و بني هلال وبني سليم، محاولا في ذلك تتبع فروع وتنقلات هذه الأطراف على الرقعة الجغرافية الممتدة مـن طرابلس الليبية غربا إلى سهـول قسنطينة

---

[1]- L.Ch. Féraud,«les Harar seigneurs des Hanencha»,*R.A* ,18,(1874),p.29.

[2]-*Ibid*,pp.30-32.

[3]–تعامل فيرو كثيرا في تدوينه لتاريخ القبائل مع الأصول، أين كان يستهل كل عمل بتسليط الضوء على هذا الجانب،وللمزيد من الاطلاع حول ذلك يرجى الرجوع إلى بعض دراساته مثل:

L.Ch. Féraud,« Notes historique sur les Tribus de la province de Constantine », *R.S.A.C*, (1869),pp.20-45.

L.Ch. Féraud, «Ferdjioua et Zouara»,*R.A* ,22,(1878).pp.05-25,82-104,161-182,241-258,321-360.

L.Ch.Féraud,«Notes historique sur la province de Constantine(les BenDjellebs)»,*R.A* ,27,(1883),pp.257-266,325-331,441-464.

شرقا مذكرا في كل مرة بتأثير الهجرات العربية على هوارة [1].

كما لم يهمل وجهة نظر أهالي الحنانشة لفك غموض أصولهم، خاصة وأنهم قدموا له شجرة عائلية تؤكد نسبهم الممتد إلى الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء فيها:خالد الكبير ابن ناصر بن عثمان بن علي بن أبوبكر بن محمد بن ساعد بن جابر بن إبراهيم بن عمر بن بارة ابن محمد بن جابر بن ناصر بن عامر ابن حناش بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب [2].

أكد الأهالي لفيرو أن جدهم حناش بن عبد الله الصنعاني اليمني وبعد أن كان يقود عرب بني سليم بالقرب من طرابلس غادروا المنطقة ليستقروا وسط هوارة ضواحي تبسة،ونضرا لنبلهم الديني كمسلمين اعترفت هوارة بسلطتهم عليها، وهنا نصب حناش الصنعاني أول خيمة له بالقرب من جبل لا زال يحمل اسم جبل حناش، الذي يقع بالقرب من قلعة سنان [3] التي لم تكن سوى قلعة صنعان نسبة إلى صنعاء باليمن [4] هذه الشجرة التي ورد فيها إسم حناش الذي ينسب الحنانشة أنفسهم إليه، ويذكر الأهالي أن حناش بن عبد الله الصنعاني اليمني قد جاء مع الفاتحين الأوائل لبلاد المغرب حوالي 66هـ /666م وهناك مكانان يعدان مهد قومهم لا زالا يحملان اسم هذه الشخصية وهو جبل حناش، الذي يقع بالقرب من قلعة سنان التي لم تكن سوى قلعة صنعان نسبة إلى صنعاء باليمن مسقط رأس حناش حيث شكل المكانان الحصينان مركزا لمقاومة السكان وملجأ في حروبهم الطويلة.

بعد كل ما تقد لص فيرو إلى نتيجة مفادها أن الحنانشة تألفت من مركب إثني متباين جمع بين العرب والبربر حدده في ثلاث عناصر هي:

.

[1] - L.Ch. Féraud ,Les Hrar , *op.cit,*pp.118-123.

[2]-*Ibid,*p.131

[3]– قلعة سنان تسمى كذلك بقلعة أولاد بوغانم أو مائدة يوغرطة توجد اليوم بالأراضي التونسية قرب الحدود الجزائرية هي جبال معزولة تنتهي بسطح على شكل طاولة مساحته 80هكتار،وترتفع بـ 1272متر وهو حصين توجد به منابع، يرجى الرجوع إلى:

T.Shaw,*op.cit.*,206.

[4]- L.Ch. Féraud ,*op.cit.*,p.129

1- سكان الأوراس وأريافه المجاورة المعروفون بالشاوية [1]

2- هوارة وإخوانهم العداسة وهما فرعان من زناتة

3- عرب بني سليم وبني هلال [2]

عالجت بدورها جميلة معاشي أصول الحنانشة من خلال رسالتها[3]، حيث أكدت في معرض حديثها عن هذه الأصول أنها غير متفق عليها لذلك بادرت بطرح ثلاث احتمالات.

أما الأول فيقول بأصلها البربري من قبيلة هوارة،هذا الاحتمال الذي يستند إلى جملة من القرائن من ضمنها احتفاظ بعض عناصر القبيلة بديانتهم اليهودية،منهم سلطان بن منصر زعيم الحنانشة عام 1110هـ /1699م[4].

والاحتمال الثاني الذي يصنفهم كعرب من قبائل بني سليم الوافدين إلى بلاد المغرب،والذي عدته الباحثة الاحتمال الأضعف ومرده كما ذكرت "قوة تأثير بني سليم على جميع قبائل الشرق الجزائري وخاصة قبيلة هوارة "[5] وأخيرا الاحتمال الثالث الذي تمسك به الحنانشة أنفسهم، أين جعلوا نسبهم يعود إلى حنش بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأثبتوا ذلك بكون قلعة سنان مقرهم الرئيسي ما هي إلا قلعة صنعان نسبة إلى جدهم حنش الصنعاني اليمني الذي وفد مع الفاتحين الأوائل إلى بلاد المغرب،هذا الادعاء فندته الباحثة كون حنش بن عبد الله لم يمكث إلا فترة قصيرة ليعود بعدها إلى مصر،بعد مقتل قائده عقبة بن نافع [6].

---

[1]-مصطلح الشاوية يقصد به رعاة الغنم ويستعمل للدلالة على عناصر من سكان البربر الذين يعيشون حياة نصف رحل ،يرجى الرجوع إلى :

حسن الوزان، المصدر السابق،ج1،ص.66.

[2]- L.Ch. Féraud , *op.cit.*,p.29

[3]- جميلة معاشي، المرجع السابق، 28-37.

[4]- المرجع نفسه،ص.30

[5]- المرجع نفسه،ص.31

[6]-جميلة معاشي، المرجع السابق،ص.32

بعد الاسترسال في طرح مختلف الاحتمالات وتحليلها، التي اعتبرتها كلها تقبل الصدق مالت في الأخير إلى رأي شارل فيرو حيث تقول " بعد هذه الافتراضات التي تقبل كلها الصدق في غياب الوثائق الرسمية لم يبق لنا إلا أن نميل إلى رأي الباحث فيرو" الذي حددهم في ثلاث مكونات شاوية وهوارة وإخوانهم عداسة وعرب بني هلال وبني سليم[1].

صالح علواني[2] الذي تناول التاريخ الاجتماعي والديني لافريقية منذ نهاية العصر الوسيط إلى بداية الفترة الحديثة، وحدد افريقية الداخلية كحيز جغرافي للدراسة، ليضيق هذا الحيز تدريجيا عبر الزمن ليشمل في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين المنطقة الحدودية الجزائرية– التونسية (سوق اهراس وتبسة، فريانة، شرق جبل الأوراس) [3].

اعتبر علواني أن أصول الحنانشة يبقى غامضا في غياب الشواهد المؤكدة،وإن كان رجح فرضية أصولهم البربرية– العربية، معتبرا أن هذا الانصهار الإثني والثقافي بين هوارة وبني سليم قد أعطى نفسا جديدا في بروز الحنانشة على مسرح الأحداث منذ القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي وعبر كل التاريخ الحديث في الجهة الواقعة بين القيروان وشرق الأوراس [4]، وقد حدد ملامح القوة الجديدة التي كانت نتيجة هذا الانصهار في بروز تقاليد بدوية في افريقية الداخلية ،أو كما سماها بـ "بلاد الرحل" أين قامت هذه التقاليد على موضوعي الاستقلالية وعدم الخضوع والذي جسدتهما الحنانشة بشكل واضح وجلي نهاية العصر الوسيط وفي الفترة الحديثة[5].

.

[1]–المرجع نفسه،ص.32،33.

[2]-S. Alouani, *op.cit,*

[3]-Allaoua Amara,« *Alouani, Salah, Tribus et marabouts. A'rāb et walāya dans l'intérieur del'Ifrīqiya entre le VI/XII et le XII/XVIII siècles*», al-Qantara,33,(2012),pp.213-216

[4]-S. Alouani*, op.cit,*p.204

[5]-*Ibid*,p.204

جدول رقم –02– رصد لبعض المصادر والدراسات ورأيها في أصول الحنانشة

المؤلف	تاريخ الصدور أو وفاة المؤلف	أصول بربرية	أصول عربية	أصول بربرية – عربية
الزركشي[1]	توفى حوالي 894هـ/1489م	X		
ابن خلدون	توفى808هـ/1406م	X		
العدواني[2]	عاش في النصف الثاني من القرن الـ11هـ/17م		X	
لوحة وضعية المؤسسات الفرنسية بالجزائر [3]	1256هـ/1840م		X	
كاريت [4] (Carette)	1256هـ/ 1840م		X	

[1]- الزركشي، المصدر السابق، ص،26.

[2]– محمد العدواني، تاريخ العدواني، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص.203.

[3]-Ministre de la Guerre, *Tableau de la situation des établissement Française dans l'Algérie ,* Imprimerie Royale, Paris , vol,.3.P.319

[4]-Ernest Carette, Erneste Antoine Hippolite, *Recherches sur l'origine et migrations des principales Tribus de l'Afrique septentrionale et particulièrement de l'Algérie* ,imprimerie impériale,Paris,p.451

شارل فيرو (Charles Féraud)	1291هـ/1874م			X
ليلى باباس[1]	1404هـ/1984م			X
جميلة معاشي	1410هـ/1990م			X
احميدة عميراوي	1422هـ/ 2002م			X
صالح علواني	1427هـ/2006م			X

يظهر من خلال العينات التي وردت في الجدول أن أغلب الدراسات اعتبرت أن أصول الحنانشة تعود إلى ذلك الانصهار الإثني الذي تم بين هوارة وعرب بني سليم، ولا شك أن هذا الرأي هو الراجح لأن اندماج العنصرين تم على نطاق واسع اثر الهجرات العربية الأمر الذي دفع بتقاليد البداوة إلى مزيد من الاستقلالية وهذا ما نلمسه في مجموعات الحنانشة.

[1]-Leila Babés:*op.cit,*.p.246

شجرة عائلية لأحرار الحنانشة رقم-01-

تنسبهم إلى قبيلة هوارة البربرية التي امتزجت عناصرها بعناصر عربية بعد هجرات بني سليم (*)

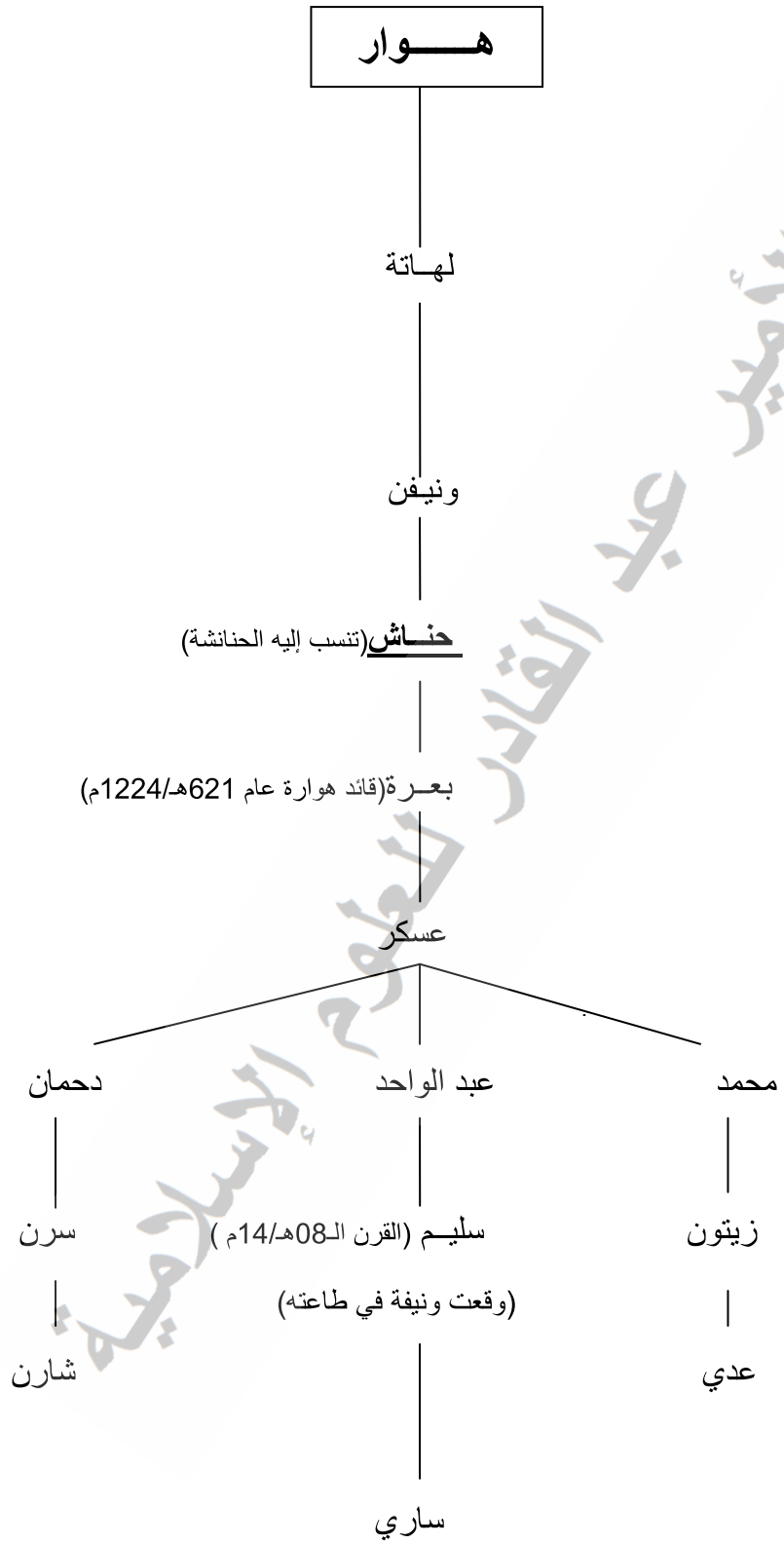

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

*-المصدر:ابن خلدون ، ديوان العبر،مج6 ،ص.143

شجرة عائلية لأحرار الحنانشة رقم-02- تنسبهم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه( ) *

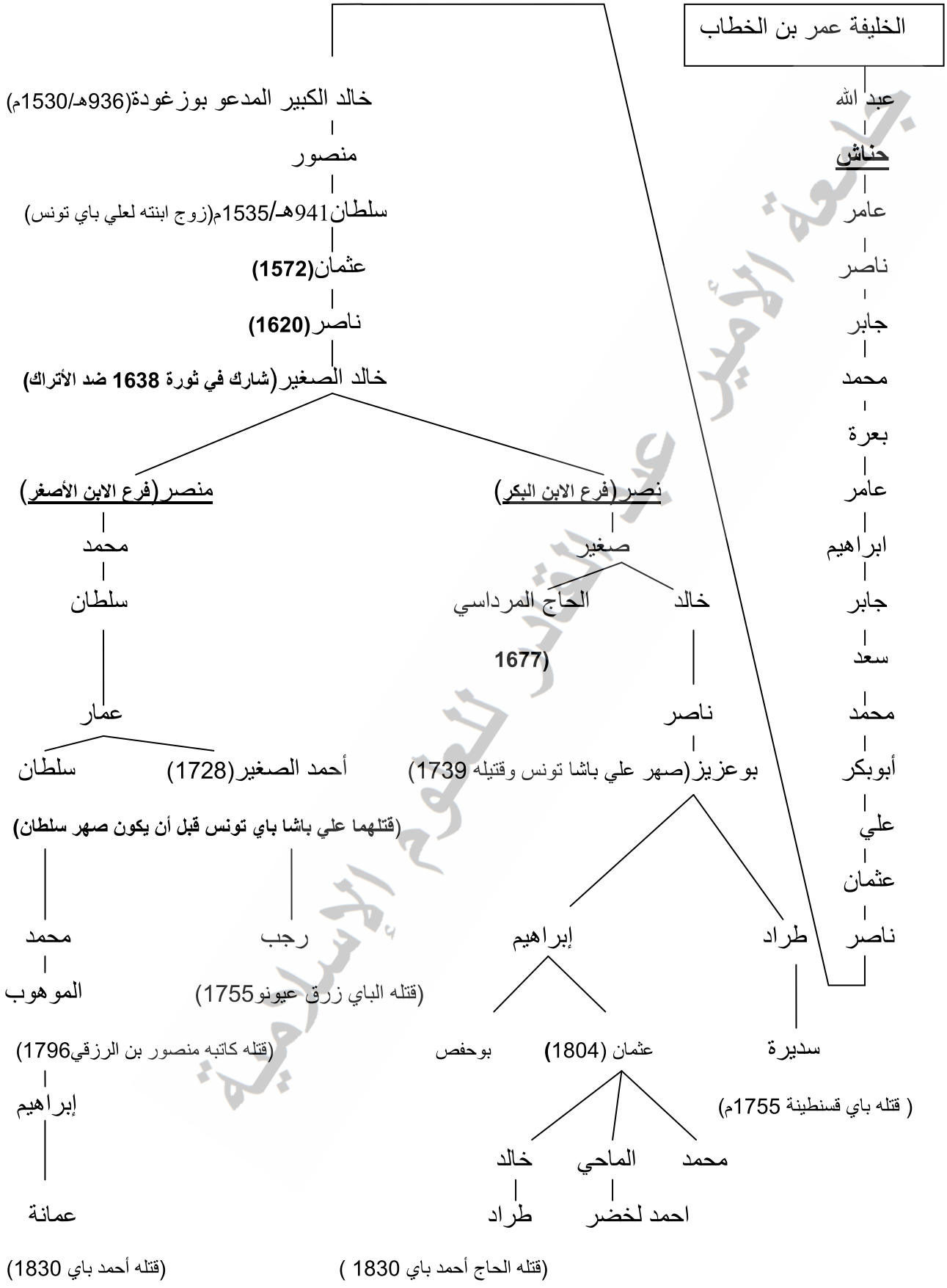

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- * - L.Ch. Féraud, *op.cit.,*pp.394-396

3. كنفدرالية الحنانشة: امتداد في إيالة الجزائر ونفوذ نحو إيالة تونس

أعتقد أنه من بين المسائل التي تطرح نفسها بإلحاح ولا تقل أهمية عن الأصول هو الوجه الذي برزت به الحنانشة على مسرح الأحداث خلال العهد العثماني بالجزائر، فهل برزت كأسرة، قبيلة أم كنفدرالية ؟ خاصة وأن المصادر أوردتهم بأوجههم المتعددة فلمستهم كأسرة في بعض المراسلات التي تمت بين بايا قسنطينة وشيوخ الحنانشة[1] ورصدتهم كقبيلة في محاضر السيناتيس كونسلت (25 مارس 1868م)[2] وككنفدرالية في سجل الإحسانات التي كان يقدمها بايات تونس للحنانشة [3] ؟. إن هذه المصادر السالفة الذكر تؤكد لا محالة أن الحنانشة التي عاشت على الحدود الجزائرية التونسية تكون قد سجلت حضورها بأوجهها المختلفة (أسرة، قبيلة، كنفدرالية) وإن كان بروزها ككنفدرالية ضمن مجال حيوي واسع يجمع الكثير من القبائل هو الذي طغى على تاريخها في الفترة الحديثة وهذا ما سنحاول رصده من خلال الإجابة عن الظروف التي نشأت فيها الكنفدرالية [4].

1.3.ميلاد الكنفدرالية

إن ميلاد كنفدرالية الحنانشة بدأ يأخذ شكله منذ امتزاج سليم بهوارة الذين أخذوا عنهم اللغة وعادة العيش تحت الخيم [5] وإن كانت النصوص التاريخية متوفرة في العهد الحفصي إلى حد مالكن مع بداية القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي أصبحت فيها النصوص نادرة فكان كتاب ابن أبي دينار (ت.1091هـ/ 1698م) المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، والكتاب الباشي لصاحبه حمودة ابن عبد العزيز (ت .1202هـ/ 1788م)[6] من أهم الكتابات التي تحدثت عن هذه المرحلة إضافـــة إلى المقال الغزير في

.

[1]- ملف مراسلات بايات قسنطينة،(م.أ.و.ق)

[2]-Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Tribu Hannencha.,*op.cit*.

[3]-الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم 2144، (أ.و.ت).

[4]-Peyssonnel et Desfontaines,*op.cit.,*p.293

[5]- عبد الرحمان ابن خلدون،كتاب العبر، المصدر السابق،ص.142.

[6]- حمودة ابن عبد العزيز،الكتاب الباشي، تحقيق الشيخ محمد ماضور:قسم السيرة ،الدار التونسية للنشر ،تونس،1970ج1.

المجلة الإفريقية1291هـ/ 1874م، وإن اعتمد فيه بشكل كبير على المشافهة وشهادات المسنين .

في الواقع أصبحت الحنانشة أكثر بروزا خلال القرن 10هـ/16م، أين جلبت إليها الكثير من القبائل التي كانت تهرب من رقابة الحفصيين ثم الأتراك لأن العيش في نظرهم تحت سلطة الشيوخ يوفر لهم هامشا من الحرية [1]،كما شكلت خلال هذه المرحلة حليفا قويا للشابية [2]التي باتت تشكل تهديدا مباشرا للسلطة الحفصية ومن بعدهم الأتراك [3].

وردت إشارات عديدة في بداية القرن السادس عشر ميلادي تتحدث عن الحنانشة كقوى مهيمنة على ما سيعرف لاحقا بالحدود الجزائرية التونسية فـ "مارمول" يذكر أن مولاي الحسن السلطان الحفصي أنشأ قصرا بقسنطينة ليلجم من هناك السكان العرب و هم أسياد الريف القسنطيني الذين هم أكثر شجاعة والأكثر شهرة بافريقية ويسمون أولاد حناش .[4]وعندما جاء خير الدين بربروس إلى تونس عام940هـ/1534م أين كان الصراع مشتدا بين الأخوين رشيد والحسن على عرش تونس الحفصية، أين طلب رشيد النصرة من القسطنطينية ضد أخيه الذي سلبه العرش،جاء خير الدين الذي فتح له التونسيون الأبواب[5]، وجَلبا لدعم سكان الأرياف البارزين في صفه راسل الحنانشة الذي بعث لهم برنوس وأعلن لهم أنه من يمسك بالسلطان الحسن ويجلبه سيحصل على 30 ألف دوسة .كان رد الحنانشة على خير الدين الذي يسعى في السيطـــرة على تونس أنه إذا أراد تثبيـــت حكمـــه يجب أن

[1]-Laugier De Tassy, *Histoire du royaume d'Alger avec l'état présent de son gouvernement ,de ses forces de terre et de mer et de ses revenus ,police ,justice, politique et commerce* , Henri du Sauzet , Paris.p.127.

[2]– نسبة إلى الشابة قرية بتونس ظهرت كحركة صوفية خلال القرن الـ 15م ثم ما لبثت أن تحولت إلى حركة سياسية أسست دولة عاصمتها القيروان،ناهضت السلطة الحفصية من الشرق والتهديد العثماني من الغرب تفكك حلفها نهائيا سنة 1680م ولنا في الفصول القادمة تفاصيل حولها .

[3]– العدواني،المصدرالسابق،ص.336

[4]–مارمول كاربخال شارك في حملة شارلكان ضد تونس سنة 942هـ/1535م وبعد مغادرة الأسطول الإمبراطوري لتونس بقي مارمول في شمال إفريقيا في مهمة كلفه بها شارلكان وطال مقامه في هذه البلاد 22 سنة .

[5]– ابن أبي دينار، المصدر السابق،ص.ص.171-173

يعفيهم من الالتزامات المالية التي كان يفرضها السلطان الحفصي عليهم سنويا وكان التزام خير الدين أن ذلك سيكون بإرادتهم. إن هذه الواقعة تؤكد على ما باتت تشكله الحنانشة في هذه المرحلة من قوة في المنطقة التي تحت نفوذها [1].

في صيف من عام941هـ/1535م وبعد حملة ملك إسبانيا شارلكان(Charles-Quint) على تونس وعند عودته أرسل قسما من أسطوله للاستيلاء على مدينة عنابة التي ترك بها قوات تحت قيادة دون ألفار قوميز زكال (Don Alvar Gomez Zagal)، هذا الضابط الذي كان يتحدث اللغة العربية لأنه شغل كمترجم مع شارلكان عند إقامته بتونس، عند استقرار دون ألفار بعنابة دخل في علاقات مع السكان المستقرين بضواحي عنابة أين تمكن من جمع الكثير من المعلومات حولهم ،وفي تقرير أرسله من عنابة إلى الإمبراطور شارلكان (Charles-Quint) بتاريخ06 رجب942هـ/13 سبتمبر 1535م من ضمن ما ذكر فيه أنه جمعه لقاء مع عبد الله شيخ مرداس واحد من الشيوخ ذوي النفوذ في قبيلة الحنانشة الكبيرة [2].

وفي مذكرة حررت في الفترة نفسها من قبل برناردينو ديمندوزا (Bernardino de Mendoza) حول رؤساء القبائل في مملكة تونس تشير في نفس الوقت إلى شيوخ الحنانشة وبعض القبائل الأخرى الموجودة حينها في تراب الجزائر،هذه المذكرة التي ترجمها فيرو جاء فيها " ...يتشكل أولاد يعقوب[3] من ثلاث مشيخات تقود 1700 فارسا ويعد الشيخ عبد الله بن أحمد بن المهدي قائدهم الرئيسي حيث يقود 1000 رمحا (فارسا) وهو تحت حكم خير الدين، تقع هذه الدواوير (تجمع خيم في شكل دائري) بتقرت وبسكرة في الصحراء، الشيخ الثاني يسمى أحمد بن خالد الذي يقود 200 رمحا وتقع دواويره في نفس الأقاليم السالفة، والثالث هو أحمد بن الحاج سالم الـــذي يقود 500 رمح وتقع دواوير الشيخين

[1] -L.Ch. Féraud,*op.cit.,*p.136

[2]– فرت القوات التركية من مدينة عنابة ومعها بعض السكان حيث لجؤوا في الجبال المجاورة والبعض الآخر رافق خير الدين إلى مدينة الجزائر ،كما أن القوات التركية التي عادت من تونس عبر البر وقعت قسنطينة تحت نفوذهم .يرجى الرجوع إلى:

L.Ch. Féraud,*op.cit.,*p.139

[3]–أولاد يعقوب بن علي شيخ الدواودة الذين قادوا لقرون صحراء بسكرة .يرجى الرجوع إلى:

L.Ch. Féraud,*op.cit.,*p.140

في الأقاليم نفسها السالفة الذكر[1]. في قسنطينة يوجد ثلاث قيادات: الدواودة يستطيعون 1000رمحا الأول هو شيخ أولاد صاولة، والآخر شيخ أولاد سبع والثالث شيخ أولاد عيسى ،تقع دواويرهم من قسنطينة إلى غاية حدود بجاية،كلهم عرب وبأعداد كبيرة ويوجد أيضا من ضمن هؤلاء العرب بعض الشيوخ والشخصيات الرئيسية لأنهم يخضعون إلى ثلاث مشيخات يسمون: الحنانشة يرأسهم شيخان الأساسي يسمى المرداسي بن ناصر بن أحمد مرداس الذي يقود 1000رمح تقع دواويره على مسافة يومين جنوب عنابة في مكان يسمى تبسة [2]، والآخر يسمى عبد الله بن السودة يقود 1500 رمح تقع دواويره مع الآخرين "[3].

كل هذه القرائن السالفة الذكر تؤكد على ما باتت تشكله الحنانشة من قوة محلية خلال القرن الـ 10هـ/ 16م أين كانت من بين المدعمين للشابية إلى جانب النمامشة والحراكتة [4]، في هذا الحين شكلت هوارة النواة الصلبة لكنفدرالية الحنانشة والتمييز بين العرب والبربر زال نهائيا ،وأصبح مصطلح العرب يقصد به تقريبا البدو وبالتالي أصبح مدلولها اجتماعيا وليس إثنيا[5].

وبسقوط دولة الشابية بتونس على يد درغوث باشا القادم من طرابلس العثمانية سنة964هـ/1557م فتح هذا الحدث بداية لعهد جديد تميز بتركيبة إثنية في الوسط القبلي الذي توزع بين شرق الجزائر وغرب تونس، أصبحت فيه الحنانشة تهيمن على الوطن الحـــــدودي الممتد من جبـــال .

[1]–أحمد بن خالد وأحمد بن الحاج سالم هما عضوان من عائلة الذواودة الذين كانوا على مشيخة صحراء قسنطينة.يرجى الرجوع إلى :

L.Ch. Féraud,*op.cit.,*p.140

[2]–المرداسي بن ناصر هو واحد من أعضاء عائلة أحرار الحنانشة. يرجى الرجوع إلى :

L.Ch. Féraud,*op.cit.,*p.140

[3]– حسب فيرو (Charles Féraud) عبد الله هو الجد الأول لعائلة بن شنوف التي تعيش اليوم ببسكرة وتقود فرقة أولاد صاولة التي تعيش وقتها ضواحي الكاف وسهول أولاد يحي بن طالب بتبسة، يرجى الرجوع إلى :

L.Ch. Féraud,*op.cit.,*p.140

[4]- L.Ch. Féraud« Ain Beida»,*R.A.*16 ,(1872),p.408

[5] -S.Alouani,*op.cit.,*p.206

الخمير شمالا إلى غاية تبسة ونحو الصحراء جنوبا [1].

2.3.البنية والمجال

استطاعت كنفدرالية الحنانشة أن تجمع من حولها الكثير من القبائل الجزائرية والتونسية خاصة وأن انتساب القبائل إلى غير أصولها ميزة غدت تطبع بلاد المغرب منذ وفود الهلاليين إلى المنطقة فانضمت قبائل بسبب ضعفها وأخرى خضعت بقوة السلاح، لتشكل الحنانشة في النهاية قوى محلية بامتداد في الجزائر ونفوذ نحو تونس يجمع بين حدود البحر في قاعدة بوحجار بالقالة شمالا إلى عمق الصحراء جنوبا [2] ومن ضواحي قسنطينة شرقا أو ما يعرف بـ "حفرة الحنانشة" [3] إلى عمق الأراضي التونسية غربا[4].

لقد عثرت في الأرشيف الوطني التونسي ضمن كراساته على وثيقة أشارت إلى بعض الفصائل القبلية المكونة لكنفدرالية الحنانشة وتعود هذه الوثيقة إلى سنة 1035هـ/1626م، وهي عبارة عن حجة عدلية من أعيان «**أرق**»[5] فيتبعيتهم لتونس ومن باب التذكير فقد حددت الأستاذة فاطمة بن سليمان أرق بقلعة سنان التي كانت تحت نفوذ الحنانشة [6]، ولا بأس أن نشير في هذا الصدد إلى بعض ما جـــاء

.

---

[1]- بيار كاستال، حوز تبسة، تعريب، العربي عقون، مطبعة بغيجة حسام، الجزائر،2010 ،ص،176.

[2]-Peyssonnel et Desfontaines,*op.cit.*,.p.293

[3]–تقع حفرة الحنانشة أو ما باتت تعرف لاحقا بشعبة الحنانشة على بعد حوالي 37 كلم جنوب شرق قسنطينة (تقع اليوم بإقليم بلدية عين عبيد ولاية قسنطينة) وهي منطقة رعوية بامتياز، وحول شعبة الحنانشة يرجى الرجوع إلى:

- Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Terres Azel, Tribu Zenatia, 176,(04 juin 1870),D.R.C.C.

[4]–حافظة 212،ملف 229، وثيقة رقم 17،(أ. و. ت).

[5]- حافظة 212 ملف 229، وثيقة رقم 17 ،(أ. و. ت).

[6]– فاطمة بن سليمان،الإيالة التونسية والبناء الترابي وتكون الهوية الترابية، رسالة دكتوراه دولة،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تونس الأولى،2005،ص 102.

فيها «...**الحمد لله حضر لمن يشهد بعد جماعة من أعيان البلد المعروف بأرق ومن رؤسائهم المكرم الفقيه القارئ سيدي مبارك بن عبد الله البباري، وأخوه سيدي محمد بن عبد الله والمكرم عبيد بن سعد الغلوسي ...وكلهم من قبيل الغلالسة، والمكرم الفقير نصر بن بدية البباري، والمكرم الفقير محمد بن عبد الله ...وكلهم من قبيل أهل بابار، والمكرم الأجل سيدي نور الدين بن إبراهيم، والمكرم محمد بن عبد ربه، والمكرم أبو الكرم بن فضال ...وكلهم من حفدة الشيخ المقدس المرحوم سيدي عرفة الشابي [1] نفعنا الله به، والمكرم علية بن محمد، والمكرم محمد بن عبد الله ...وكلهم من قبيل أهل الجرف، والمكرم حسن بن جربوع، والمكرم إسماعيل بن يوسف ...وكلهم من قبيل ابن واشكون والمكرم سعد بن علي، والمكرم معيوف ...وكلهم من قبيل أهل الجديرة والمكرم ضيف الله بن منصور، والمكرم إبراهيم بن وديان ...وكلهم من قبيل أهل يزليتن [2] والمكرم ضيف الله ابن أبي الفضل والمكرم محمد بن أبي الهادي ...وكلهم من قبيل سيدي عبيد، والمكرم عمر بن نصير ..وكلهم من قبيل دريد ...**»[3].

إن هؤلاء الأعيان الواردة أسماؤهم في الوثيقة ينتمون إلى بعض الفصائل المكونة لكنفدرالية الحنانشة (الغلالسة وبني بابار وبني واشكون وأهل الجرف وأهل الجديرة وأهل يزليطن وأولاد سيدي عبيد، الشابية، دريد) [4]وإن كانت بعض هذه المجموعات هي من مناطق بعيدة مثل الغلاسنة بضواحي تلمسان بالجزائر ويزليطن بطرابلس فهو ما يطرح تساؤلا عن أبعاد هذا الاستقرار في مجال عرف بارتباطه بالحنانشة ؟

[1]-عرفة الشابي (788هـ/1473م- 949هـ/ 1542م) هو أحد زعماء الشابية وسنتحدث عنه بشيئ من التفصيل في الفصول القادمة .

[2]- يؤكد عبد الحميد هنية أن بني يزليطن هم إحدى المجموعات المستقرة بمجال الحنانشة وفي إطار البحث عن أصولهم وجد أنها قد تكون منحدرة من يزليطن بطرابلس ،يرجى الرجوع إلى :

كراسات الأرشيف، وثائق من القرنين السادس عشر والسابع عشر،الأرشيف الوطني التونسي،2009 ، ص.11

[3]- حافظة 212 ملف 229 وثيقة رقم 17،(أ. و. ت).

[4]- فاطمة بن سليمان، المرجع السابق،ص.103

قدم لنا بدوره أحد الدفاتر الجبائية الموجود بالأرشيف التونسي ويغطي الفترة مابين سنة 1170 هـ/1756م إلى 1192هـ/1779م قدم لنا أسماء بأهم القبائل الحدودية التي عاشت في مجال الحنانشة فوردت أسماء كل من الزغالمة وأولاد بوغانم والغرابة وطانة افريقية وقلعة سنان وأولاد سيدي يحي بن طالب وقرفة وزاوية الشابية والنمامشة [1] وفي مصادر أخرى وردت كل من الخمير وبني مازن وأولاد علي ووشتاتة وأولاد سديرة وويلان[2] وأولاد خيار [3] والحراكتة وأولاد ضحية [4] والناظور ومهونة والنبايل بضواحي قالمة وتبسة والأوراس الشرقي وورغة وشارن وأولاد بوغنام والفراشيش وكامل الجنوب من الزيبان حتى نفطة بالتراب التونسي [5].

إن كل هذه المجموعات القبيلة الواردة سلفا، تؤكد أن كنفدرالية الحنانشة ضمت في بنيتها قبائل مختلفة الأصول ومتنوعة الأوطان، فمنها من عاشت على تراب الشرق الجزائري وأخرى بغرب التراب التونسي، وإن حاولنا رصدها إجمالا كما تقدم،سنسعى فيما يأتي تقديم شيئ من التفصيل عن هذه البنية القبيلة وتوزيعها الجغرافي في كل من الجزائر وتونس .

1.2.3- بنيتها القبلية وتوزيعها على التراب الجزائري

كان شيخ الحنانشة يدير 16 قبيلة أغلبها تعيش في الجبال "جبايلية" وممن عرفوا باسم الحنانشة كانوا يشكلون فرسان الشيخ ويحملوا اسم "زمالة " أو " دايرة المزارقية "،كانوا معفون من دفع الضرائب ويرافقون الشيخ في خرجاته، أما ست عشر قبيلة والتي بقيت حتى بعد تفكك الكنفدرالية ضمن مركبها كقبيلة سنحددهم ضن الجدول الآتي :

[1]- الدفتر الجبائي :رقم 2144، (أ. و. ت).

[2]-Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Historique de la tribu,Tribu Ouillen,*op.cit.*

[3]-Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Historique de la tribu,Tribu Ouled Khiar,*op.cit.*

[4]-Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Historique de la tribu, Tribu Ouled Dhia.,238 (15 février 1890),D.R.C.C.

[5]-L.Ch. Féraud, les Hrar*, op.cit.,*p.22

جدول رقم–03– قبائل من إيالة الجزائر ضمن كنفدرالية الحنانشة[1]

القبيلـــــــــــة	موطنـــــــــــها
الحنانشة (دايرة المزارقية)	السهول
عناصر تيفاش	السهول
النبايل	السهول
المشاعلة	الجبـــل
أولاد بن شياح	الجبـــل
بني صالح في الجنوب	الجبـــل
أولاد مسعود	الجبـــل
أولاد ضحية	الجبـــل
المقناح	الجبـــل
أولاد مومن	الجبـــل
الشيابنة	الجبـــل
أولاد سيدي عيسى	الجبـــل
بني بربار	الجبـــل

[1]-Ministre de la guerre ,*Tableau de la situation des établissement française dans l'Algérie* ,.imprimerie, Royale, Paris.1840,vol.3, P.139

-

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولاد خيار	الجبل
أولاد عيايشة	الجبل
بني مسلم	الجبل

أما أهم القبائل الأخرى التي عاشت بالشرق الجزائري وكانت منضوية تحت كنفدرالية الحنانشة نذكر: النمامشة[1] وأولاد سيدي يحي بن طالب وأولاد سيدي عبيد وقرفة وأولاد علي وويلان والحراكتة وأولاد ضحية والناظور ومهونة وغيرهم أين توزع أغلبهم على طول الحدود الشرقية الجزائرية مع تونس فيما تركزت أخرى في عمق الشرق الجزائري[2].

فمن القبائل التي تمركزت بالجبال أيضا نذكر النمامشة الذين عاشوا بجبال الأوراس الشرقي مستقلين عن سلطة الأتراك [3] أين تشكلوا تاريخيا من ثلاث فرق رئيسية هم البرارشة والعلاونة، وأولاد رشاش [4] احترفوا الرعي والترحال الموسمي بين الأوراس وعمق الصحراء إضافة إلى ممارسة نشاط زراعي معاشي قائم خاصة على الحبوب، وقد شكلوا مع الحنانشة قوة ضاربة في المنطقة حيث يمكن للنمامشة أن يجمعوا في حالة الحروب 2500 فارس و 4000 من المشاة [5]وعاشت في شمال تبسة وجنوبها وضمن نفوذ الكنفدرالية قبائل مرابطية، هما أولاد سيدي يحي بن طالب شمالا و أولاد سيدي عبيد جنوبا، هذه الأخيرة التي امتهنت الرعي بالدرجة الأولى خاصة وأن القسم الجنوبي من أراضيها عبارة عن أراض رملية،فكانوا يقومون برحلات موسمية من أجل البحث عن المراعي، ففي شهر نوفمبر أو ديسمبر ومع حلول البرد يغادرون إقليمهم حيث ينزلون للصحراء مع قطعانهم ويبقون إلى غاية شهـــر أفريـــــل .

[1]-L.Ch. Féraud,« Note sur Tebessa», *R.A*, 18,(1874),p.449

[2]-رغم أن الخريطة التي أنجزها عبد الكريم بجاجة عن توزيع قبائل الشرق الجزائري جاء ت متأخرة (1863-1887م) إلا أنها تبقى تقدم لنا صورة تقريبية عن توزيع قبائل شرق الجزائر .وحول هذه الخريطة يرجى الرجوع إلى:

Abd el kerim Badadja, *les anciennes tribus de l'Est Algérien (1867-1887)*.Mémoire de DEA en géographie .Université de Constantine ,1974.

[3]-Louis Rinn,*le royaume d'Alger sous le dernier dey* ,grand Alger livres, Alger,2005,p. 193

[4]-L.Ch. Féraud, *ibid.*p.451

[5]-بيار كاستال،المرجع السابق،ص ص.174-176

ومع طيب زرعهم يعودون مع ماعزهم وأغنامهم[1] أما ضواحي قالمة فعاشت كل من الناظور ومهونة والنبايل وحول وادي مجردة وعلى الحدود التونسية عاشت قبيلة أولاد خيار ذات الأصول البربرية [2] وقبيلة أولاد ضحية [3] وقبيلة ويلان العربيتان[4]، فهذه الأخيرة أخذت منها الحنانشة كتابها ومستشاريها مثل أسرة أحمد بن علي الذين تولوا هذه المناصب، وكان آخرهم الشيخ الحسناوي بن المبارك الذي فر إلى الأوراس بعد خلافه مع الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة (1242هـ/1826م-1253هـ/1837م)، وعند انشقاق أسرة الحنانشة إلى فرعين انضمت أسرة أحمد بن علي إلى فرع "منصر" فيما انحازت أسرة الرزقي وأولهم منصور الرزقي إلى فرع "نصر" لكن كلتا الأسرتين هما من قبيلة ويلان وقد حدثنا العدواني الذي عاش خلال القرن السابع عشر ميلادي عن المسمى "عابد بن سعيد" الذي شغل وظيفة مستشار لدى الحنانشة أين عاصر الكثير من شيوخها والذي لا نستبعد أن يكون من أسرة ويلان[5].

..

---

[1]-P. Mutati,«Le maraboutisme ou la naissance d'une famille ethnique dans la région de Tebessa» , *R.A* ,80, (1937).p.293

[2]–أصولهم بربرية تعود إلى قبيلة النمامشة حيث تقول الروايات أن 100 فارس من أخيار فرسانها انفصلوا عن النمامشة لذلك أخذوا اسم أولاد خيار،أين استقروا في محيط الحنانشة على الحدود التونسية أين ارتبط تاريخهم بها،تشكلوا من الفرق الآتية:حمامة ومراهنة وعرارة وعيايدة وأولاد سقياس وبني بربار.أحصت الإدارة الفرنسية عدد سكانها سنة 1868بـ 13150 نسمة بمساحة 90000هكتار.ألحقت إداريا بالبلدية المختلطة سوق اهراس مقاطعة قالمة .يرجى الرجوع إلى :

Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Historique de la Tribu, Tribu Ouled Khiar,*op.cit*

[3]–أصولهم عربية ارتبط بدورهم تاريخهم بالحنانشة تشكلوا من ستة فرق هي:أولاد زغودي وأولاد خالد وأولاد طالب وأولاد ادريس،أولاد زايد وأولاد بشية أحصت الإدارة الفرنسية عدد سكانها سنة 1890بـ 8569 نسمة بمساحة 40000 هكتار. ألحقت إداريا بالبلدية المختلطة سوق اهراس مقاطعة قالمة.يرجى الرجوع إلى :

Procès- verbaux du Sénatus Consulte, Historique de la Tribu, Tribu Ouled Dhia,*op.cit.*

[4]–أحصت الإدارة الفرنسية عدد سكانها سنة 1869م بـ 9124 نسمة وبمساحة 45501 هكتار تشكلت من الفرق الآتية:بني ياحي ونبايل ودايرة وأولاد غنيم وخضارة وأولاد مومن وحدادة .ألحقت إداريا بدائرة سوق اهراس .يرجى الرجوع إلى:

Procès- verbaux du Sénatus Consulte,Historique de la Tribu, Tribu Ouillen,*op.cit.*

[5]- محمد العدواني،المصدرالسابق،ص.212

وهكذا استطاعت كنفدرالية الحنانشة أن تجمع ضمن نفوذها في الحدود الشرقية للجزائر قبائل وفروع قبائل وأسرا اختلفت أصولها بين عربية وبربرية، وتنوعت مواطنها فيما توزعت مهامها داخل الكنفدرالية مما منحها وزنا محليا،لا شك سيلقى بضلاله على مجريات الأحداث على طول الحدود مع تونس، وسيوفر جوا من الصلات والعلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس في ظل وجود قبائل تونسية كانت بدورها تعيش تحت نفوذ الحنانشة وتتمركز جغرافيا غرب تونس .

2.2.3-بنيتها القبلية وتوزيعها في التراب التونسي :

إن القبائل التي تبعت كنفدرالية الحنانشة بالتراب التونسي وعاشت خاصة على الحدود الغربية لتونس نذكر أولاد بوغانم ودريد والزغالمة والخمير وشتاتة والفراشيش وشارن وأولاد سديرة وورغة[1] بالإضافة إلى بعض الأسر الموسعة مثل بني معمري وبني زنداي وتوبسة وأولاد سلام وبني سقوال [2] وتوزعت هذه القبائل على التراب التونسي على نحو متباين، فيما تبقى خريطة توزيع أغلبها لا يمثل سوى واقع هذه القبائل ابتداء من منتصف القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي، ولا يذهب الظن بنا إلى أن هذا التوزيع يشكل ذلك الواقع في كل العصور، إنما هو آخر مرحلة من مراحل المجموعات القبلية من حيث الاسم والمجال الجغرافي وطبيعة النشاط الاقتصادي الذي في كنفه اختلفت أنماط عيشها [3] فمنها من عاشت في المناطق الجبلية وسموا بـ" الجبايلية" مثل وشتاتة الذين عرفوا بجبالية الشمال الغربي أين تعاطوا الأنشطة الفلاحية المختلفة لا سيما تربية الماشية وزراعة الحبوب وبعض الأنشطة التجارية مع المراكز التجارية الأجنبية المنتصبة على الساحل مثل طبرقة وجبالية السلسلة الظهرية، وهم موزعون في شكل مداشر(دشرات) ويشكلون مجموعات قبلية صغيرة تقطن قرى معلقة بسفوح الجبال مثل قلعة سنان أين يتعاطون الزراعات المتنوعة(جانب منها مسقي بواسطة تهيئة الجبل في شكل مسطحات متدرجة)[4].

.

[1]- Charles Monchicourt, *la Région du Haut Tell en Tunisie (Kef, Tebersouk, Mactar),* Arnand Colin , Paris.p.275

[2]- احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص.26.

[3]- عبد الحميد هنية، المرجع السابق، ص.41

[4]- المرجع نفسه،ص.34

وفي جنوب البلاد التونسية نجد " ورغمـــــة " وهي كتلة قبلية ضمت سدرة وتزغدانة وقلعة وتشوت وقطوفة وبني يخزر عاشت في المناطق الجبلية هيئت المرتفعات للقيام بغراسات قليلة، وبسهول شمال السلسلة الظهرية والمتاخمة لوادي مجردة الوسطى نجد أولاد سديرة وفي سهول التل العلوي وهضابه مثل دريد [1]، ونجد قرب الكاف مجموعات قبلية صغيرة مثل الزغالمة وشارن وأولادبوغانم [2].

ومن مميزات المجموعات القبلية المستقرة في شمال السلسلة الظهرية تعاطيها نشاطا فلاحيا مستقرا يقوم على زراعة الحبوب أساسا وعلى تربية الأغنام بدرجة ثانية .وفي وسط البلاد التونسية نجد قبيلة الفراشيش وهي من ضمن القبائل الشبه رحل، وتتواجد بجنوب السلسلة الظهرية إلى حدود شط الجريد[3] أي في منطقة السباسب العليا والسفلى والنشاط الاقتصادي الأكثر تكيفا في هذه البيئة هو النشاط الرعوي، كما أنها تعد من القبائل المحاربة وهذه الخاصية هي نوع من أشكال التكيف مع نمط عيشهم الذي يستلزم منهم حماية محيطهم الرعوي وحماية قطعانهم الدائمة التنقل[4].

3 .3.أحرار الحنانشة : شيـــوخ الكنفدراليـة

في المعركة التي دارت رحاها بتونس سنة621هـ/ 1224م ضد ابن غانية الميورقي تحدثت المصادر عن حناش بن ونيفن قائد هوارة الذي انتصر على ابن غانية أين شعر بنشوة التفوق التي كان يحققها في كل مرة ضد خصومه.[5]وسعيا في الحفاظ على خاصية الكبرياء والغطرسة التي كانت سائدة حينها وسطهم، حرص قواد هوارة على الانصهار ضمن العرب هؤلاء الوافدين الجـــــدد الذين باتوا يشكلــون

---

[1]–عبد الحميد هنية، المرجع السابق،ص.35

[2]– عاشت حوالي عشرين مجموعة قبلية صغيرة قرب مدينة الكاف مثل ونيفية وأولاد يعقوب وورتان والخمامسة.والتي بحكم وقوعها في المجال الذي كان تحت نفوذ الحنانشة نعتقد أنها كانت ضمن البنية القبلية لكنفدرالية الحنانشة . يرجى الرجوع إلى :

احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص ص،25، 26، 52، 53

[3]– الجريد سمي نسبة إلى جريد النخل يقول عنه حسن الوزان :هو إقليم يمتد من تخوم بسكرة إلى تخوم جزيرة جربة وهذه البلاد شديدة الحرارة كثيرة الجفاف وتنتج كمية وافرة من التمر الجيد الممتاز من مدنه توزر، قفصة .يرجى الرجوع إلى :

الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2،ص.142.

[4]– عبد الحميد هنية، المرجع السابق،ص.ص.37،36

[5]- الزركشي، المصدر السابق،ص.26

وزنا في بلاد المغرب ويهددون مكانتهم وسط القبائل الأخرى[1] فوجدنا في الشجرة العائلية التي خطها ابن خلدون لهوارة أسماء بربرية امتزجت بأخرى عربية فحناش بن ونيفن كان من نسله من حملوا تسميات عربية مثل عبد الواحد وسليم و ساري [2] وبذلك استطاع النسل الذي جاء من بعد حناش وبفضل هذا الانصهار الإثني مع قبائل بني سليم من حفظ مكانتهم الممزوجة بالكبرياء والغطرسة التي جبلوا عليها فيما صانوا أصولهم الأولى البربرية باقتران اسمهم بـ **"الأحرار"** أي ذوي الدم النقي،وبالتالي فهم حافظوا واحتفظوا في آن واحد،فحافظوا على مكانتهم واحتفظوا بأصولهم فعرفوا بأحرار الحنانشة [3].

حَكَمَ كنفدرالية الحنانشة شخص من أسرة "أحرار الحنانشة " يحمل اسم شيخ في الوقت الذي عجزت فيه أسر أخرى عن تحقيق هذا النوع من المكاسب، مثل أسرة بني مراد حكام قبيلة قرفة [4] أو أسرة ابن عيسى حكام قبيلة الحراكتة[5] وغيرها من الأسر التي عاشت تحت نفوذ الحنانشة فقد توارث الأحرار مشيخة الحنانشة لثلاثة قرون من حكم الأتراك للجزائر، حاولوا خلالها صون هذا المكسب وسط الأسر والقبائل الأخرى التي كانت متحدة معهم وملتفة حولهم، وإن كان ابن خلدون قد أكـــــد

.

---

[1]-L.Ch. Féraud ,Les Hrar,*op.cit*,p.128

[2]– ابن خلدون، المصدر السابق،ص.142.

[3]– الأحرار قد يكون مدلولها الإنسان الحر لكن في رأيي استبعدت هذا المعنى عن الحنانشة.

[4]– قبيلة قرفة عاشت على طول وادي الشارف،بلغ نفوذها غرب دايرة الزناتية كما عثرنا في الأرشيف التونسي على سجل بالإحسانات التي كانت تحضى بها قرفة وأسرة بني مراد شيوخ القبيلة من قبل بايات تونس وحول هذه الهدايا يرجى الرجوع إلى:

-الدفتر الجبائي :رقم 2144،(أ. و. ت).

[5]–الحراكتة قاعدتها عين البيضاء،وهي من القبائل القوية الشكيمة كانت قيادتها حكرا على المقربين من الباي حيث يعين على رأسها موظف من المخازنية يحمل لقب قائد العواسي نسبة إلى أولاد عيسى،وقد شغل هذا المنصب العديد من الشخصيات مثل صالح باي وأحمد باي وحول القبيلة يرجى الرجوع إلى :

-L.Ch. Féraud ,« Ain Beida»,*op.cit.,*pp.402- 419./-Babés Leila.*op.cit*,pp.316-320

-فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس،قسنطينة،2005،ص ص،91-93

على أن هذا النوع من المكاسب (المشيخة) إنما يتأتى بقوة عصب وسط الأعصاب الأخرى[1] .

عاش أحرار الحنانشة مع الكنفدرالية الحدودية التي كانوا يحكمونها مستقلين عن السلطتين في الجزائر وتونس، لأن المشروع التركي في البلدين كان يجر وراءه مشروع المركزة التي تهدد مؤسسة الشيخ خاصة وأن الفترة الحديثة ببلاد المغرب سجلت بروز العديد من الأسر التي ارتقت بأدوارها لتسجل حضورها في المشهد السياسي، من خلال سعيها لتأسيس حكم عائلي يستند إلى نفوذ مركزي دعائمه مشروعية الباب العالي، فوجدنا الأسرة المرادية قد استحوذت على حكم تونس (1040هـ/ 1631م – 1114هـ/1702م)، وبعدها الأسرة الحسينية (1114هـ/ 1702م – 1375هـ/ 1956م)[2] كما استأثرت الأسرة القرمانلية بحكم ليبيا (1329هـ/ 1711م – 1245هـ/ 1830 م)[3].

لكن الأحرار كانوا على خلاف ذلك فحاولوا أن يؤسسوا لحكم هامشه الحرية ودعائمه نفوذ حيوي ضمن فضاء جغرافي واسع يتداخل بين البلدين جاعلين من الطبيعة الحصينة والمفتوحة ملجأ لهم ومركزا لسلطتهم، جسدته قلعة سنان هذه الجبال المعزولة التي تنتهي بسطح على شكل طاولة مساحتها 80هكتار، وترتفع بـ 1272 متر حيث توجد بها منابع وآبار وقرية هامة بنيت على سطحها، أين يقود إليها طريق واحد ضيق جدا هذه القلعة التي لا يمكن التضييق عليها إلا من خلال التجويع أو المفاجئة [4].

.

.

[1]– عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص.122

[2]– عبد الحميد هنية، المرجع نفسه، ص ص ، 133- 200

[3]–محمود علي عامر ومحمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث: المغرب الأقصى،ليبية،الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق،ص.208

[4]-T.Shaw, *op.cit.,*p.206

صورة لقلعة سنان [1]

وكانت أول ثمار استقلاليتهم اعتراف السلطة المركزية بحكمهم، أين تمت مساواة شيوخ الحنانشة مع باي قسنطينة أمام سلطة الباشا بالجزائر، فالخلعة التي يرسلها حاكم الجزائر وبعد أن يلبسها باي قسنطينة يبعث بها إلى شيخ العرب (الذواودة) وبعده إلى شيخ الحنانشة ويعرف وظيف العرب ووظيف الحنانشة بوظيف القفطان، لأن ولايتها كولاية الباي وهو تقليد اتفق عليه الأطراف الثلاثة (الأتراك، الحنانشة، الذواودة) منذ دخول الأتراك إلى قسنطينة وتعيين عليها أول باي [2] كما خَولَ لهم حق استعمال الطابع الذهبي على غرار الباي وقرع الطبول، ورفع الأعلام الخاصة أثناء سير الحامية كما كان جوق الباي يرافقهم من قصر الباي حتى مقر إقامتهم بعاصمة البايلك قسنطينة كلما حضروا لتقديم ما عليهم من ضرائب [3].

لقد ورد في الشجرة العائلية التي ضمنها فيرو في آخر صفحات دراسته قائمة بأسماء شيوخ أحرار الحنانشة،مدعمة بتاريخ توليهم المنصب فجاء أول تاريخ لخالد الكبير المسمى بوزغودة الذي تولى المشيخة عام936 هـ/1530م لتتسلسل الأسماء في الشجرة العائلية ضمن ترتيب تصاعدي وتواريخ تنازلية كان آخرهما عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر عام1246 هـ/1830م كل من طراد بـــن خالـــد .

[1]–كمال الشاربي، الكاف في أثر كنوز الملك يوغرطة:حصن معلق في السماء ،الشروق،(21. 06. 2009)، ص ص 7،6.

[2]– ابن العطار، المصدر السابق، ص.124

[3]-Ministre de la guerre ,vol.3,*op.cit.,* P.139

-*ibid,*pp.318,319

من فرع نصر وحمانة بن إبراهيم من فرع منصر [1].

هذا و برز على ساحة الأحداث في كل من الجزائر وتونس العديد من شيوخ أحرار الحنانشة مثل خالد الصغير بن ناصر الذي شارك إلى جانب ابن صخري شيخ العرب بالصحراء في ثورة سنة1048هـ/1638م ضد الأتراك بالجزائر [2]، والذي قال عنه ابن أبي دينار" كان خالد المذكور أشهرهم سمعة بين قبائل العرب وله منعة وعدة وقائع مع عسكر الجزائر عمر عمرا طويلا ومارس الحروب وكان يتشامخ بأنفته على العمالة التونسية ويمتد في وطنها لأنه مجاور لها ويتعرض إلى محلتهم فيستكفون شره ويهادنونه بالهدايا"[3].

بوفاة خالد الصغير ترك ولديه الابن البكر نصر والابن الأصغر منصر هذا الأخير الذي أعترف به الأتراك كشيخ على الحنانشة بدلا من أخيه الأكبر،ليكون هذا الحدث بداية لتفكك الحنانشة إلى فرعين متنافسين على مشيخة الحنانشة فرع الابن البكر **نْصَرْ** وفرع الابن الأصغر **مَنْصَرْ**، واستغل بايات قسنطينة وبايات تونس هذا الانقسام ليحاول كل طرف أن يجعل من أحد الفرعين حليفا له ضد الفرع الآخر فقد حدثنا القيرواني أنه سنة 1085هـ/1675م وبعد وفاة مراد باي تونس نشب الصراع بين ولديه "محمد" و"علي" على حكم تونس فلجأ محمد إلى الشيخ المرداسي بن الصغير من فرع نصر في المقابل لجأ أخاه علي إلى سلطان بن منصر ليدخل الطرفان في صراع طويل أجج الانقسام داخل الحنانشة، وقد أكد أحد الدفاتر الجبائية هذا الانقسام الذي أصبح واقعا عند الحنانشة فأصبح كل فرع يسمى على اسم الشيخ الذي يحكمه ففي سنة 1170هـ/1756م كان شيخ الحنانشة من فرع نصر هو إبراهيم بن بوعزيز فورد اسمهم في الدفتر باسم " حنانشة ابراهيم" بينما سنة1173 هـ/1759م كان شيخ الحنانشة من فرع منصر هو محمد بن سلطان فجاء اسمهم في الدفتر نفسه بـ" حنانشة محمد بن سلطان" [4].

---

[1]- حافظت الإدارة الفرنسية على تولي هذه الأسرة لمشيخة الحنانشة فعينت كل من خالد بن الشيخ علي من فرع نصر عام 1872م،وإبراهيم بن منصر من فرع منصر الذي عين بدوره على صافية الحنانشة عام 1872م.

[2]-Adrien Berbrugger «Notes relative à la révolte de Ben Sakhri»,*RA*,10,(1866),pp,341-349

[3]– ابن أبي دينار، المصدرالسابق،ص.236

[4]- الدفتر الجبائي :رقم 2144،(أ. و. ت).

هذا ويظهر من خلال الدفتر نفسه أنه أصبح لكل مشيخة حاشيتها وكتابها وخدمها مستقلين بذاتهم عن مشيخة الفرع الآخر،وهو دليل عن مدى قوة شيوخ الحنانشة في خلق توازنات داخل الكنفدرالية تحافظ على كيانهم واستقرار مؤسساتهم (مؤسسة الشيخ) أمام الأتراك سواء في الجزائر أو في تونس الراغبين دائما في فرض هيمنتهم على الرعية [1].

جدول رقم–04– فرعا حنانشة إبراهيم ومحمد بن سلطان مع بعض موظفيهم

حنانشة إبراهيم		**حنانشة محمد بن سلطان**	
اسم الشخص	**الوظيفة أو الصفة**	**اسم الشخص**	**الوظيفة أو الصفة**
عمر بن بوزيان	كاتب	الموهوب بن محمد بن سلطان	ممثل الشيخ عند باي تونس
الشيخ ابراهيم	سايس	سعيد	كاتب
السعيد بوزيان	كاتب	نصر بن علي	سيار
العطافي	من الحاشية	أحمد المناعي	كاتب
علي بن بهلول	سيار	محمد بن عبد الرحمان	سيار

.

[1]– الدفتر الجبائي :رقم 2144،(أ. و. ت).

رغم الانقسام الذي وقع في مشيخة كنفدرالية الحنانشة من بعد وفاة خالد الصغير إلا أن شيوخها الذين جاؤوا من بعده من الفرعين صانوا مكانتهم كأسياد على الحدود الجزائرية التونسية ومن هؤلاء الشيخ بوعزيز والد إبراهيم، الذي تحدثنا عنه سلفا، فبوعزيز الذي كان بايصونال (Peyssonnel) شاهدا على بعض الأحداث التي وقعت في زمانه عام1136 هـ/1724م هو وجه برز في الصف الأول في الساحة السياسية لمدة ثمانية وعشرون سنة،وترك في وطنه ذكريات حية تخفق لها قلوب الحنانشة، فكانت له من القوة ما تمكنه من تجميع ما بين 04 إلى 05 آلاف فارس فيما تحالف معه الكثير من شيوخ القبائل مثل الحاج إبراهيم شيخ قرفة،وعلي بن علي شيخ بيت بوكاز.كان بوعزيز كغيره من شيوخ الحنانشة يستقبل خلعة الولاية من الجزائر [1] كتب بايصونال (Peyssonnel) عن بوعزيز يقول"...السلطان بوعزيز هو شيخ وطن الحنانشة الذي يقع على الحدود الجزائرية التونسية بنوميديا ويمتد حتى الصحراء، هو من بيت قديم مهابا في وسطه، وأخضع آخرين ،كان دائما يدفع بقوة الأتراك وهو غالبا في حرب ضد باي تونس أو باي قسنطينة كان قويا ويستطيع تجميع ثمانية آلاف فارس ويلقبه الحنانشة بالسلطان"[2].

سنة 1136هـ/ 1724م تعرض الشيخ بوعزيز إلى هجوم من قبل باي قسنطينة وباي تونس فهزمه باي قسنطينة كليان حسين المدعو بوكمية من قبل خليفته الذي كان على رأس القوات، وهنا تبرز ملحمة ابنته علجية بنت بوعزيز بن نصر التي لبست أجمل ثيابها وامتطت جوادها مخاطبة نساء الحنانشة اللواتي امتطين بدورهن خيولهن أين أسمعتهن كلاما أجج من مشاعرهن فقالت فيهن" بما أن هؤلاء الرجال لا يمتلكون الشجاعة لدحر الأتراك الذين سلبونا أمام أعينهم فسنذهب نحن لنبيع حياتنا وشرفنا بثمن غال ولن نبق مع هؤلاء الأنذال" واستطاعت علجية بما التف حولها من قوات من تشتيت قوة الأتراك بحسب هذه الرواية الشفوية [3].

[1]-Peyssonnel et Desfontaines,*op.cit p.,*292

[2]-*ibid,*p.293

[3]-*ibid,*p.294

إن هذه الواقعة تؤكد إصرار أفراد أسرة الأحرار رجالا ونساء على دفع كل خطر قد يتهددهم وينزع عنهم شرفا توارثوه جعل منهم دائما على رأس مشيخة الحنانشة، وقد احتفظت الذاكرة الجماعية لأفرادها بمعركة "فج مراو" التي خاضتها علجية دفاعا عن هذا الشرف ضمن قصيدة طويلة ومشهورة مطلعها :

قَصة طَرات شَاو الزمان يا حُظار مع التُرك الخداعين يا حَســـرة

طاحوا صغار شاو النهار يا حُظار الكل مضوا الأجْواد قاع بالغْدار

ما اعتاه نهار فَجْ مراو ماذا صـــار عـادْ العْجـاجْ يْبان فيـــه رَبرْبة [1]

لتنتهي القصيدة في الأخير بالأبيات الآتية

حَسراه على الحنانشة موفي الجْواد طار المعـاش وعَادت مذلـــة

كبارها تنفات للخـــــلا نادات يدور على الشْعاثْ يعملوا زلة

بَرْكاو من شر الأفتان واعملوا الأمان واخزيوا كل شيطان باش تتهنوا

ضَحْكوا علينا الأرذال فسْدوا الأحوال عادوا الجبايْلية ياخْذوا العادة

إن سجية القوة والمهابة التي أحدثها أحرار الحنانشة في نفوس من حولهم، جعلت سلطة البلدين في كل من تونس والجزائر تسعى لربط علاقات مصاهرة مع شيوخها، فحدثنا ابن أبي الضياف عن زواج علي باي تونس عام 1086هـ/1675م من ابنة شيخ الحنانشة سلطان بن منصر وأولدها ابنه مراد[2] ومن الجزائر حاول صالح باي قسنطينة (1185هـ/ 1771م – 1206هـ/ 1792م) مصاهرة شيخ الحنانشة إبراهيم بن بوعزيز[3].

[1]L.Ch Féraud,les Hrar,*op.cit.,*p.214

[2]- ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج2.ص.49.

[3]-L.Ch. Féraud, *op.cit.,*.357

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1

1

الفصل الثاني

العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر وتونس قبل انقسام مشيخة الحنانشة 936هـ /1530 م- 1054هـ / 1644م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

01- في عهد الشيخ خالد الكبير(936هـ/1530م – 941هـ/1535م)

يعد خالد الكبير المدعو " بوزغودة " أول شيوخ الحنانشة الذي ذكر بتاريخ توليه مشيخة الحنانشة في العهد العثماني، وذلك سنة936هـ/1530م، فيما كانت تونس في هذا التاريخ لا زالت تحت الحكم الحفصي الذي بدأ يتفكك فيما تأخر إلحاقها بالسلطة العثمانية إلى سنة 982هـ/ 1574م .

شهدت هذه الفترة نشاط حركة صوفية عرفت بالطريقة الشابية نسبة إلى قرية " الشابة " الواقعة بالقرب من المهدية بتونس[1]، ومؤسسها هو " أحمد بن مخلوف الشابي " خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر ميلادي ، وهو من مواليد بلدة الشابة نفسها سنة 834هـ/1431م، ويعود إلى عائلة من بني سليم تسمى كعوب، حصلت على إقطاع من الأرض تحيط بمدينة قديمة رومانية تسمى الشابة[2]. كان شيخا صوفيا مثقفا انتقل إلى القيروان وتولى إمامة مسجدها « حمة الباي »، فنال شهرة واسعة وثقة كاملة، الأمر الذي جعله يحصل في تلك المناطق على جمهور كبير من الأتباع والأنصار. وبعد أن توفي أحمد بن مخلوف سنة 898هـ/ 1492م خلفه ابنه الأكبر محمد الذي لم تدم مدة رئاسته للطريقة الشابية سوى قرابة الثلاث سنوات ليتوفى بعدها. ومنه تولى الرئاسة الابن الثاني " عرفة بن أحمد بن مخلوف " (877هـ/1473- 949هـ/1542م)[3]. وقد تزامن نشاط "عرفة الشابي " مع حكم خالد الكبير للحنانشة وقبل أن نستعرض نشاط الشابية في فترة حكمه سنتناول بشكل مقتضب التعريف بالشابية وكيف وجدت مكانتها وسط الحنانشة ؟ .

كانت فلسفة الطريقة الشابية التي نادى بها " أحمد بن مخلوف " الذي اتخذ من مدينة القيروان مقرا له قائمة على العلم"الباطن " الذي يقوم على الوجدان عكس العلم الظاهر القائم على العقل، فيما دعت الطريقة إلى الزهد ونبذ الترف والبذخ وتجنب السير وراء الدنيا والالتزام بالعبادات حتى ترقى روح الإنسان ليكون في مستوى ولي الله في الأرض، كما حثت على الجهاد ضد المسيحيين الذين باتوايهددون السواحل التونسية، إضافة إلى الدعوة إلى الوحدة ببعدها الديني والسياسي والتي تؤسس لمركزية سياسية تظهر في شكل دولة مستقلة بذاتها [4].

---

[1]– ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.162.

[2]-L.Ch . Féraud,'' Ain Beida*'',op.cit*.,p.408

[3]-إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، منشورات ثالثة،الأبيار،الجزائر،2007. ص.236

[4]– علي الشابي، أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية ، الدار التونسية للنشر، تونس ، 1979، ص.ص 20-25

لم تتوان الطريقة الشابية في بث دعوتها وسط القبائل البدوية بصورة خاصة من خلال استعمال لغة مبسطة بعيدة عن الخطاب الذي يستعمله الفقهاء، موظفة القصص والكرامات التي من شأنها أن تبسط المفاهيم. وكانت أولى جماعات الرحل التي تبنت الطريقة الشابية هي الحنانشة مع القبائل التي كانت تتبعها مثل النبايل، ومرداس، والحراكتة، وبني باربار، والفراشيش، وشارن، وأولاد بوغانم، وورغة، والخمير وغيرها من القبائل التي كانت تحت نفوذ الحنانشة في ذلك العهد. ويعود الفضل في نشر الطريقة الشابية وسط الحنانشة إلى شخصية من وسط الجماعات نفسها والذي كان أحد تلامذة أحمد بن مخلوف وهو" نصر بن أحمد المقنعي الحناشي " نسبة إلى " مقنعية " بضواحي سوق أهراس، حيث كان أول لقاء جمع بين شيخ الطريقة والمقنعي عندما قصده هذا الأخير للاستفسار عن بعض الأمور التي وجدها غامضة في أحد كتب التوحيد التي اطلع عليها، ليجيبه الشيخ مقدما له كل التوضيحات لأن المقنعي كان يرى وقتها في أن أحمد بن مخلوف أكثر العلماء شهرة ودراية في الفقه. وقد تقاطت مصالح الطرفين ففي الوقت الذي وجد المقنعي ضالته في أحمد بن مخلوف الذي أصبح أحد تلامذته رأى فيه أستاذه ملاذا يكسب من خلاله أبرز القبائل قوة ونفوذا حيث كلفه بنشر الدعوة الشابية وسط جماعته الحنانشة التي كانت تنتشر حينها في الشمال (شمال القيروان) ممتدة من ضفاف وادي مجردة وشرق الأوراس إلى تبرسق بتونسوبهذا الالتحام تحققت القوة والنفوذ لدى الشابية حيث تغيرت موازين القوى لصالحها ضد الحفصيين وأصبحت الطريقة الأكثر انتشارا وسط القبائل. وأسند أحمد إبن مخلوف لتلميذه الثاني " أحمد الغوث التباسي التوزري " الذي التقى به لأول مرة بمكة سنة 878هـ /1473م نشر الطريقة لدى قبائل الجنوب بالبلاد التونسية [1].

بعد وفاة أحمد بن مخلوف عام 897هـ/1492م ترك لنسله ظروفا ملائمة مثلتها كنفدرالية الحنانشة التي تشد أزرهم فخلفه ابنه محمد الذي توفي بدوره بعده بثلاث سنوات فقط عام 900هـ/1495م، ومنه تولى الرئاسة الابن الثاني عرفة بن أحمد بن مخلوف (877هـ/1473م-949هـ/1542م) الذي عرفت معه الحركة الشابية انطلاقتها الحقيقة خاصة لما أضاف لها البعد السياسي، حيث عمل جاهدا لأجل توحيد القبائل تحت سلطتها الروحية والسياسية والمحافظة على استقلال ولاية القيروان من تنافس الأتراك والإسبان بعد اضمحلال الدولة الحفصية. حيث شهدت فترة توليه الشابية انتفاضته على الأمير الحفصي " أبي محمد بن الحسن" الذي تقلد الحكم سنة 932 هـ/1526م حيث ثار ضده بالقيروان أين

[1]-S. Alouani,*op.cit*.,pp.157,158

كان حينها عرفة هو من مرابطي هذه المدينة حسب تعبير ابن أبي دينار أين قام على السلطان الحسن وبايع لرجل من لمتونة اسمه يحي أوقفه في السلطنة وادعى أنه حفصي قدم من المغرب وتم له الأمر وهو في الحقيقة لم يكن كذلك [1] وفي أيام الحسن حسب ابن أبي الضياف استولى الأتراك على قسنطينة عام 932هـ/1526م[2].

ولد عرفة في السنة التي حج فيها والده سنة 877هـ/1473م وكان ملازما له طوال حياته حيث أظهر مهارات خاصة عند مساعدته له في نشر مبادئ الشابية، وعند بلوغه سن الواحد والعشرين أصبح يملك رصيدا روحيا وماديا وسط القبائل، وبوفاة محمد بن أحمد بن مخلوف سنة 900هـ/1495م كان عرفة يرى في نفسه الوريث الوحيد القادر على أخذ زمام الشابية لكنه اصطدم بمنافس قوي عنده نفس الطموح وهو" قماش المسعودي الحناشي " الذي يعود إلى إحدى فرق الحنانشة وهم أولاد مسعود الذي يمتد وطنهم في سوق أهراس وضواحيها، حيث كانوا في السابق متحالفين مع الحفصيين ليصبحوا بعدها من أتباع ابن مخلوف أين غدوا من رؤوس مجلسه، وقوة يستعملها في حروبه، فيما القماش الحناشي تبناه الشيخ ابن مخلوف وكبر مع أولاده وفي حياته عينه مقدما للطريقة، وكان أكثر قبولا من عرفة كي يكون ثالث شيخ للطريقة الشابية خاصة وأنه كان يرى في عرفة أقل منه سنا، وأنه ينحدر من الحنانشة القبيلة القوية التي تشكل حينها الدعامة الحقيقية للشابية [3].

وانفجرت القضية بين الطرفين عندما كان الاثنان (قماش الحناشي وعرفة الشابي) في زيارة إلى أولاد مسعود قبيلة القماش الذين انقسموا إلى صفين بين مؤيد لعرفة ومؤيد للقماش، حيث حاول أتباع الأخير قتل عرفة الشابي ليفسح المجال للقماش كي يكون على رأس الشابية، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل لينتهي هذا الصراع بالإقصاء النهائي للقماش الحناشي من كل مسؤولية داخل الشابية وبالتالي وجد كل الحنانشة أنفسهم ينساقون وراء عرفة الشابي. وتعد هذه سابقة في الوسط القبلي القائم على العصبية أين انتصرت جماعات الحنانشة لشخص غريب عنها على حساب أحد أفرادها وبالتالي هذه الحادثة كانت مؤشر لعهد جديد يكون فيها الولاء لغير القبيلة أو الشيخ ولا شك أن مرد ذلك هو الفراغ السياسي الذي أحدثه انهيار السلطة المركزية الحفصية الأمر الذي جعل من قوى سياسية مثل

[1]- إبن أبي دينار، المصدر السابق، ص.162.

2- ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص.191.

[3] - S. Alouani,*op.cit*.,p.161

الشابية تعمل على ملئه من خلال إقامة مركزة سياسية، وقد كانت الحنانشة تدفع بهذا المشروع إدراكا منها أن الروابط الدموية أو العصبية القبلية غير قادرة على بناء كيان سياسي مركزي أوسع من القبيلة لذلك وجدت في تبنيها لدعوة دينية ما يحقق لها هذا الغرض[1].

كان للحنانشة في عهد الشيخ خالد المدعو بوزغودة دور كبير في تحقيق مكاسب لصالح الشابية التي بنت هياكلها على طابع تقليدي قوامه موارد مادية تعتمد على الضرائب وقبائل محاربة،وقد لعبت جماعات الحنانشة كلا الدورين فقد كانت تتوفر على فرسان مخزن منقسمين إلى مجموعات في وسط القبائل المنضوية تحت نفوذها حيث يمارسون دور الرقابة السياسية وفي نفس الوقت يجمعون الضرائب لحساب الشابية وقد كانت الحنانشة بدورها تدفع هذه الضرائب [2] وتسمى هذه الضريبة التي تدفعها حوالي أربع عشرة قبيلة " الزكـــاة "وأحيانا " العـــادة " أو " عـــادة الشابي" هذه الضرائب التي فتحت المجال لتبعية آلية للقبائل انتقلت من الحنانشة الكنفدرالية إلى الطريقة الشابية التي تمكنت من توسيع قاعدتها التي مركزها القيروان لتشمل بشكل كبير الحنانشة وحلفاءها في التل الأعلى: خمير، وأولاد بوغانم، وفراشيش النبايل، وشارن، وورغة، وبعض الأتباع في إقليم الصحراء بالجنوب إضافة إلى قبائل عربية بربرية جديدة مثل أولاد سعيد والهمامة وأولاد بليل والنمامشة والذواودة وطرود[3] وأولاد دريد الذين سيتولون مهمة الحراس الشخصيين للشابية والذي سيطلق عليهم ابن أبي دينار لاحقا اسم " تلامذة الشابية "[4].

اختارت الشابية مدينة القيروان عاصمة لها في عمق التراب التونسي، وكان لهذا الاختيار عدة مدلولات أهمها الاقتصادية التي تعكس الطابع القبلي الذي اتصفت به الحركة الشابية، فالقبائل التي انضوت تحتها لوائها وعلى رأسها الحنانشة كانت قبائل بدوية تعتمد على الرعي والترحال الموسمي لذلك

[1]- حول العصبية القبلية يرجى الرجوع إلى :عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص. 102،103.

[2]-L.Ch. Féraud ,les Hrar,*op.cit*.,pp.22,147

[3]-طرود قبيلة عربية موطنها الأصلي باجة بتونس واستقرت أواخر القرن 07 هجري بسوف ونفطة وقد قال عنها العدواني في صراع الشابية والأتراك وموقفها أنها كانت تميل حيث تكون العطايا. يرجى الرجوع إلى :محمد العدواني، المصدر السابق ،ص.181

[4]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.162

أطلق عليها شارل فيرو تسمية "جمهـــورية الشابيـــة الرعويـة "[1]، حيث لم يكن لهذا النوع من القبائل وجهة ساحلية محضة منفتحة على المتوسط والدول الخارجية، بل وجهتها كانت داخلية قائمة في الكثير من جوانبها على اقتصاد متوازن يقوم على النقاط الكبرى للإنتاج الفلاحي في البلاد التونسية وشرق الجزائر، حيث شكلت مدينة القيروان المركز الذي تلتقي فيه هذه النقاط التي تتوزع في الجهات الأربع (شمال جنوب، شرق وغرب) .

ففي الجنوب واحات الزاب والجريد المنتجة للتمور، وفي منطقة الوسط والشرق التي كانت عبارة عن منطقة انتقالية بين التل والصحراء حيث كانت هذه البيئة أكثر تكيفا مع النشاط الرعوي تشكلها السباسب العليا والسفلى، حيث توجد مثلا قبيلة الفراشيش وبالأوراس الشرقي أين عاشت النمامشة وأولاد سيدي يحي بن طالب وأولاد سيدي عبيد وكلها قبائل كانت تحت نفوذ الحنانشة التي أشرنا في محطات سالفة إلى غنى مجالاتها بالثروة المائية والنباتية التي تساعد على هذا اللون من النشاط[2].

وفي الشرق نجد المنطقة الساحلية المنتجة للزيوت، وفي الشمال المنطقة المنتجة للحبوب أهمها سهول تيفاش التي حدثنا عنها حسن الوزان الذي زار إقليم قسنطينة وتونس في بداية القرن السادس عشر ميلادي، فمن جملة ما ذكره عنها ازدهارها اقتصاديا وتعميرها من قبل الحنانشة الذين جعلوا من مدينة تيفاش كمستودع للحبوب التي يجنونها [3]، ولا شك أن هذه الوفرة في إنتاج الحبوب في إقليم الشمال الذي تتربع عليه الحنانشة كان من العوامل الرئيسية التي جعلت من التونسيين يقصدون سوق مدينة عنابة التي كانت تعقد خارج أسوارها كل يوم جمعة وتستمر حتى المساء ليشتروا منها القمح مستعملين السفن لنقل كميات هامة من هذه المادة [4].

---

[1]-L.Ch. Féraud ,*op.cit*.,p.145

[2]– حياة الرعي والترحال لازمت الحنانشة كنشاط طيلة ثلاثة قرون من الوجود التركي بالجزائر لذلك سنتطرق إلى هذا النشاط في كثير من محطاتنا القادمة. هذا وقد أحصت الإدارة الفرنسية امتلاك القبيلة لحوالي 1865 خيمة تستعملها للإيواء والترحال .حول ذلك يرجى الرجوع إلى:

Procès – verbaux du Sénatus Consulte, Tribu Hannencha, *op.cit*

[3]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ص.63

[4]–المصدر نفسه، ص.62

وبالتالي لم تكن العوامل الدينية وحدها هي التي وطدت العلاقة بين الشابية والحنانشة في هذه المرحلة بل العوامل الاقتصادية بدورها فعلت فعلتها خاصة لما اختار الشابية مدينة القيروان عاصمة لهم جمعت من حولها مختلف الأنشطة الفلاحية ومركزا تستقبل فيه مختلف الوفود وشيوخ القبائل مثل وفود الحنانشة التي كانت تتردد على القيروان، حيث استقبل عرفة الشابي واحدة من هذه الوفود التي كان على رأسها عبد الله المرداسي واحد من الشيوخ ذوي النفوذ في كنفدرالية الحنانشة ضواحي مدينة عنابة أين تستقر قبيلة مرداس العربية[1] إضافة إلى تردد القبائل على التجارة بتونس مما جعلهم يتصلون بعرفة الشابي مثل طرود[2].

ونظرا لما شكلته القيروان من مركز ثقل سياسي واقتصادي بالنسبة للشابية والقبائل الملتفة حولها فقد كانت محل أطماع الأتراك الذين استولوا على تونس بقيادة خير الدين بربروس سنة 940هـ/1534م فيما كان الشابية ينظرون للأتراك كعدو خارجي يجب محاربته ودحره عن ديارهم لذلك أعلنوا الحرب على خير الدين بربروس سنة 940هـ/1534م، حيث جهزوا جيشا قوامه 12ألف مقاتل وقصدوا تونس ولما وصلوا إلى موضع يقال له الدخلة (في تراب بئر العاتر بتبسة والبعض من تراب تونس) حققوا انتصارات على جيوش الأتراك، ولما بلغ الخبر إلى خير الدين استجار بحاكم طرابلس ضد الشابية وقد أرسل إليه المدد أين تلاقت جيوش الطرفين وتقاتلت يومين ففي اليوم الأول قتل من الشابية 40 فارسا ومن جيش خير الدين 140 فارس وفي اليوم الموالي قتل للشابية 130 من الخيل ومات لخير الدين 50 فارسا، ولما كان وقت الظهر هربت قوات خير الدين ولحق الشابي في أثرهم إلى السلوقية أين مات لخير الدين خلق كثير، لكن المدد الذي كان يصل خير الدين مكنه في الأخير من دحر الشابية والاستيلاء على مدينة القيروان سنة 940 هـ/1534م[3].

حاول خير الدين في المقابل استمالة الحنانشة إلى صفه كونه أدرك وزنها الجغرافي والعسكري حيث راسل شيخها خالد الكبير وأرسل له برنوس، فيما كان الشيخ متخوفا من التبعية للأتراك التي رأى فيها

[1]-L.Ch. Féraud ,*op.cit.*,p.139

[2]-إبراهيم العوامر، المرجع السابق، ص.228

[3]-العدواني، المصدر السابق،ص ص. 256-262

ستثقل كاهله بالضرائب التي سيفرضونها مثلما كان حالهم مع حكام بني حفص قبل أن يتبعوا الشابية لكن خير الدين رد بأن هذه المطالب ستؤخذ بإرادتهم و دون أذى يذكر أو قوة مفرطة [1].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا فضل الحنانشة جمع الضرائب ودفعها لصالح الشابية فيما كانوا في السابق يدفعونها على مضض للسلطان الحفصي ورفضوا دفعها للأتراك ؟ ما وجه الشبه الذي جمع الحفصيين بالأتراك؟ هل هي المركزية التي يستندون إليها والتي تهدد مكانة الحنانشة وتحد من حريتهم ؟ أم أن الطريقة الشابية نجحت في تحوير الضرائب التي كانت تجمعها في صورة زكاة التي تعد ركنا من أركان الدين التي لا يحق لأي مسلم التخلف عن أدائها ؟ .

02.في عهد الشيخ سلطان (941هـ/1535م – 980هـ/1572م)

انتقل في عهد الشيخ سلطان الذي خلف خالد الكبير النشاط الاقتصادي للقبائل المنضوية تحت لواء الشابية إلى تيفاش في عمق مجالات الحنانشة، كون هذه الأخيرة القوة الوحيدة التي بقيت محافظة على توازنها ونفوذها أمام التهديدات الحفصية أو التركية، وبالتالي لها من الإمكانية ما يضمن أمن وسلامة التجار الذين يقصدون تيفاش من أقاليم جزائرية وتونسية ليبتاعوا ويشتروا، خصوصا وأن هذه الأخيرة تتوفر على مسالك ودروب هامة كنا قد تطرقنا إليها في عنصر محطات وطرق من الفصل الأول، وقد أكد مارمول كاربخال على أهمية تيفاش في هذه المرحلة وهو الذي شارك في حملة ملك إسبانيا شارل الخامس (Charles-Quint) ضد تونس سنة 942هـ/1535م بعد استيلاء خير الدين عليها حيث استجار السلطان الحفصي الحسن (931هـ/1525م- 949هـ/1542م) بشارلكان (Charles-Quint) لاسترداد عرشه وقد لبى الملك نداءه وقاد أسطولا يضم 400 سفينة و30.000 مقاتل توجه بها إلى تونس سنة941هـ/1535م أين أعاد السلطان الحسن على عرش تونس مقابل أنه دخل تحت حماية الإسبان بمقتضى معاهدة 27محرم 942هـ/06أوت 1535م [2].

---

[1]-L.Ch. Féraud ,*op.cit*.,p.136

[2]– فرض الإسبان على السلطان الحسن عدة شروط سنة 941هـ/1535م من ضمنها تسريح الأسرى المسيحيين وعدم قبول القراصنة وحرية التجارة لفائدة المسيحيين وحق صيد المرجان ودفع 12000 قطعة نقد ذهبية في السنة لتغطية مصاريف الحامية العسكرية الاسبانية وحقهم في بناءحصن بحلق الوادي .يرجى الرجوع إلى:

وبعد مغادرة الأسطول الإمبراطوري لتونس بقي " مارمول " في شمال إفريقيا في مهمة كلفه بها شارلكان (Charles-Quint) وطال مقامه في هذه البلاد 22 سنة، لذلك جاء حديثه عن تيفاش متزامنا مع الأوضاع التي أصبحت سائدة وقتها، حيث تحدث عن وجود سوق كبيرة بتيفاش تنعقد خلال أيام الأسبوع تقصدها القبائل من كل جهة، وبسبب هذه السوق الكبيرة فقد آثر الكثير من السكان العيش حولها لما تدره من مداخيل على مرتاديها [1].

في المقابل وبتحالف السلطان الحفصي الحسن مع الإسبان جلب له سخط السكان وفقد شرعيته الضرورية في الحكم، الأمر الذي أدى إلى مزيد من التفكك السياسي للأسرة الحفصية وتقلص نفوذها وتوزعه لصالح قوى سياسية واجتماعية مختلفة، كانت على رأسها الحنانشة المتحالفة وقتها مع الشابية فتضاءلت موارد الأسرة الحفصية الذي كان سندهم قبل ظهور الشابية، تلك القبائل المنتشرة على طول الطرق التجارية حيث كانت توفر للحفصيين الحماية الكافية لقوافل تجارتها الصحراوية، وعلى إثر هذه التحولات التي شهدها القرن السادس عشر ميلادي سترتد الأنشطة التجارية نحو الشمال تاركة المجال الصحراوي [2] .

وقد حدثنا ابن أبي دينار أنه في عهد السلطان الحسن الذي سمح للإسبان الذين ساعدوه في استرداد حكمه بالسماح لهم ببناء حصن (الباستيون)على السواحل التونسية، فذكر أنه في تلك المدة عمر الباستيون وفصلت أسواقه وحوانيته وعمر بالإسبان ونال أهل تونس من أهل الباستيون ما لم ينالوه من غيرهم [3].

ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.176.

[1]-L.Ch. Féraud ,*op.cit*.,p.127

[2]– عبد الحميد هنية، المرجع السابق، ص.78.

[3]– ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.176.

ولم يكن باستيون الجزائر أقل أهمية من باستيون تونس فقد بني أول مرة سنة 930هـ/1524م على بعد حوالي 60كلم شرق مدينة عنابة و10 كلم غرب القالة من قبل الفرنسيين بعد موافقة السلطان العثماني، حيث أصبح بدوره يشكل نقطة ارتكاز هامة في المعاملات التجارية مستقطبا القبائل نحوه في اتجاه الساحل الشمالي، خاصة تلك المنتشرة في محيطه مثل مرداس والحنانشة، لأن معاملاته باتت تهتم بشراء القمح و الصوف و الجلود و الشمع و ومنتوجات أخرى التي توفرها هذه القبائل وهو ما بات يوفر مكاسب قارة وتجارة على مرمى حجر من نفوذ الحنانشة [1]، وذلك بعيدا عن عمق الصحراء وحدود شرق الجزائر و دواخل تونس التي لم تكن أوضاعها مستتبة نظرا لانتشار اللصوصية والحروب التي غدت تخوض غمارها الشابية [2].

على نفس الساحل وليس بعيدا عن حصن الباستيون في اتجاه الشرق أين تقع جزيرة طبرقة التي سيطرت عليها إحدى العائلات الكبرى من جنوة وهي أسرة " آل لومولييني " (Lomellini) التي ضمتها إلى أملاكها عندما قام بتسليمها لهم نائب ملك صقلية " فرناند دو غونزاغ " (Fernand de Gonzague) في ¨جمادى الأول 949هـ/سبتمبر 1542م فظلوا يسيطرون عليها مدة قرنيين وأثناء ذلك بنوا بها حصن واعتنوا بدفاعاته وعملوا على تطوير صيد وتجارة المرجان وتصدير الحبوب التي كانوا يشترونها من السكان [3].

في نفس السنة استولى السلطان أحمد ابن السلطان الحفصي الحسن على ملك والده بعد أن فقأ عينيه وسجنه، وهي نفس السنة التي توفي فيها عرفة الشابي حيث ترك الشابية ضمن انتشار واسع يمتد من " السباسب " والجريد بتونس إلى الأوراس والشرق القسنطيني بالجزائر و خلف عرفة ابن أخيه " محمد بن أبي الطيب "، الذي حاول نشر نفوذ الشابية من جديد في مناطق أخرى ومطاردة الفئات التي لم تعترف بسلطتهم الروحية، لكن هـذا الإجراء أغضب سكان القيروان التي استرجعـــها الشابية

[1]-L.Ch. Féraud, *Histoire des villes de la province de Constantine ,la Calle,et documents pour servir a l'histoire des anciennes concessions*, Trois couleurs ,Alger,1877.p.92

[2]– العدواني، المصدر السابق، ص ص.17-183

[3]-Peyssonnel et Desfontaines,*op.cit*.,pp.260-265

سنة 944هـ/1538م لأنهم أرهقوا نتيجة الحروب المتكررة [1] ولم يزل محمد بن أبي الطيب يحارب في السلطان احمد إلى أن أخذ القيروان من يده درغوث باشا حاكم طرابلس سنة 964هـ/1557مموقتله ففرت أشياعه من القيروان وسكنوا البادية [2] .

سقطت الشابية بتونس في هذه السنة على يد درغوث باشا الذي لم يكن معه سوى 3500 رجل وخلف " محمد الزفزاف " ابن عمه محمد بن أبي الطيب الذي هرب مع أتباعه إلى الجنوب الغربي إلى مناطق يصعب الوصول إليها، حيث استقر مع أتباعه في المنطقة التي تمتد من توزر إلى بسكرة وبالتالي لم تعد القيروان عاصمة للشابية منذ تاريخ 964هـ/1557م، لكن كيف نفسر سقوط " الجمهورية الرعـــوية الشابيـــــة " وعاصمتها القيروان بتونس ؟.

لا شك أن عوامل كثيرة ساهمت في إسقاطها وإن كان الكثير من الباحثين خاضوا في أسباب هذا النكوص والإخفاق إلا أنهم في اعتقادنا أهملوا الحديث عن دور الحنانشة فيما حدث، خاصة وأن هذه الأخيرة، كانت في أوج نفوذها وقوتها خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، وتشكل سند قوي للشابية، وهذا ما سنحاول تداركه في هذه الأسطر [3].

إن المتأمل في خريطة توزيع نفوذ الحنانشة خلال هذه المرحلة يجد أنها تمتد على ما سيعرف لاحقا بالحدود الجزائرية التونسية، وتتوغل في التراب التونسي إلى ضواحي " تبرسق " وبالتالي فقد شكلت حاجز أمان حال دون توغل الأتراك من جهة الغرب نحو القيروان أي من جهة الجزائر التي كانت حينها تحت النفوذ التركي، وبالتالي كان دخول " درغوث باشا " إلى القيروان عبر المهدية الواقعة في الشرق وهو ما يؤكد أن الدعامة الحقيقية للشابية كانت جهة الغرب، وما يثبت هذا الرأي الذي نذهب بالقول به هو أن الشابية لما سقطت عاصمتهم القيروان لم يلبث مقامهم طويلا بالجنوب الصحراوي، الذي لجئوا إليه هرويا من ملاحقة الجنود الأتراك، لتكون وجهتهم بعدها في اتجاه الغرب متوغلين في شـــرق

---

[1]-L.Ch. Féraud ,les Hrar,*op.cit*.,p.142

[2]–ابن أبي دينار،المصدر السابق،ص.162

[3]– من ضمن الأسباب التي ذكرها عبد الحميد هنية عدم تكافئ التقنيات الحربية بين الطرفين وتحالف أعيان مدينة القيروان مع الأتراك أنظر هنية، المرجع السابق، ص.91/ أما صالح علواني فمن ضمن ما ذكره هو كثرة الأعداء الذين كانوا يتربصون بالطريقة أنظر:

S. Alouani,*op.cit*.,p.163

الجزائر الذي كان حينها تحت نفوذ كنفدرالية الحنانشة التي لم يكن لأتراك الجزائر بعد سلطة عليها خاصة وأن الأوضاع لم تستقر لهم بعد بقسنطينة، فالاضطرابات والفتن طبعت مشهد المدينة مثل الفتنة التي وقعت سنة975هـ/1567م وذلك بعد أن ثار أهل قسنطينة على الحامية التركية الموجودة بالمدينة وشكوها للباي لارباي محمد بن صالح رايس [1].

هذه الفتن التي جعلت من قسنطينة آخر مقاطعة يعين عليها أول باي، حيث استغل حاكم الجزائر محمد بن صالح رايس هذه الأوضاع المضطربة ليعين أول باي على قسنطينة في نفس السنة (975هـ/1567م)[2]، فيما تأخر أكثر تعيين حاميات تركية على المدن الواقعة في أقصى الشرق الجزائري والذي ظهر بعضها لمحاربة الشابية مثل حامية " تبسة " التي ظهرت سنة 1060هـ/1650م[3].

هذه الأوضاع التي كان يعيشها الشرق الجزائري كانت في صالح الشابية، فعوض ما كان سائدا من التفاف القبائل حول عاصمة الشابيين القيروان التي أصبحت تحت سلطة الأتراك، نقل القائمون على هذه الحركة مركز ثقلهم في عمق نفوذ الحنانشة حرصا منهم على صون حضورهم وسط القبائل التي مازالت تدين بولائها لهذه الطريقة، والدفاع عن نفوذها الذي بات يتهدده الأتراك.[4]

ولم يهمل القائمون على الشابية حساباتهم الاقتصادية عند توغلهم في عمق مجالات الحنانشة بالبلاد الجزائرية والتي من شأنها أن تؤمن لهم مصادر دخل تحافظ على توازنهم كقوى باتت منافسة للأتراك لذلك حافظوا على المحور الأفقي الذي تمركزوا عبره والذي يجمع بين التل والصحراء فـ"عين شبرو" ضواحي تبسة التي سيجعل منها الشابية معسكرهم المعتاد [5] تقع على خط القيروان بانحناء طفيف نحو

---

[1]-عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي،بيروت 1987،ص.48

[2]- فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة،2005،ص ص.51،50

[3]-Charles Monchicourt, « La frontière algéro-tunisienne dans le Tell et dans la Steppe », *R.A*.82,(1938),p.3

[4]- شهدت الحنانشة خلال القرن السادس عشر ميلادي أوج امتدادها وذلك من القالة وعنابة شمالا إلى الزاب والجريد جنوبا ومن عمق الغرب التونسي إلى عمق الشرق الجزائري. يرجى الرجوع إلى:

عبد الحميد هنية، المرجع السابق،ص.87.

[5]- العدواني، المصدر السابق،ص.173

الجنوب ولعين شبرو التي تقع شمال غرب تبسة في محطة فاصلة بين التل والصحراء لموقعها دلالة اقتصادية سنستعرضها في محطاتنا القادمة، هذا وكما يتوفر مجال الحنانشة في مجمله على ظروف طبيعية واقتصادية مثل الثروة الهيدروغرافية والسهول الواسعة الملائمة للكثير من الأنشطة الرعوي، والفلاحية فقد سجل لنا العدواني أن عبد الصمد الشابي سيقوم بفلاحة سهول باغاي لحسابه الخاص [1] .

سيحمل لواء الشابية بعد سقوطها في القيروان عبد الصمد الشابي الذي يتصل نسبه بأحمد بن مخلوف الشابي جد الشابية،فهو عبد الصمد بن محمد بنور بن عبد اللطيف بن أبي الكرم بن احمد بن مخلوف الشابي الهذلي انتقلت أسرته إثر سقوط الشابية سنة 964هـ/1557م إلى توزر ببلاد الجريد وسنه 07 سنوات، وبعد أن اشتد عضده أخذ يعد العدة للانتقام لذويه ومحاربة الوجود التركي حيث كان مدعما من قبيلة دريد التي تولت وظيفة المرازقية أو الحراس الشخصيين للشابيين والتي كان عبد الصمد مستحكما عليها حسب ابن أبي دينار[2].

والتفت القبائل البدوية حوله من أجل تأكيد استقلاليتهم وأعلنوا عبد الصمد" أمير العرب"[3] واعترف بسلطته بسرعة أولاد سعيد، وأولاد رزاق، وأولاد مانع، والهمامة، وأولاد بوغانم، والزغالمة وشارن وونيفة ونهد وخمير وقبائل أخرى بتونس، أين دخلوا بعدها إلى إقليم الجزائر ،لكن هل دخلوه كحماة من تهديدات الأتراك كما ذكر شارل فيرو [4] ؟ وإن كانوا بتلك القوى وذاك الدعم فلماذا لم تكن وجهتهم القيروان ؟ وهل استطاع عبد الصمد المولود حوالي سنة 958هـ/1551م وسنه وقتها 21 سنة (حوالي 1572م) أن يؤسس لقوة محاربة كافية لدحر أتراك الجزائر؟ أعتقد أن الشابية لم يدخلوا كحماة بل العكس دخلوا إقليم الجزائر كلاجئين بعد أن خارت قواهم أمام درغوث باشا وفرت أشياعهم من القيروان وسكنوا البادية حسب تعبير ابن أبي دينار، الذي سجلناه متحاملا على هذه الطريقة وهـو ابن

---

[1]–العدواني، المصدر نفسه، ص.336

[2]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.162

[3]– أمير العرب هنا لا يقصد بها الجنس العربي كما قد يتصوره البعض بل ما يطلق عليهم العربان أو البدو الرحل كونهم يشكلون القوة التي التفت حول الشابية.

[4]-L.Ch. Féraud , *op.cit.,*p.143

مدينة القيروان ؟ وهل مرد ذلك كونه يحسب على المجتمع الحضري الذي كان ضد هذه الطريقة فحسب ؟[1].

تحدثت إحدى الدراسات الحديثة على أن نفور المجتمع المديني وعلمائه من الطريقة الشابية الذين كانوا أحد أسباب سقوطها على يد درغوث باشا، هو نظرتهم إليها كطريقة للمروق والخروج عن الإسلام، فضلا على أن المجتمع المديني كان حينها يحظى بحضور سياسي وثقافي منقطع النظير في مناطق متفرقة من المغرب العربي، لأن نسبة التحضر كانت مرتفعة كما أن الطريقة الشابية لا تعبر عن طموحه الذي يميل إلى النفوذ المركزي، لذلك لعب هذا المجتمع دورا محوريا في فشل الشابيين في إقامة دولتهم وعاصمتها القيروان[2].

لذلك كان وعاء الشابية قبائل بدوية محاربة تواقة للامركزية، وكان على رأس هذه القبائل الحنانشة بما كانت تشكله من وزن إقليمي وعسكري خلال القرن السادس عشر ميلادي وهو ما يؤكد مرة أخرى سبب لجوء القائمين على الشابية واحتمائهم بكنفدرالية الحنانشة التي كانت عند قدوم عبد الصمد الشابي متحالفة مع هذه الطريقة، وبلجوئهم إليها كسبوا ولاء قبائل قوية كانت تحت نفوذها مثل النمامشة والحراكتة وطرود التي قال عنها العدواني أنه من يظفر بها يكون النصر حليفه [3].

وتوغلت الشابية إلى شرق الجزائر دون عوارض تذكر وأنشأ والده محمد زاوية في "جبل ششار" (جنوب مدينة خنشلة) تسمى زاوية المسعود الشابي، وكان ابنه المسعود يساعده في نشاطه الذي يشمل خنشلة و تبسة وسوف وقد برزت آثارها في شكل مؤسسات دينية كالمساجد [4]. واستقر عبد الصمد في هذا المجال وتوثقت صلته بالقبائل الموالية لأسرته وعلى رأسها الحنانشة وكذلك الحراكتة وبني بربار والنمامشة وطرود وصاهر الكثير منها، ثم أخذ يعد العدة لحرب الأتراك الذين سلبوا ملكهم بالقيروان وباتوا يتهددون بلاد الجزائر وتونس [5].

---

[1]-ابن أبي دينار، المصدر السابق ،ص.162.

[2]- عبد الحميد هنية، المرجع السابق، ص ص، 91،92

[3]-العدواني، المصدر السابق،ص.181.

[4]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2005، المجلد الثاني، الجزء 3،4، ص.275.

[5]-علي الشابي، "العلاقات بين الشابية والأتراك أواخر القرن 16م ونهاية القرن 17 م "، المجلة التاريخية المغربية، 17-18، (1980).ص.70.

اختلفت استراتيجية عبد الصمد في قيادته للشابية عمن سبقوه من شيوخها خاصة وأنه بات يحتمي في عمق نفوذ الحنانشة، فسيس الطريقة واعتمد الأسلوب العسكري مسخرا القوة المفرطة في بسط نفوذ الشابية بعيدا عن أسلوب الدعوة وتبسيط تعاليم الطريقة ونشرها في وسط قبلي يعتمد الترحال، فيما كان يحتاج إلى قصص وأحاج تنساق مع مداركهم العقلية، وهو النهج الذي اتبعه الشيوخ الأوائل وواصل عليه أخوه " محمد المسعود الشابي" [1] حيث أسس زاوية في واحة "سيار" محتميا بقبيلة "بابار" (جنوب خنشلة) والتي جعل منها مركزا لنشر دعوته وتعليمه والتوسط في حل النزاعات المستمرة بين قبائل النمامشة وأهالي شاشار، حيث أصبحت في النصف الثاني من القرن 16م ذات نفوذ ديني سياسي كبير في كل الجهة [2]. هذا النهج الذي سلكه المسعود الشابي كثيرا ماكان محل استهجان من قبل أخيه عبد الصمد الشابي الذي فضل العمل العسكري حيث يلقي عليه باللوم والتأنيب لانصرافه للعلم والإرشاد بقوله له "خَليك طويلب "[3].

[1]-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص.276.

[2]-Emile Masqueray,« Djebel Chechar», *R.A* , 22 ,(1878),p.143

[3]- علي الشابي، المرجع السابق،ص.71

جدول رقم–05 – مكاسب الطريقة الشابية من أقاليم وأتباع من وراء تحالفها مع كنفدرالية الحنانشة في عهد عرفة الشابي (900هـ/1495م – 949هـ/1542م) وعبد الصمد الشابي (980هـ/1572م – 1025هـ/1616م)

أقاليم وقبائل جزائرية	أقاليم وقبائل تونسية
النبايل	الخمير
مرداس	ورغة
النمامشة	شارن
الحراكتة	أولاد بوغانم
بني بابار	فراشيش
إقليم الزاب	الهمامة
نهد	بن شنوف
أولاد زايد	دريد
أولاد مانع	أولاد سعيد
طرود	

المصدر: محمدالعدواني ،تاريخ العدواني،تحقيق أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2005.وإضافات من مراجع أخرى مثل :Salah Alouani,*op.cit*.,pp.162-166

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

03.في عهد الشيخ عثمان(980 هـ/1572م – 1029هـ/1620م)

بتولي الشيخ عثمان مشيخة الحنانشة سنة 980هـ/1572م وتوغل الشابية بقيادة عبد الصمد الشابي في الشرق الجزائري بعد أن أعلنته القبائل الموالية له " أمير العرب " يؤازره شيخ الحنانشة، أخذ صراعهما (عثمان وعبد الصمد) يأخذ شكله الاقتصادي مع أتراك الجزائر والعائلات الحاكمة بالشرق من أجل السيطرة على المراعي الواسعة المنتشرة في محيط قسنطينة، وذلك راجع لطابع الشابية القائم على الترحال، وقد كان حينها الدواودة القبيلة القوية التي تعود إلى قبيلة رياح العربية تعيش على الترحال والتنقل بين المراعي وكان على رأس الدواودة عائلة بوعكاز التي تهيمن على السهول الواسعة المحيطة بمدينة قسنطينة حيث يقصدونها في فصل الصيف للتخييم والرعي بها عندما تلتهب حرارة الصيف ببسكرة، واستغلالا لهذا الوضع أين يكون أغلب الدواودة في الجنوب بالصحراء كعادتهم، قام الحنانشة وبدعم من الشابية ودون صعوبة تذكر بطرد أولاد صاولة واحدة من قبائل بوعكاز التي تخلفت بضواحي قسنطينة [1].

ونظرا لهذه المستجدات قدم الدواودة بقواتهم لدعم أولاد صاولة ليدخل الطرفان في صراع طويل في سهول قصر الطير جنوب مدينة سطيف[2]، وقد كان الدواودة حينها من الزعامات المحلية التي تعترف بسلطة الأتراك وذلك منذ سنة 928هـ/1522م، حيث جرى اتفاق بينهم يقوم على تقديم العون والمؤونة من قبل أولاد يعقوب أحد فروع أولاد بوعكاز للحامية التركية الموجودة بقسنطينة مقابل تزويدهم بالأسلحة [3].

انتهى هذا الصراع في الأخير بتقسيم سهول ومراعي قطاع الشرق بين الطرفين يفصلهما " وادي بومرزوق " الذي يعد من أهم الأودية التي تزود مدينة قسنطينة بالمياه[4]، فيكون نصيب الدواودة من قسنطينة إلى سطيف، والشابية مع الحنانشة كان من نصيبهم القسم الشرقي، فيما الأتراك استأثروا بمدينة .

---

[1]-L.Ch. Féraud , *op.cit*.,p.143

[2]– يسمى حاليا قصر الأبطال قرب عين ولمان.

[3]-Mouloud Gaid ,*Chronique des beys de Constantine* ,office des publications universitaires, Alger.1975, p.07

[4]– تعد عيون الفسقية ببلاد الزمول (عين مليلة) أهم منبع مائي لوادي بومرزوق الذي يتجه شمالا حيث يصب فيه وادي مهيريس الذي ينبع من سهول قبيلة عامر الشراقة ،جنوب الخروب تحت اسم وادي الباردة. ويزود وادي بومرزوق قسنطينة بالمياه.

قسنطينة[1]، وقد أفرد ابن العطار في كتابه " تاريخ بلد قسنطينة " صفحات لهذا الصراع وما انجر عنه في الأخير من اتفاق حيث كتب يقول: "...اتخذ كل فريق صاحبه، ثم وقع بينهم صلح بأن يكون الترك بقسنطينة ويكون تصريف الوطن بينهم أثلاثا: ثلثه لابن علي شيخ العرب، وثلثه لشيخ نجع الحنانشة وثلثه لحاكم الترك "[2].

استطاعت الشابية والحنانشة بفضل هذا الاتفاق السيطرة على أحسن المراعي المنتشرة شرق وادي بومرزوق إضافة إلى الهضاب القريبة من عين البيضاء وتبسة ومن هنا تقدموا كمنتصرين إلى الصحراء أين أصبحت عين شبرو بالقرب من تبسة مركزا للشابية بين التل والصحراء[3].

وتقدم لنا أحد محاضر السيناتيس كونسلت المنجزة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر [4] معلومات قيمة عن أحد أهم هذه المراعي التي كانت تحت نفوذ الحنانشة، والتي تقع في عمق الشرق الجزائري على بعد حوالي 37 كلم جنوب شرق مدينة قسنطينة حيث تتربع على مساحة 1120 هكتار، تتنوع فيها الثروة النباتية الرعوية إضافة إلى وقوعها بمحاذاة غابة تعرف بغابة "عين برناز" التي تنتشر على أحد الجبال وهذه المراعي هي نقطة ارتكاز وقبلة لمواشي الشابية والحنانشة حتى أنها أصبحت تعرف بـ "حفرة الحنانشة "[5].

كما حقق هذا التقسيم للحنانشة مكاسب سياسية تجسدت في استقبال شيخ الحنانشة لخلعة الولاية أو القفطان الذي يرسله باشا الجزائر في كل تعيين جديد لباي قسنطينة، فبعدما يلبسه باي قسنطينة يلبسه شيخ الدواودة ثم شيخ الحنانشة ويقول ابن العطار في ذلك"... ومن ذلك الوقت بقيت العادة إلى وقتنا أن الباي إذا أتته خلعة الولاية من الجزائر يلبسها هو الأول ثم يبعث بها إلى شيخ العرب

---

[1]-L.Ch. Féraud , *op.cit*.,p.144

[2]-أحمد ابن العطار،المصدر السابق.ص ص.124،123.

[3]-Ernest Mercier, *Histoire de l'Afrique septentrionale(Berbéris) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830)*, Ernest Leroux ,Paris,1868..205p

[4]-Procès-verbaux du sénatus consulte, tribu Zenatia, 176,*op.cit*

[5]- قمت بزيارة ميدانية لحفرة الحنانشة حيث لا زالت تحتفظ بخاصيتها كمراعي من النوع الجيد أما تسمية حفرة فلأنها تقع ضمن سهول تحيط بها الجبال والمرتفعات ،حتى أن الولوج إليها يضطرك لسلوك طريق جبلي وعر .

وبعده إلى شيخ الحنانشة ويعرف وظيف العرب ووظيف الحنانشة بـ وظيف القفطان لأن ولايتها كولاية الباي"[1] كما خول لهم حق استعمال الطابع الذهبي على غرار الباي وعند خروجه من قصر الباي يرافقه موكب فخم وجوق موسيقى إلى غاية إقامته ،كما يسير قبله البراح ليعلن للملأ قدوم شيخ الحنانشة، كما كان لهذا الأخير أعلام وموسيقى في زمالته وهذه الموسيقى تتبعه إلا إذا لم يخرج باي قسنطينة شخصيا على رأس القوات لجباية الضرائب [2].

بعد معالجة مسألة نفوذ كل طرف ببايلك الشرق كانت سلطة الشابية بمعية الحنانشة تتوسع دون عوارض تذكر في نطاق نفوذهما، فأصبحت الحنانشة تجمع الضرائب لصالح الشابية من سكان الشرق الجزائري الذين هم تحت نفوذ هذه الطريقة، وبعد أن اقتسموا مع الدواودة مجالات قسنطينة أصبحوا يقومون برحلات موسمية من أجل البحث عن المراعي، فمع نهاية شهر أكتوبر ومع موجة البرد ينزلون للصحراء مع قطعانهم، وبالتحديد إلى واحات الجريد، على مراحل بمعية القبائل الرعوية مثل النمامشة وأولاد سيدي عبيد حيث ينزلون في البداية في " بحيرة الأرنب " بإقليم أولاد سيدي عبيد الذي يتأخر نزولهم للصحراء إلى شهر نوفمبر أو ديسمبر ،كون منطقتهم في القسم الجنوبي من أراضيهم شبه صحراوية لذلك يتأخر فصل الشتاء عندهم [3]، وببحيرة الأرنب التي ينزلون بها تربتها رملية وتنمو بها نباتات رعوية وكانوا ينقسمون في شكل دواوير من 12 أو 15 خيمة وكانت الدواوير لا تبقى في المكان نفسه أكثر من عشرة أيام، ومع الوقت يتوجهون إلى عمق الصحراء فيقصدون " واحة نقرين"[4] وهي واحة يمتد إليها نفوذ الحنانشة وتقع على ضفاف واد خسران غربي جبل مجور أقصى جنوب " تبسة " وهي وفيرة جدا من حيث النباتات مثل الزعتر والبقس الأبيض والحلفاء وكانت الأغنام ترعى الأعشاب الموجودة بين هذه النباتات، لقد كانت الصحراء توفر كلأ ومراعي تغيب في التل في فصـــل الشتاء[5]

---

[1]-احمد ابن العطار، المصدر السابق،ص.124.

[2]-Ministre de la guerre,*Tableau de la situation des établissement française dans l'Algérie* ,vol,.3,imprimerie royale, Paris ,1840.pp.318,319

[3]- أحصت الإدارة الفرنسية بعد الاحتلال امتلاك أولاد سيدي عبيد لـ 2000 خيمة يرجى الرجوع إلى:

Procès-verbaux du sénatus consulte, Historique de la tribu , Tribu Ouled Sidi Abid, 237 ,(1867), D.R.C.C

[4]-L.Ch. Féraud ,« Notes sur Tebessa», *R.A* , 18 ,(1874),p.455

[5]- بيار كاستال، المرجع السابق، ص.82

لتكون آخر محطاتهم بلاد الجريد التي تمتد من تخوم بسكرة إلى تخوم جزيرة جربة التونسية ويبعد جزء منها كثيرا عن البحر، وهي تنتج كمية وافرة من التمر ومن أهم مدنها توزر التي ذكر " الحسن الوزان " في النصف الأول من القرن الثاني عشر هجري السادس عشر ميلادي أنها تتوفر على أسواق عديدة يقصدها الناس من مختلف القبائل [1].

وقد كانت هذه القبائل البدوية التي تقصد الجنوب عموما تتردد على الأسواق المنتشرة هناك فقد كان أولاد سيدي عبيد أو النمامشة يقومون بعمليات مقايضة وتجارة واسعة فيبيعون ما ينتجونه من حبوب وقطران الذي يصنعونه من تقطير خشب الصنوبر وهذه المادة ضرورية لعلاج الجرب الذي يصيب الجمال ليقتنوا التمور والقماش [2]، وبحلول شهر أفريل عندما ترتفع درجة الحرارة بالصحراء يصعد الجميع نحو الشمال لتعمير السهول فيبدؤون بالعودة مع القبائل البدوية نحو التل وبالتحديد في الأقاليم الرعوية والتي تمتد من السهول التونسية إلى غاية ضواحي قسنطينة [3].

لقد فرضت الطبيعة على هؤلاء السكان هذا النمط من الحياة في بيئة قاسية لا ثروة لهم غير قطعانهم التي لا يمكن تركها شتاء في السهول العليا في مناخ قارس يمكن أن يعرضها للفناء،وعلى العكس وجدوا في الصحراء جوا رحيما ومراعي غنية بفضل أمطار الخريف،وحياة الترحال هذه التي تزاولها القبائل البدوية تحولت تدريجيا إلى نمط معيشة يلازمهم .

في الوقت الذي أصبحت فيه الشابية بمعية الحنانشة يسيطرون على القسم الشرقي من وادي بومرزوق ونشطت تجارتهم وترحالهم نحو الجنوب الصحراوي، وأصبح لشيخ الحنانشة نفوذ وسلطة توازي سلطة باي قسنطينة، دخلت تونس عام 982هـ/1574م تحت سلطة الأتراك وذلك على يد "سنان باشا " ويقدم لنا ابن أبي دينار الذي يظهر أنه كان مرحبا بالدخول التركي تفاصيل المعارك التي خاضها " سنان باشا " ضد السلطان الحفصي محمد بمعية الإسبان وظروف قام فيها الحكم التركي بتونس [4].

---

[1]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص ص.142،143

[2]-Historique de la tribu Ouled Sidi Abid ,*op.cit.,*

[3]-L.Ch. Féraud , *op.cit.*,p.144

[4]- كتب يقول عن المعركة في تونس المدينة "...فلما رأى السلطان محمد الحفصي ومن معه من النصارى كثرة العساكر علموا أن لا طاقة بالقتال هذا مع أن قلعة تونس كان أكثرها خرابا لتواتر المحن ...وأما عن معركة حلق الوادي يقول "....وبلغ الخبر إلى الوزير سنان فجاء رحمة الله بنفسه إلى إصلاح هذا الشأن هذا والحرب متصلة بين أهل حلق الوادي وبين رجال من العسكر العثماني قوي الهمم=

هذا ورغم الصراع التقليدي القائم بين الشابية والأتراك خاصة بعد استيلاء درغوث باشا على عاصمتهم القيروان سنة 964هـ/1557م، إلا أن الشابية بقيادة عبد الصمد يدعمه شيخ الحنانشة عثمان انتصرا لسنان باشا في حربه ضد الإسبان عام 981هـ /1574م، لأنهم ينظرون إليهم كوجود مسيحي، إضافة إلى الرغبة في توسيع مجال نفوذهم جهة الشرق بعدما سيطروا على مراعي شرق وادي بومرزوق بالجزائر، فلما أعجزه سنان باشا أمر الخندق الذي حفره الإسبان بحلق الوادي، ولاجتياز هذا الخندق أقدمت القبائل البدوية المساندة للشابية على إحضار الصوف من أوطانهم قدرت بسبعين ألف شليف والشليف عبارة عن حمل جمل ووضع في كل شليف قنطاران من الرصاص ليثقل به ويغوص به في الماء، وألقوا بها في الخندق وفوقها وضعوا الحطب والتراب ولما امتلأ الحطب بالتراب بنوا المتاريس فوقه وصار المكان أعلى من حيطان الحصار ونصب سنان باشا مدافعه ليرمي بها الإسبان [1].

ستبرز سلطة مركزية قوية خلفت سلطة الحفصيين التي تفككت وتشتتت في آخر مراحلها فاسحة المجال لمشاريع سياسية، برزت في شكل قوى متصارعة جسدتها قوى أجنبية مثلها الأتراك والإسبان وأخرى محلية مثلتها القبائل المحاربة مثل الحنانشة، وانتهى هذا الصراع بتفوق الأتراك وانتصاب حكمهم بتونس الذي حذوا فيه في أول أمرهم بأحكام وقوانين ديوان الجزائر وكان المتصرف في أحكام البلد والحاكم برتبة " باشا " ودونت الدواوين وخرجت الولايات والجباة تحت المؤسسة الإدارية المحلية التي تعرف بـ " المحـــلة " ونشرت الرايات في بلاد تونس باسم السلطة العثمانية [2].

ومن سنة 982هـ/1574م إلى سنة 999هـ/1591م كانت البلاد التونسية تابعة لسلطة الأتراك بالجزائر التي مر على حكمها نظام البايلربايات (924-/1518م- 995هـ/1587م) وحكم الباشوات من بعـده [3] والـــذي في عهدهم استقلـــت تونس عن الجزائر [4] ولم يحـــدث هذا الانفصال إلا بعد أن قـــرر

غلاظ شداد ولما نظر الوزير إلى حصانة القلعة التي هي الباستيون أشار برأيه السعيد على ما اقتضاه نظره السديد بالتدبير وأمر بتوزيع طوائف العسكر من كل جهاته ... "، يرجى الرجوع إلى:ابن أبي دينار، المصدر السابق،ص.ص.188-189

[1]- المصدر السابق، ص ص.190،191

[2]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.200

[3]-Henri-Delmas de Grammon ,*Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830*, ,Edition Bouchene,Paris,2002.pp.57-119

[4]- ابن أبي الضياف، المصدر السابق.ج2،ص.32

السلطان في اسطنبول استقلال البلاد التونسية في إدارة شؤونها عن الجزائر وذلك خوفا من تقوي الجزائر واستقلالها عن الباب العالي [1].

واصلت الشابية مع هذه التطورات التي وقعت بتونس نهجها المزدوج الذي جمع بين العمل الدعوي الذي رفعه المسعود الشابي، والعمل السياسي العسكري الذي مثله " عبد الصمد "، فقصد "مسعود الشابي " سوف ومكث بها مدة يعلم الناس ودعاهم لبناء مسجد، فبنو وأصبح يسمى " جامع سيدي المسعود "، ثم انتقل إلى قرية " غنام بن مبارك بن فارح " وهي الهنشير الشرقي الذي عمرت منه " كوينين " فدعاهم أيضا، ثم ارتحل بعدها ونزل تاغزوت ومنها رجع إلى اللجة فأقام بها زمنا ومن هناك انتقل إلى الجريد ثم بقي يتردد بين سوف والجريد يعلم الناس [2].

وقد طور الشابية من أسلوب دعوتهم وسط القبائل البدوية الملتفة حول كنفدرالية الحنانشة والتي تمتهن الترحال الموسمي، حيث كانت هناك شخصية محترمة هو سيدي عبد الحميد الجد الأول للمرابطين والذي أرسى العدل بين الرحل، خيمة كبيرة تعرف باسم "بيت الشرع" حيث كانت تنقل وتوضع وسط خيم القبائل وهنا تقوم بدورها في جميع المسائل الدينية، كما كان بيت الشريعة ملجأ للفارين وفي مخطوط نشره فيرو يقول فيه عن بيت الشريعة " هي خيمة كبيرة من الشعر كل قسم منها قامت بنسجه واحدة من قبائل كنفدرالية الحنانشة ووتدها يكون من حديد وفي زوايا الخيمة يوضع صندوق به كتب القرآن الكريم"[3].

" جمهورية الشابية الرعوية " أصبحت مع الوقت وبعد توغلها في شرق الجزائر أكثر قوة وأكثر تهديدا للأتراك، في البلدينوقد أورد عزيز سامح ما يفيد بأن عبد الصمد كان مسيطرا على أواسط تونس بواسطة الرحل الموالين له كما كان متغلبا على المنطقة الممتدة من القيروان إلى تبسة وقد استطاع

[1]–سجلت أن عبد الحميد هنية في كتابه تونس العثمانية بناء الدولة والمجال ،وفي حديثه عن مرحلة الحكم في تونس بين 981هـ /1574مإلى 999هـ/1591م (ص ص.93-105) لم يتطرق ولو بالإشارة إلى تبعية تونس في هذه المرحلة للجزائر رغم أن ابن أبي دينار وأبي ضياف أكدوا ذلك ؟

[2]– محمد العدواني، المصدر السابق، ص ص،114- 132

[3]-L.Ch. Féraud ,*op.cit.*,p.145.

عثمان داي تونس سنة 1014هـ/1605من أن يطرد الرحل المناصرين للشابية من القيروان فاستتب الأمن[1].

ولم يكف عبد الصمد عن القتال طيلة 44 سنة بين 981هـ/1573م – 1025هـ/1616م حيث قاتل مثلا مراد باي الذي حكم تونس ابتداء من سنة 1022هـ/1613م فقد جهز مراد باي جيشا مكونا من 2000 فارس قاصدا معسكر الشابي، بعين شبرو قرب تبسة وقد وجدوا أثناء سيرهم صيادا يعود إلى الحنانشة، فسألوه عن عبد الصمد فأعلمهم بمكانه واعتزامه الانتقال من عين شبرو إلى وادي الرومل وعرض عليهم الالتحاق بمعسكر عبد الصمد للوقوف على أخباره والعودة إليهم بما يفيدهم في حربهم ضده فوافقوه. وقد اخطئوا التقدير لأن هذا الحناشيهو أحد أنصار "عبد الصمد " شأنه في ذلك شأن سائر أفراد كنفدرالية الحنانشة التي أخلصت للشابية منذ تتلمذها وانقيادها للجد الأول ولما وصل الحناشي إلى معسكر عبد الصمد أعلمه بجلية الأمر، ودون إبطاء أمر عبد الصمد جنده بالالتحاق بالجبل وحين انتهوا إليه ظهر جند مراد فجمع الشابي جنوده بسرعة فتلاحما واستمرت المعركة نحو 04 ساعات، ولما تقهقر الجند التركي انقض عليه عبد الصمد فقتل منه 150 فارسا واستولى على خيولهم وطارد المتبقين إلى مشارف باجة وعاد إلى معسكره بواد الرومل[2].

إذا ما أخذنا برواية العدواني، فإن باي تونس لما علم بالهزيمة بلغ به الحزن ثم صرخ في وجههم " الذين يشربون لبان البقر يغلبونكم " ؟ [3] في إشارة منه إلى الطابع البدوي الخالص لمعسكر عبد الصمد وأتباعه، وانتظر مراد فرصة سانحة للانقضاض على عبد الصمد فوجد في قدوم قافلة لعبد الصمد إلى قصور تونس لابتياع الحبوب فأرسل للإيقاع بها 1000 من فرسانه فأدركوها في عبيدة قرب قصر الكاف واستولوا على 400 بعير بأحمالها فأسرع قواد القافلة المهزومين إلى إعلام عبد الصمد فكتب الأخير إلى مراد يطلب منه استرداد ما أخذه و إلا سيهاجمه فرد عليه بالرفض " أما بعد فـلا بد لنا مـا

.

[1]– إلتر عزيز سامح،الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، ترجمة عبد السلام أدهم، دار الفرجاني، القاهرة،طرابلس،لندن،1991.ص.295

[2]– محمد العدواني، المصدر السابق،ص.174.

[3]– المصدر نفسه، ص.174.

أخذته من قافلتنا على الوفاء والتمام وإلا كن على حذر فإني آتيك بالخيل والرجال على الفور فبعث له صاحب تونس إن الذين قابلوك أول مرة ذهبوا وآت قوتك فلسنا من الناس الذين يخافون "[1].

واحتدم الصراع وتلاحقت الحروب في منطقة الشمال الغربي التونسي لملاصقتها لكنفدرالية الحنانشة التي تعج بأنصار الشابي، ولأنها موطن أتباع الشابية من زغالمة وخمير ونهد لذلك اختار الشابي هذه المنطقة مسرحا لقتاله وكادت تشهد تقهقر الحك التركي على يد عبد الصمد لولا نكوص بعض القبائل وانقلابها [2] عليه فكتب إلى الحنانشة و " بني مؤمن " و "قرفة " و " بني صالح " و "بني عرعار " و"بني غواصي " و"أهل مجور" و"بني سليمان" و"السعادنية" فكانوا جملة من جمعه فأمدوه بـ 1500 فارس هجم بهم على افريقية من الشمال الغربي ففر السكان من طريقه لما أصابهم من الخوف والهلع وتمكن من الإيقاع بقوافل خصمه بالسلوقية فاستولى على 600 ناقة فضلا عن جماله التي أخذها منه صاحب تونس وقفل راجعا إلى معسكره بواد رومل [3].

فانزعج مراد لما أصاب قوافله فدعا المقاتلين من قابس وما صاقبها ومن الجريد ونفزاوة وغيرها فاجتمع منها حسب العدواني 4000 فارس ومن المشاة 6000 وقصدوا وادي صراط في طريقهم إلى معسكر الشابي بواد رومل وقد أورد العدواني نص الرسالة التي وجهها إلى عبد الصمد وكانت من تحرير مستشاره ولما كان هذا المستشار أحد جواسيس عبد الصمد على مراد فقد جاءت الرسالة مشحونة بالإفادات العسكرية ومما جاء فيها " إننا سنستولي على ما تملكون وسنحطم رجالك الأشداء وننتزع منكم الأرض التي تحتلونها ونقدمكم في النهاية أكلة سائغة للذئاب"، وقد اختار عبد الصمد بإشارة من مستشاره" الحميري " أن تكون المعركة في غير الأرض التي يسيطر عليها وتمتد من واد رومل إلى مشارف باجة والكاف وقد أورد العدواني حوارا قبل وقوع المعركة دارت بين "الغنام بن منذر الحناشي " حليف الشابي و"المبراز سعيد " من " أولاد سعيد" أنصار يوسف داي" [4]... قال له (المبراز للغنام الحنـــاشي)

.

[1]- محمد العدواني، المصدر السابق،ص ص، 174-175

[2]- علي الشابي، المرجع السابق،ص.78.

[3]- محمد العدواني، المصدر السابق، ص.175.

[4]-أولاد سعيدقبيلة عربية كبيرة تقطن أرض النفيضة بتونس.

أنت أمير البقر وجدكم مالنا به حاجة (عبد الله بن مسعود الصحابي) لأنه أفضل منا على كل حال وأنت رجل بدوي وتشرب لبان البقر وتنام على الحلفاء وتتوسد العرعار"[1].

ثم بدأت المعركة بمبارزة بين الغنام بن منذر الحناشي وسعيد حيث انتهت بمقتل الغنام الحناشي اشتعل الصراع بين الطرفين وخسر جيش مراد باي 50 جوادا و150 فارس من بينهم 25 من حاشيته في مقدمتهم سعد البلاط وعمران الساسي وخسر الشابي 100 جواد و160 فارسا واستطاع عبد الصمد بعد الهدنة التي طلبها مراد باي أن يكسب تأييد طرود و يستغل صلتهم التاريخية بذويه منذ أن دانوا بالطاعة لعرفة الشابي[2] ،فقد باشرهم بقوله " أنا منكم وأنتم مني بالنظر إلى القرابة التي تربط بيننا لحما ودما وعظما حتى آخر الدهر "وقد أتته طرود بـ 500 فارس فوجدوه نازلا على عبيدة وهي قرية تقع قرب الكاف، وقد دارت الدائرة على صاحب افريقية وما زال القتال فيهم إلى أن وصلوا محلا يقال له السلوقية، فمات من حاكم تونس 104 رجل ومن الخيل 60 ومن أتباع الشابية 12 فارس و05 من الحنانشة و 03 من الزاب ورجلين من قرفة ورجل شابي [3].

اضطر مراد باي بعد هزائم متكررة إرسال وسطاء بينه وبين عبد الصمد فأرسل دفان وصالح زغلام وجابر وعون بن علي، وأبدى لهم رغبته في تقسيم البلاد، وقد قبل عبد الصمد واشترط أن يقوم بنفسه بالقسمة فوافقوا فعرض عليهم عبد الصمد مقترح تقسيم بحيث يكون له من باجة إلى أرض الزيبان وأن يكون للداي من جنوب باجة إلى أرض الجريد، بالإضافة إلى منطقة تونس وهو مشروع هدف من ورائه عبد الصمد إلى تكريس الواقع لكن مفارقة طرود لعبد الصمد كانت سببا في تراجع حاكم تونس عن وعده، وتراجع طرود في تحالفها مع عبد الصمد لأن الأخير رفض أن يعطيهم ثمن مشاركتهم إلى جانبه[4].

[1]- محمد العدواني، المصدر السابق، ص ص.178،179

[2]-ابراهيم العوامر، المرجع السابق،ص.180

[3]- محمد العدواني، المصدر السابق،ص.181

[4]- علي الشابي، المرجع السابق، ص.81

أخذت الشابية بعدها تتدحرج مكانتها داخل كنفدرالية الحنانشة لتضافر عدة عوامل منها ما يتصل بسياسة عبد الصمد نفسه وأخرى بمستجدات بدأت تطرأ داخل إقليم الحنانشة وكان فاتحة هذا التدحرج العملية الإجرامية التي اقترفها عبد الصمد الشابي، وكانت إشارة لانقطاع التحالفات القبيلية التي كانت حول الحنانشة ومنه حول الشابية، فالفقيه سيدي عبد الحميد والذي يضع بيت الشرع وسط القبائل كانت له مكاسب وسطها من خلال خبرته وعدله وبذهنيته المتميزة، أين كان له التأثير العميق الأمر الذي أثار حفيظة رؤساء الشابية الذي قال عنهم العدواني أنهم كانوا لا يسمحون بوجود منافس لهم أو من يهدد وجودهم [1]، أين قاموا بتوقيفه وقتله مع اثني عشر عضوا من عائلته الذين كانوا مجتمعين حوله في مأدبة. العملية الإجرامية التي أقدم عليها الشابية ومسببات أخرى أزالت تعلق القبائل بهذه الطريقة فالكثير من العائلات المؤثرة مثل الحنانشة بدأت تعمل للتخلص من سيادة الشابية [2].

في المقابل أخذت كنفدرالية الحنانشة تشهد ميلاد مراكز لحركات دينية نابعة من حيزها الجغرافي أكثر سلمية، ولا تحمل مشاريع سياسية حيث أخذت تستقطب إليها القبائل، وباتت تشكل بشيوخها منافسا قويا للشابية التي لم تتوان في محاربة وملاحقة هذا المنافس الجديد، فقد برزت شخصية سيدي المبارك بن قاسم بالأوراس وهو حفيد " سيدي ناجي " دفين " ساحة النخيل " بتونس، أين انتقل أحفاده من بعد وفاته ووفاة ابنه قاسم متجهين غربا تنقلوا خلالها بين أوطان عدة مثل ورقلة وتوقرت وسوف والزاب الشرقي، وجرت كلمتهم في الأوطان المذكورة بالإصلاح، وانتشر أمرهم وجرت لهم العوائد بالزكاة والعشر وظلوا على هذه الحالة أعواما إلى أن انتقلت الولاية إلى " سيدي المبارك " فوقعت بينه وبين عبد الصمد الشابي منافسة عظيمة رحل على إثرها إلى "بادس " [3].

وقد كان عبد الصمد يعمل على تأليب أعراش "سيدي المبارك "عليه ويبعدهم عنه وصار يكاتبهم الواحد تلو الآخر، ومن جملتهم عرش طرود الذين لما وصلهم كتابه وبلغتهم دعوته اجتمعت كبارهم وعقلاؤهم وذوي النفوذ فيهم، وأجابوا الشابي بالرفض، لكن عبد الصمد بقي مصمما على التحايل إلى أن وجد غفلة وسنحت له فرصة في إبل أولاد الشيـــخ " سيدي المبارك" كـــــان في ذلك الوقـت

[1]– محمد العدواني، المصدر السابق، ص.318.

[2]- L.Ch. Féraud ,*op.cit.,*pp.146,147

[3]– تقع بادس على بعد حوالي 25 كلم شمال زريبة الوادي .

نازلا في الزاب الشرقي فأتى رعاة الإبل فازعين مستغيثين وأخبروهم بأن الإبل ضاعت وأغار عليها وأخذها عنوة عبد الصمد فتنادوا بالفزع لبعضهم بعضا ومنهم من كذب الخبر إلى أن أفلتت الإبل وضاعت فصار أحد الرعاة يقول للمجتمعين :

العدُو فلاقة يا ناقة والمقترفين مايجُوز واده

والصوت على الصوت في الربقة حراقة يا ناقة وحزن الصوت أمين اكباده

ومانساك يا كحلة الرماقة لو كان يكون التراب أوساده[1]

ومن هنا اشتد النزاع بين الشابية والشيخ سيدي المبارك إلى أن التقى الجمعان وتقاتلوا مقتلة رهيبة في موضع يقال له " نادر شداد" ضواحي زريبة الوادي وبقوا على تلك الحال إلى أن حل سيدي المبارك بالخنقة التي استقر بها سنة 1011هـ/1602م يرافقه عدة أتباع ينتمون إلى أعراش وقبائل شتى وفدوا معه منهم " لواتة " و"صدراتة" و"هزابرة" و"طرود" و"زهانة" و"دريد" و"نهد" و"زناتة" و"شيمسات" و"أولاد خيري" وغيرهم واستعان "سيدي المبارك" بهؤلاء الأتباع على تشييد وتعمير "الخنقة "[2] التي كانت قبل ذلك واحة مهجورة يرتادها النعام، ولهذا سميت قديما "مورد النعام " بمحاذاة "وادي العرب"، فعمل على إنعاشها عمرانيا وثقافيا واقتصاديا وأعطاها تسمية تيمنا بجده الأول ناجي فسماها "خنقة سيدي ناجي"[3] وقد بنى بها زاوية يعلم فيها تعاليم الدين الإسلامي أصبحت تستقطب إليها الطلاب من كل البلاد القريبة، وأصبحوا يعودون إليه في كل أمور دينهم ودنياهم، وبعد سنوات مـن الاستقرار والعمـارة

[1]- القصيدة التي تخلد هذه الحادثة زودني بها الوحيد الذي بقي يسكن خنقة سيدي ناجي القديمة من خلال كراسة تعود لأحفاد سيدي المبارك.

[2]- الكناش وهو مذكرة تاريخية عائلية افتتح التسجيل بها الشيخ محمد بن محمد الطيب المتوفي عام 1154هـ/ 1741م ويعد الكناش تراثا عائليا لأحفاد سيدي المبارك سجلت فيه كل الأحداث العائلية وأهم الظهائر والرسائل وأحداث المنطقة. ورد في الكناش أن سيدي المبارك رأى رؤيا صالحة ، حيث رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في منامه وأمره بسكنى مورد النعام ،فذهب تصديقا لهذه الرؤيا إلى خنقة سيار فنزل بها وما أن استقر بها حتى رآه مرة ثانية وقال له "مورد النعام" هو خنقة وادي العرب فارتحل لها .

[3]- في إطار إعدادي لهذا العمل قمت بزيارة ميدانية قادتني إلى خنقة سيدي ناجي التي تبعد بسكرة بحوالي 100 كلم في جهة الشرق وهي تقع في النقطة التي تنتهي فيها جبال الأطلس الصحراوي ،وسميت الخنقة لأنها تقع بين جبلين ،ولا زالت تحتفظ بالكثير من عمرانها ومعالمها التاريخية، إضافة إلى الكثير من القبور والضرائح مثل ضريح سيدي المبارك مؤسس الخنقة وضريح سيدي عبد الحفيظ.

توجه سيدي المبارك للأداء فريضة الحج وعند عودته اتجه إلى الاعتزال والعبادة إلى أن توفي سنة 1031هـ/ 1622م[1].

بنشأة خنقة سيدي ناجي بجبل الأوراس وتعميرها أصبحت مركز إشعاع ثقافي وفكري واقتصادي، وباتت تستقطب إليها مختلف الفئات من جميع النقاط والأوطان، وصارت ملجأ للفارين فمن أمكن لهم النجاة من عبد الصمد لجئوا إلى خنقة سيدي ناجي كما نفر الحنانشة من عبد الصمد وهم الذين لم ينفكوا يقاتلون لصالح الشابية فانظموا وقتها للأتراك[2] وسحقوا جيشه ليهاجمهم هو سنة 1001هـ/1592م فانتقم لنفسه بأن بدد شملهم وانتزع مغانمهم وإثر ذلك هاجمته فرقة تركية خرجت من قسنطينة تؤازرها الحنانشة والذواودة فدخل الطرفان في معركة بـ "قيبر" بمجالات النمامشة فقد فيها عددا كبيرا من جنوده، كما أسر أصغر أبنائه، لكن عبيد الشابية تمكنوا من تخليصه لكن سرعان ما أعاد الحنانشة و الأتراك الكرة في واقعة أصبحت تسمى " فج الوصفان"[3].

ولقد فارقته الكثير من أنصاره إلا الجبليون فالتجؤا إلى " جبل ششار " أين أسسوا مسجدا على وادي "بيقـر" وسط سكان " بني بابار"، وبعد سنوات قاموا بهجمات على الأوطان المجاورة لكنهم فقدوا تأثيرهم السابق وسط السكان وقرروا حينها اللجوء برفقة عبد الصمد إلى توزر بالجريد التونسي، وبقي قريبه حميدة عند بني بربار، بيد أن سكان الأوراس ثاروا عليه وأجبروه على اللحاق بعبد الصمد الذي فارقته الكثير من القبائل على رأسها الحنانشة، وفي محاولاته اليائسة لاسترداد ما ضاع منه من أقاليم وأتباع توفي عبد الصمد السنة 1025هـ/1616م ودفن بجبل " أرقـــو" بالأوراس[4].

---

[1]– أثناء زيارتي للخنقة أرشدني الوحيد الذي بقي قاطنا بها مع عائلته إلى البيت الذي كان يتخذه سيدي المبارك خلوة له .

[2]– ستظهر تحالفات بين الحنانشة وأحفاد أولاد سيدي المبارك وبالتحديد مع الابن الثاني لأحمد بن ناصر أين وجهوا ضربة قوية للشابية وحول ذلك يرجى الرجوع إلى :

كريمة بن حسين كريمة بن حسين،« خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني » ،الجمعية الناصرية للتنمية الثقافية والاجتماعية لخنقة سيدي ناجي في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي،بحوث في تاريخها وسكانها وترجمات للبعض من أعلامها،دار الهدى الجزائر،2002،ص.61.

[3]- E. Mercier,*op.cit*.,p.205.

[4]-علي الشابي، المرجع السابق، ص ص،72،73.

04.في عهد الشيخ نصر (1029 هـ/1620م – 1048هـ 1638م)

بعد الأزمة التي أعقبت تراجع نفوذ الشابية على المجموعات السكانية التي كانت منضوية تحت لوائها شعرت بضرورة تشكيل أحلاف، فكان الضعيف يقترب من القوي حتى يصبح تحت حمايته، ففي المنطقة الحدودية لشرق الجزائر مع تونس عائلتان جلبت الأنظار هما " بن شنوف " أسياد مدينة الكاف وضواحيها التي يهيمنون عليها بمساعدة فرقة من القبيلة الكبرى " لأولاد صاولة "، ومن جهة أخرى الأحرار الذين يعيشون بـ قلعة سنان والأرياف المجاورة مع الحنانشة، وبالتالي فهاتان المجموعتان كان مركز سلطتهما في قلاع في الهواء الطلق، وكان كل طرف يترصد بالآخر [1].

لقد شهدت المرحلة السالفة التي كان فيها عثمان شيخا للحنانشة أحداثا هامة طبعت الصلات الثقافية والاقتصادية وحتى السياسية بين الجزائر وتونس لعبت فيها كنفدرالية الحنانشة دورا محوريا خصوصا في ظل غياب شيئ اسمه الحدود بين الطرفين، وفي ظل وضع سياسي كانت فيه تونس تابعة للجزائر إلى غاية سنة 999هـ/1591م، التاريخ الأخير الذي يؤسس لقرار سلطاني تم بموجبه فصل تونس عن الجزائر واستقلالها في إدارة شؤون حكمها، وكان من ضمن محصلات هذا الانفصال بروز مشكلة الحدود بين البلدين، وإن كانت الكثير من الدراسات قد تناولت هـذا الموضـوع بالتحليل[2] إلا أنـه في

---

[1]-L.Ch. Féraud,''les Harar,*op.cit*.,p.197.

[2]- من أهم الدراسات التي تناولت موضوع الحدود نذكر:

-AdrienBerbrugger « Des frontières de l'Algérie » *, R.A*. 24, (1860),pp.401- 417

-Bernard Roy, « Deux documents inédits sur l'expédition Algérienne de 1628 contre les Tunisiens », *R.T*. ,122 , (1917),p.191.

-Charles Monchicourt,« la frontière algéro-tunisienne dans le Tell et dans la Steppe » *,R.A*.81,(1938).PP.31-59.

- Toufik Bachrouche « *Pouvoire et souveraineté territoriale, la question de la frontière sous Ahmed Bey* »,in *Actes du premier congrès d'histoire et civilisation du Maghreb, Tunis,*C.E.R.E.S .Tome 02,1979,pp.195-208.

-السايح فيلالي، العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1800-1830م، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 1982-1983،ص ص.52-60

- عميراوي احميدة، المرجع السابق، ص ص.52،53

اعتقادي وحسب اطلاعي عالجتها من منظور العلاقات السياسية بين البلدين فيما أهملتها إلى حد ما كجانب يعكس العلاقات الاقتصادية وحتى الثقافية من حيث نظرة المجتمع في ذلك العهد لمسألة الحدود، والتي لا نعتقد أنها كانت تنظر إليها كمسألة " وطنية " بالمفهوم المعاصر،إضافة إلى إهمال هذه الدراسات بالحديث عن دور الحنانشة في صراع الحدود خصوصا وأنها كانت تهيمن على الوطن الممتد من الجبال المقابلة لجزيرة طبرقة إلى غاية " تامرزة " بالصحراء جنوبا وهو الوطن الذي سترسم عبره الحدود [1].

حدثنا ابن أبي دينار الذي عاصر صراع الحدود الذي ظهر بين الجزائر وتونس سنة 1023هـ/1614م ولم ينته إلا سنة 1037هـ/1628م، وقد صور لنا على أساس أن القبائل كان لها دور كبير في نشوب هذا الصراع وحسم نتائجه لأحد الطرفين خصوصا وأن مشروع مركزة الحكم في البلدين لم يأخذ صوره النهائية بحيث كان كل طرف يبحث عن تأمين مجال جغرافي سيشكل مجال سيادته مستقبلا، فجعل ابن أبي دينار من الشيخ " ثابت بن شنوف" شيخ أولاد بن شنوف أسياد الكاف هو من كان وراء جلب القوات الجزائرية إلى تونس، وأطمعهم في البلاد وقدم " أولاد سعيد" على أنهم السبب الرئيسي في الهزيمة التي مني بها أتراك تونس بعد يومين من الحرب الحدودية سنة 1037هـ/1628م أمام أتراك الجزائر، لأنها حسب تعبيره خانت [2].

أعتقد أن ما ذهب إليه صاحب كتاب " المؤنس " لا يجانب كثيرا الصواب على أساس أن القبائل هي التي أثارت مسألة الحدود، لأن معطيات كثيرة تناقض هذا الموقف، فنمط عيش هذه القبائل يقوم على حياة الترحال والتنقل بين المراعي، وبالتالي ألفوا الفضاء المفتوح والمضارب التي تلبي احتياجاتهم مهما كان موضعها، فالنقاط التي ارتسمت عبرها حدود البلدين عاشت ضمن هذه النقاط قبائل رحل ففي الجانب الجزائري نذكر مثل الحنانشة ومرداس وأولاد سيدي يحي بن طالب والنمامشة والربايع وغيرها من القبائل المنتشرة إلى غاية وادي سوف، ومن الجانب التونسي كانت فـــــروع الهمامة

[1]-L.Ch. Féraud, ,la Calle,*op.cit.*,p.633

[2]- ابن أبي دينار، المصدر نفسه،ص.208

المشكلة من ثلاثة فروع هي " أولاد عزيز" و" أولاد رضوان" و" أولاد معمر" إلى جانب قبائل الزغالمة وورغة والفراشيش [1].

إن حياة الترحال هذه جعلت من مصالح القبائل الاقتصادية تتداخل وبالتالي لا يمكن أن يكونوا هم من كان وراء إثارة مسألة هم في غنى عنها، وتحد من حريتهم في التنقل بين المراعي وارتياد الأسواق، لقد كشفت إحدى الدراسات الحديثة على أن هزيمة مراد باي حاكم تونس سنة 1037هـ/1628م أمام الجزائر وحسب شهادة المسمى " مارسيل أتاردو" وهو مملوك " لمراد باي كورسو" أحد القواد البارزين في هذه الحرب، حيث عايش أتاردو الواقعة مؤكدا على أن مراد باي كورسو فر هاربا تاركا وراءه العسكر بدعوى إنقاذ الكنوز التي كانت بحوزة المحلة، حيث وصل في ستة أيام إلى تونس بدل اثني عشر يوما كما أن الديوان في تونس حاكم مراد كورسو واعتبره المتسبب الأساسي في الهزيمة وحمله الخسائر الحربية وقد أوجدت هذه الانتكاسة أزمة ثقة في صفوف الأهالي عبرت عنها الأقاويل والإشاعات التي راجت بين الناس، فكان من الضروري بالنسبة للفئة الحاكمة آنذاك أن تبحث عن كبش فداء تنسب إليه الهزيمة فكانت القبائل المحاربة لأنها كانت تشكل العائق الأول أمام الفئة الحاكمة للسيطرة على حيزها الجغرافي وفرض سيادتها عليها حتى تستطيع الاستفادة من مواردها الجبائية [2].

إنه ورغم السيطرة التركية على كل من الجزائر وتونس ومشروع المركزة الذي حمله كل طرف إلا أن الحنانشة حافظت على استقلاليتها وتوازناتها ككنفدرالية تعيش في أطراف البلدين وتتوزع مصالحها الاقتصادية، بينهما الأمر الذي جعلها دائما تشكل جسرا للتواصل بين الطرفين بعيدا عن الحسابات السياسية. فمع الجزائر وكما ذكرنا في صفحات سالفة، وضمن اتفاق مع حكامها تقاسمت معهم بمعية الدواودة المراعي الممتازة المنتشرة بالشرق الجزائري، فكان من نصيبها ماهو شرق وادي بومرزوق [3] هذه المنطقة والمتجول فيها اليوم يدرك مدى أهميتها الاقتصادية بما تتوفر عليه من سهول ومراع ومصادر مياه ضخمة مثل عين الفزقية التي قال عنها الرحالة طوماس شو (Thomas Shaw) أنها عين وفيرة تزود مدينة قسنطينة بالمياه التي تقع بمحاذاة " جبل قريون " ببلاد " الزمـــول " حيث كان يستقربها شيخ

[1]- عميراوي احميدة، المرجع السابق.ص ص.52،53

[2]- عبد الحميد هنية، المرجع السابق، ص.141

[3]- احمد ابن العطار، المصدر السابق، ص.124

الحنانشة [1] كل هذه المظاهر وغيرها جعلت من الرحالة الذين تداولوا على زيارة الشرق الجزائري يؤكدون على أنه أغنى إقليم في الجزائر أمثال طوماس شو(Thomas Shaw) وديفونتان (Desfontaies) وبايصونال (Peyssonnel)، ومن المتأخرين أحمد الشريف الزهار-لا يحسب من الرحالة (1168هـ/1754 – 1246هـ/1830م)[2].

هذا عن وضع الحنانشة الاقتصادي بالجزائر، أما في تونس فتشير إحدى الوثائق الموجودة على مستوى الأرشيف الوطني التونسي والتي تعود إلى سنة 1035هـ/1626م على أن الحنانشة الكنفدرالية دونوا حجة عدلية يعترفون ضمنها بسيادة أتراك تونس عليهم وأنهم يدفعون المطالب المخزنية لباي تونس دون غيره [3].

ومما جاء فيها : "....الحمد لله حضر لمن يشهد بعد جماعة من أعيان البلد المعروف بأرق [4] .... واعترف جميعهم أنهم وآباءهم وأجدادهم السابقين من جملة رعايا صاحب كرسي تونس المحروسة من مدة الحفاصا[5] السابقين إلى ولاية السلطان العثماني، دام عزه ونصره وأصحاب المحال [6]عسكر تونس المحروسة، منهم المرحوم مراد باي بو شواطة والمرحوم رمضان باي والمعظم مراد باي صاحب المحلة في التاريخ [7] لم يزالوا يتعاطون قبض ما ترتب عليهم من الواجبات الشرعية والمطالب المخزنية، وأن صاحب كرسي تونس المذكور هو المتولي الحكم بينهـم في قضاياهم، وإذا نزل بهم أمر لجؤا إليه فيه وأن صاحب

---

[1]-Thomas Shaw, *op.cit.,*p.185

[2]– أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1168هـ-1276هـ/1754م-1830م) ،تحقيق أحمد توفيق المدني ،ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1980.ص.35.

[3]–حافظة 212 ملف 229 وثيقة رقم 17 ،(أ. و .ت)

[4]– كما ذكرت سابقا فإن أرق قد حددتها الأستاذة فاطمة بن سليمان بقلعة سنان والتي تتخذ منها الحنانشة ملجأها الطبيعي .

[5]– والمقصود بهم الحفصيين .

[6]– المحلة هي مؤسسة جبائية تعود إلى عهد الموحدين وحافظ عليها الأتراك، وحول المحلة في الجزائر وتونس يرجى الرجوع إلى :

Peyssonnel,*op.cit.,*p.63

ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص76./ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق ،ص.45.

[7]– هو مراد كورسو باي مؤسس حكم العائلة المرادية .

كرسي الجزائر ليس لهم عليه ولاية ولا عرفوا قط أنه وجه إليهم محلة لخلاص واجب شرعي أو مطلب مخزني منذ عقلوا إلى الآن .... " [1].

إن عملية تركيب الصورتين لما عليه الحنانشة في شرق الجزائر من هيمنتها على المراعي الجيدة ،وما هي عليه بغرب تونس يدرك أنه في هذه المرحلة كان إن – صح التعبير– التراب الجزائري يشكل موردا للمداخيل التي تستقبلها الخزينة التونسية من خلال الضرائب التي تدفعها الحنانشة التي تستغل مراعي وأقاليم تحسب ضمن نفوذ أتراك الجزائر.

إن هذا الوضع لن يبقى على حاله مطولا فكثيرا ما سنسجل أن الحنانشة ستغير من مواقفها ،اتجاه السلطة في البلدين فاليوم ستعارض طرفا لتعترف بالآخر لتدفع له الضرائب، وبعدها يحدث العكس وهكذا استمر شيوخ الحنانشة على هذا النحو، بما يوحي أن وقوعها بين سلطتين اقتضى منها انتهاج هذا النوع من التعامل الذي جعل من المصلحة الاقتصادية على رأس أولوياتها وفي نفس الوقت وبطريقة غير مباشرة ستحافظ على استمرارية العلاقات الاقتصادية بين تونس والجزائر خصوصا في ظل تضاؤل حظوظ هذه العلاقات على مستوى الحكام [2].

احتفظ الأرشيف الوطني الجزائري[3] والأرشيف الوطني التونسي [4]بوثيقة الحدود التي وقعها الطرفان سنة 1037هـ/1628م، والتي يظهر أنها ليست من نسخ واحد، تتحدث الوثيقة عن معالم الحدود التي كانت محل إجماع الطرفين، وبحضور علماء من البلدين أمثال " إبراهيم الغرياني " و" تاج العارفين " و"إبراهيم الجديدي" و"أحمد خوجة"، وقد شكل هذا الصلح الذي جنب الفتن محل اهتمام العلماء آنذاك في الجزائر وتونس التي كانت تربطهم صلات ثقافية واسعة لا يمكن أن تتحكم فيها الحدودالناشئة فقد بعث " إبراهيم الغرياني التونسي" إلى" عبد الكريم الفكون " بقسنطينة برسالة يخبره فيها بتفاصيل الصلح ومن حضره من علماء وأعيان ووفود [5].

---

[1]–حافظة 212 ملف 229 وثيقة رقم 17 ،(أ. و .ت)

[2]–محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص.102

[3]– سلمت لنا هذه الوثيقة التي مصدرها الأرشيف الوطني الجزائري في السنة النظرية لمرحلة الماجستير من قبل الأستاذة وداد بيلامي في إطار حصص دعم قدمتها لنا للتعرف أكثر على مسألة الحدود بين دول المغرب الكبير في العصر الحديث.

[4]– الدفتر رقم 2847،(أ.و.ت.)

[5]– عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلاميبيروت الإسلاميبيروت 1987. ص ص. 216،217

لقد كانت كنفدرالية الحنانشة بامتدادها الواسع بين البلدين في قلب صراع الحدود وإن كانت المصادر لم تتحدث صراحة إلى دورها في نشوبه أو حضور شيخها نصر في توقيع المعاهدة، إلا أنها تحدثت على انعكاسات هذه المعاهدة على الكنفدرالية، حيث باتت الكثير من مجالاتها نقاطا لحدود بين بلدين. فقد ورد في وثيقة الحدود أن الاتفاق الأول الذي جرى بين الطرفين و الذي يعود إلى سنة 1023هـ/1614م ورد فيه على أن يكون " وادي سراط " هو الحد الفاصل بينهما فما كان من غربه فهو للجزائر وما كان من شرقه فهو لتونس [1] .برز الصراع من جديد بعد أن عمد أهل تونس إلى قلعة أرق (قلعة سنان)التي كانت حينها مركزا للحنانشة وجعلوا بها نوبة ولم تكن سابقة وبالتالي خرق التونسيون المعاهدة الأولى، لكن هل كان للحنانشة دور في ذلك ؟ المصادر لم تجب على هذا السؤال لقد شكل هذا الخرق بداية لمواجهة جديدة، حيث وجهت الجزائر حملة عسكرية ضد تونس اشترك فيها مراد باي تونس آزره فيها خالد بن نصر الذي استنفر خمسة عشر ألف رجل منهم ألفي فارس [2]وخاضوا معركة " سطارة " قرب مدينة الكاف في 14رمضان 1037هـ/17 ماي 1628م حيث أرغمت القوات الجزائريين التونسيين على إبرام اتفاق جديد لضبط الحدود [3].

ورد في هذا الاتفاق مايلي:

1- يبقى مجرى وادي صراط هو الحد الفاصل بين البلدين في جهة الجنوب.
2- قلعة أرق أو قلعة سنان تخرج منها النوبة ويهدم ما فيها من البناء والعمران ولا يتعاطاها جيش تونس ولا عسكر الجزائر بعمارة وتبقى على حال الخراب.
3- يتواصل تعيين الحدود بين البلدين من وادي ملاق ابتداء من نقطة الأحيرش وقلوب الثيران إلى رأس جبل الحفا ومن هناك إلى البحر.
4- الذين يعبرون الحدود من أي من البلدين لا يتم الإعلان عنهم من طرف الدولة ويعتبرون متخلفين عن بلدهم ويعدون من اختصاص البلد الذي اختاروا الاستقرار فيه فمن دخل

[1]- الدفتر رقم 2847، (أ.و.ت.)

[2]-Bernard Roy, *op.cit.,*p.185

[3]- Adrien Berbrugger,*op.cit*.,p.406

عمالة الجزائر وحل غربي وادي سراط يكون خراجه لبايلك قسنطينة ولا يطالبه أهل مدينة تونس والعكس صحيح [1].

إن النص الأخير من الاتفاق يؤكد أن الحدود التي تم ضبطها من قبل البلدين كانت حدودا اقتصادية أكثر منها حدودا سياسية، كون كل طرف كان يريد ضمان مجال جغرافي معلوم يوجه له محلاته لجمع الضرائب لصالح خزينته. واستمرت بذلك الحنانشة على نفس وتيرتها في التعامل مع البلدين فقد تحصلت من وراء مشاركتها إلى جانب القوات التونسية في حرب 1037هـ/1628م على06 آلاف قفيز قمح وشعير، كما تمكنت في نفس الوقت من التملص من دفع ضريبة تقدر بـ 50 ألف ريال للسلطة بالجزائر [2] وكونها قبيلة موسعة وتعيش التضييق أحيانا من قبل السلطتين فلم تكن تتوانى أحيانا في السطو على القبائل سواء الجزائرية أو التونسية، فقد حدثنا " ابن أبي الضياف " عن إيقاع حمودة باشا باي تونس سنة 1040هـ/1631م بالحنانشة لأنهم كانوا ينهبون أموال التونسيين [3] .

وفي رسالتين تعودان إلى النصف الأول من القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي الأولى بعث بها مصطفى باي قسنطينة لشيخ الحنانشة، والثانية بعث بها أحمد باي لقائد الفراشيش وكافة المشايخ، الرسالتان تؤكدان على استمرار هذا الوضع على حاله، بحيث الرسالة الأولى تؤكد على ما باتت تلعبه الحنانشة من أدوار أكثر وضوحا فيما يتصل برعايتها للمصالح الاقتصادية للجزائر،مع تونس[4] فيما الرسالة الثانية تشير إلى حرص سلطة الأتراك في البلدين على أمن وأرزاق رعاياها في حالة تعدي رعايا الدولتين على بعضهم [5]، وكل ذلك لم يتأت إلا من خلال " الحدود الاقتصادية " التي لم تستقر على حال واحد وتعرف الثبات طيلة حكم الأتراك.وهذا ما جعل أندري نوشي(AndréNoushi) يصفها بالحدود الغير ثابتة أو المتحركة[6].

.

---

[1]- الدفتر رقم 2847،(أ.و.ت.)

[2]-Bernard Roy, *op.cit.*,,p.186

[3]- ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص.36

[4]-H/223/384/01:الوثيقة رقم 113،(أ.و.ت)

[5]-H/223/384/01:الوثيقة رقم 74،(أ.و.ت)

[6]-AndréNoushi, , *op.cit* .p.15

05.في عهد الشيخ خالد الصغير(1048هـ/1638م – 1054هـ/ 1644م)

بتولي الشيخ خالد الكبير لمشيخة الحنانشة كان نفوذ هذه الكنفدرالية في تقلص داخل التراب التونسي، فبعدما كان يمتد إلى غاية " تبرسق " تراجع ليشمل المنطقة الحدودية بين الجزائر وتونس وسيستمر هذا الوضع طيلة القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي، ومرد ذلك هو تمركز الأتراك في البلدين، وسياستهم القائمة على إخضاع القبائل لاستخلاص الضرائب منها، ففي تونس عمل حمودة باشا (1040هـ/1631م –1076هـ/1666م)ابن مراد باي مؤسس الأسرة المرادية على إخضاع الكثير من القبائل الموجودة بالدواخل التونسية، وذلك لتأمين سيطرتة عليها واستخلاص الضرائب منها. ففي الجهة الغربية حيث كان يمتد نفوذ الحنانشة خرج حمودة بقواته وأخضع أولاد شنوف في ما بين1045هـ/ 1636م – و1047هـ/1637م وولى عليها مملوكه القائد" علي الحناشي " الذي كانت فيه فروسية ثم أخضع قبيلة " أولاد بالليل" التي تتعاطى زراعة الحبوب في حوض مجردة الأوسط فسمحوا بآداء الماشية والنقد حسب تعبير صاحب كتاب " المؤنس"، ونفس الشيئ بالنسبة لقبائل شمال البلاد التونسية مثل قبيلة " أولاد حمزة" و" أولاد صولة " ،كما ركز حمودة باشا جهوده في الأطراف الجنوبية الشرقية أين تستقر قبيلة أولاد سعيد [1] وبفضل هذه السياسة أصبح حكام المدن التونسية مثل القيروان وباجة وصفاقص وقفصة والكاف يرسلون ضرائب لحاكم تونس بقيمة 05 آلاف درهم فيما استطاع هو أن يجمع من دواخل تونس 42 ألف درهم يكون نصيبه منها 12 ألف درهم [2].

لقد قاومت هذه القبائل سياسة التوسعات التي أقدم عليها حمودة باشا، أين برز الصراع في شكل نمطين اقتصاديين متباينيين، فالأول الذي يمثله الحكام الأتراك ويسعون من خلاله لمركزة النفوذ السياسي وضمان آليات اقتصادية قارة قوامها المداخيل الجبائية التي مصدرها القبائل المنتشرة ضمن ما بات يعرف بالحدود التونسية بعد اتفاقية سنة 1037هـ/1628م.والنمط الثاني تمثله القبائل والمجموعات المحلية التي تعمل في الحفاظ على استقلاليتها والتخلص من دفع هذه الضرائب التي تثقل كاهلهم [3] بل أن البـعض

.

[1]- ابن أبي دينار، المصدر السابق،ص ص .233-235.

[2]– محمد العدواني، المصدر السابق،ص.221

[3]– عبد الحميد هنية، المرجع السابق، ص.142

منها قاوم لما رأوه من مآلهم في السلم الاجتماعي، مثل " أولاد بالليل " الذين خضعوا للأتراك وأقروا بدفعهم للضرائب بعدما كانوا أهل حل وعقد في العهد الحفصي [1].

لقد كانت الحنانشة بما يلتف حولها من قبائل تمثل النمط الثاني، الذي يبحث عن الاستقلالية الاجتماعية والاقتصادية، ونستطيع القول أن الحنانشة هي الوحيدة التي استطاعت التصدي لمشروع المركزة الذي دأب على تجسيده أتراك الجزائر وتونس، ومرد ذلك هو القوة العسكرية التي تملكها والشبكة الاقتصادية التي شكلتها والتي قوت من عضدها، فضلا عن موروثها الثقافي الذي جعلها في خانة المدافعين والحاضنين للحركات الدينية التي دأبت على نشر تعاليمها خاصة في الوسط القبلي مثل الشابية التي حاربت من أجلها لسنوات، أو احتضانها لخنقة سيدي ناجي التي أصبحت تشكل مركزا يشع العلم ضمن نطاق نفوذها وتتضح هذه الصورة النمطية للحنانشة بشكل جلي في شخص شيخ الحنانشة خالد الصغير، الذي كان يتوفر على قوة ومهابة مكنته من التصدي لمشروع الأتراك بحيث واصل الولوج في الأراضي التونسية والتعرض للمحلات التي كانت تجوب القبائل، لجمع الضرائب[2] لقد قاوم خالد الصغير مشروعا اقتصاديا بتونس أصبح مزاحما له تجسد في المؤسسة الجبائية التي تعرف بالمحلة والتي باتت تجوب البلاد التونسية في فصلين فتكون وجهتها في الشتاء " بلاد الجريد "، وفي الصيف نحو الشمال الغربي حيث تجني عوائد كبيرة [3].

مقاومة شيخ الحنانشة خالد الصغير لمشروع أتراك تونس،والقوة التي طبعته وإصراره دفعت بايات تونس إلى تجنب مواجهته بل وإرسال العطايا والهدايا له، حيث يكشف أحد الدفاتر الجبائية أن الهدايا التي كان يقدمها بايات تونس لشيوخ الحنانشة كانت ذات قيمة مالية كبيرة ولا تشمل الشيخ فحسب بل مقربيه وحاشيته، وتتضمن الهدايا حتى مصوغات من الذهب لنسائهم [4]. ويقول صاحب كتاب "المؤنس " في كل ما تقدم " كان خالد المذكور أشهرهم سمعة بين قبائل العرب وله منعة وعدة وقائع مع عسكر الجزائر عمر عمرا طويلا ومارس الحروب وكان يتشامخ بأنفته على تونس ويمتـد في وطنها لأنـه

[1]- ابن أبي دينار، المصدر السابق،ص.235

[2]- ابن أبي دينار، المصدر نفسه،ص.236

[3]- ابن أبي الضياف، المصدر السابق،ص.120

[4]- الدفتر رقم 2144،(أ.و.ت)

مجاور لها ويتعرض إلى محلتهم فيستكفون شره، ويهادنونه بالهدايا "[1].

إن خالد الصغير ورغم مقاومته لمشروع " المركزة الاقتصادية "بتونس، إلا أن الكثير من القبائل دانت بالطاعة تحت حملات بايات تونس، الأمر الذي حد من موارد الكنفدرالية، لكن في هذه الفترة كانت البدائل متوفرة بالنسبة لشيوخ الحنانشة فأمام هذا التضييق الاقتصادي كانت الوجهة نحو سواحل البحر المتوسط أين يوجد باستيون فرنسا ضواحي القالة، حيث دخل شيوخ الحنانشة وعلى رأسهم خالد الصغير في علاقات تجارية واسعة مع الباستيون، الذي أصبح يشكل موردا مهما لنشاط سكان الشرق ومصدر ثراء لأسرة الحنانشة الحاكمة بهذه المنطقة التي باتت تنتفع مع القبائل المنضوية تحتها ببيع حبوبها ومنتوجاتها من أصواف وشمع للمركز التجاري الموجود بالحصن [2].خاصة بعد أن هيكل حكام الجزائر نشاطه في الاتفاقية التي تعود إلى سنة 1037هـ/1628م مع فرنسا برعاية "صانصون نابوليون" (Sanson Napoléon) الذي وفد إلى الجزائر، وهي اتفاقية مكملة للاتفاقية الأولى التي تعود إلى سنة 1028هـ/ 1619م، أين كان حكام الجزائر بدورهم يستفيدون من نشاط الباستيون إذ كان القائمون عليه ملزمين بدفع مبلغ مالي يقدر بـ 12 ألف قرش للخزينة وما يقارب هذا المبلغ يوزع على الباشا والكاهية والآغا وعلى بعض أعضاء الديوان [3].

ونظرا لنفس السياسة التي دأب على اتباعها أتراك الجزائر من خلال فرض الضرائب على رعاياهم والتضييق عليهم فقد أقدم مراد باي قسنطينة [4] وبأمر من حاكم الجزائر،على فرض دفع اللزمة ضريبة سنوية على سكان بايلك الشرق، وبأوامر من نفس الباشا أقدم القائد "علي بتشين " على هدم باستيون فرنسا، أين تضررت بسبب هذا الهـدم المصالح الشخصية لشيخ الحنانشة خالد الصغير،وكـان

.

[1]– ابن أبي دينار المصدر السابق، ص.236

[2]-A .Berbrugger,*op.cit*.,p.347

[3]–معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619- 1830، نشر وترجمة جمال قنان، دار هومة ،الجزائر ،2010.ص.74

[4]– جعل محمد صالح العنتري من فرحات باي هو أول باي على قسنطينة وذلك سنة 1647،يرجى الرجوع إلى:

– صالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة ،نشر يحي بوعزيز، دار هومة الجزائر،2005،ص ص.62،61.

هذا العمل بداية لاندلاع ثورة عارمة سنة 1048هـ /1638م مست بايلك الشرق قادها خالد الصغير وأحمد بن صخري الذي قتل مراد باي أخاه [1].

ترجم شارل فيرو (Charles Féraud) في عدد المجلة الإفريقية لسنة 1866م لمخطوط يعود للأهالي يسرد تفاصيل هذه الثورة العارمة التي تعرف بثورة شيخ الصحراء شيخ العرب " أحمد بن صخري" .كان مراد باي قسنطينة يخيم في شهر صفر 1047هـ/ جوان 1637م جنوب قسنطينة، حيث استقبل الشيخ " محمد بن صخري بن بوعكاز العلوي " شيخ العرب، أين قام بأسره وطلب من الديوان في الجزائر السماح له بقتله لأنه خرج عن طاعة حاكم الجزائر، وقد نفذ فيه مراد باي حكم الإعدام وقتل معه ابنه أحمد وستة آخرين كانوا برفقته حيث قطعت رؤوسهم [2].

سنة بعد هذه الحوادث (فرض اللزمة، هدم الباستيون، قتل شيخ العرب) والتي جعلت من مصالح الطرفين تلتقي فشيخ الحنانشة يريد استرداد مصالحه الاقتصادية التي باتت تتقلص أمام النفوذ التركي وشيخ العرب يبغي الانتقام لمقتل أخيه، تقاطع مصالح الطرفين دفعتهم للتعاون فيما بينهم تؤازرهما القبائل البدوية الممتدة من أبواب مدينة تونس إلى أبواب مدينة الجزائر، حيث أعلنوا الثورة ضد مراد باي امتدت على رقعة واسعة من الصحراء جنوبا إلى غاية الساحل شمالا [3].

أخذت هذه الثورة بالنسبة لشيخ الحنانشة بعدها الاقتصادي لذلك استهلها بطرد الحامية التركية المتواجدة بمناطق نفوذه و السيطرة على ساحل بايلك الشرق الذي يشكل منفذا طبيعيا لتجارة البايلك مع المحيط الخارجي من خلال موانئه [4]بعد أن طرد إلى تونس كل من قبيلة " أولاد ذياب " ودريد ونهد الموالين للقائد التركي علي بتشينالذي هدم الباستيون، ثم زحف مع شيخ العرب نحو قسنطينة مقر السلطة بالناحية الشرقية أيــن حاصروها ليمارسوا في ضواحيها حرب اقتصاديــة تستنزف موارد المدينــة .

[1]-EugèneVayssettes, *Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517à1837,* Edition Bouchene, France, 2006.p.72

[2]-L.Ch. Féraud, « Epoque de l'établissement des Turcs à Constantine» ,*R.A*,10,(1866)p.180

[3]-L.Ch. Féraud,*op.cit*.,p.181.

[4]- كان ميناء القل غرب سكيكدة يشكل الميناء الرئيسي لتجارة بايلك الشرق .

فأقدموا على حرق الغلال الموجود بالفحص الأبيض بالحامة [1]وإضرام النار في القرى الموجودة في هذه الجهة، حيث امتد لهيبها إلى غاية بساتين "المنية "[2] وفي النقاط الممتدة من قسنطينة إلى "حفرة صنهاجة" [3] ولم يتوانوا في حرق كل القرى التي تتوفر على الغلال ونهبها. ويصور لنا المخطوط الذي ترجم له فيرو (Féraud) حالة هذه الثورة " ...وفي غد ذلك اليوم فزع بخيله ورجاله للفحص الأبيض بالحامة وتلك النواحي وأطلق النار في نوادر القمح والشعير فأحرقها عن آخرها وأحرق ما فيها من الدشر، حتى انتهى الحرق إلى جنة المنيا وأطلق النار من نواحي أخرى، ومن الغد وهو اليوم الثالث أطلق النيران من قسنطينة إلى أن انتهى إلى حفرة صنهاجة ولم يزل يحرق وينهب ومهما سمع بدشرة بها شيئ من الزرع نهبه.."[4].

استطاع شيخ الحنانشة خالد الصغير بمعية أحمد بن صخري أن يربكا النظام التركي بالجزائر لحوالي ثلاث سنوات، حيث اختل النظام وعمت الفوضى كل الإقليم وتعرض الباي مراد لهزائم متكررة مثل هزيمته في معركة "قجال" جنوب مدينة سطيف، واضطر أن يفر بنفسه رغم النجدات الكثيرة التيأرسلها لهالباشا من مدينة الجزائر بإشراف من القائد يوسف والقائد شعبان [5]، وسادت المؤامرات بين الأتراك في هذا الظرف، حيث حاول القائد سليمان الإيقاع بباي قسنطينة الذي كان يريد التفاوض مع شيخ الحنانشة وشيخ العرب وخلص هذا الصراع في الأخير وبعد وساطات إلى رضوخ الحكام الأتراك للشروط التي أملتها الأطراف المنتصرة وتجسدت هذه الشروط في النقاط التالية :

1-كف الأتراك عن الإصرار بالمطالبة بضريبة اللزمة .

2- عودة القوات التركية لمدينة الجزائر .

---

[1]- الحامة تقع على طريق سكيكدة وتبعد قسنطينة بحوالي 08 كلم تميزت ببساتينها،ومياهها الحارة، وسيستغلها صالح باي (1771-1792م) في زراعة الأرز .حول الموضوع يرجى الرجوع إلى :

-E. Vayssettes , *op.cit.,*p.139

[2]- المنية تقع على طريق قسنينة سكيكدة وتبعد قسنطينة بحوالي 03 كلم تتوفر على بساتين يتم سقيها بوادي الرمال الذي يخترق المدينة.

[3]- حفرة صنهاجة تقع شمال قسنطينة بين جبل مسيد وبساتين الحامة .

[4]-L.Ch. Féraud, , *op.cit.,*p.181

[5]-E. Vayssettes , *op.cit.,*p.75

3-إعادة بناء الباستيون، ويستبدل الأهالي المحاصيل الزراعية بقيمة مالية يدفعون بها اللزمة كون مداخيلهم تراجعت بسبب تحطيم الباستيون[1].

استطاعت الحنانشة بفضل هذه الاتفاقية مع أتراك الجزائر من الحفاظ على مصالحها الاقتصادية التي باتت ترتبط بشكل وثيق بالباستيون، وعاد نشاط الباستيون بعد المعاهدة التي تمت بين الحكومة الجزائرية والسيد دي كوكيل (Décoquille) بتاريخ 18ربيع الأول 1050هـ /07جويلية 1640م وتضمنت بنود الاتفاق 23 بندا، ينظم نشاط الباستيون، أهمها البند رقم 01 الذي منح تسهيلات واسعة للفرنسيين مثل احتكارهم لتجارة بعض السلع كالشمع والجلود مابين القل وحتى القالة والبند رقم 02 الذي يلزم السيد دي كوكيل (Décoquille) بدفع مقابل التجارة التي يمارسها 34ألف دوبل كلزمة سنوية [2]، كما يظهر أن السلطات الجزائرية كانت حريصة في التضييق على تجارة التونسيين الذين كانوا يترددن على الموانئ الجزائرية، وذلك للحد من نفوذ السلطة المركزية بتونس التي باتت في عهد حمودة باشا تبحث عن تأمين مداخيل قارة لخزينتها، فورد في البند رقم 10: يمنع على أي أحد في كل من مينائي بونة والقل أن يبيع الصوف والشمع والجلود لرياس المراكب من التونسيين أو الجربيين[3].

لكن يظهر أن حمودة باي تونس كان ذاهبا في تجسيد مشروعه القائم على بناء مجال يستند لسلطة مركزية ،فبعدما أخضع القبائل التي تحدثنا عنها آنفا ،وضمن من خلالها ضرائب فصلية تجنيها المحلات التفت إلى الشابية التي كان على رأسها علي بن عبد الصمد، حيث برز الصراع بين الطرفين على جمع الضرائب من الرعية بتونس فضرائب الجريد التي كانت من نصيب الشابية، ولا يقع خلاصها إلا على يدهم حيث يجمعون تمر الجريد في شكل ضرائب إضافة إلى الأموال، وقد طلب حمودة باشا من سكان الجريد الخراج في شكل نصف غلة التمر ونصف المال والنصف الآخر يكون من نصيب الشابية لكن الشابية رفضوا ذلك فجرد ضدهم محلة نحو الجريد حيث قتل بعض الموالين لهم مثل أحمد الشابي والطيب الهمام واستخلص الضرائب من الجريد وعاد في طاعته الرعايا الذين فروا في السابق من محلاته التي جردها ضدهم والتجؤوا للشابية [4].

---

[1]- A.Berbrugger,*op.cit*.,p.345

[2]- وهو يعادل حوالي 515 سلطاني جزائري .أو 2500 قرش اسباني .

[3]- جمال قنان، المصدر السابق، ص ص.320-324.

[4]- محمد العدواني، المصدر السابق، ص ص.224-226.

واستطاع حمودة باشا من خلال حملاته هذه أن يوقع بالشابية ويجليها عن معاقلها وأوطانها ويشتتها وانتزع دريد من يدها ووضع طائفة عظيمة منهم في ديوان الجند وهم المرازقية، ثم أخذ ينشأ في الزمالات (جمع زمالة) من القبائل التي أخضعها حيث نشرها في جميع النقاط والفجاج التي من شأنها أن تؤمن المسالك التي تعبرها المحلات[1] وكان لبعض قواد الحنانشة دور في إنشاء هذه الزمالات مثل القائد علي الحناشي [2].

كان آخر عائق يؤرق حمودة باشا باي تونس في تأسيس قاعدة اقتصادية تستند إلى سلطة مركزية هو شيخ الحنانشة خالد الصغير بن نصر،الذي بقي بايات تونس يهادنونه بالهدايا فيما بقي هو يمتد في وطنهم وقد ازداد الشيخ خالد قوة وعنفوانا بعد المكاسب الاقتصادية التي حققها بعد ثورته على أتراك الجزائر، حيث أمن لشخصه وللكنفدرالية صيرورة تجارتهم مع الباستيون، فيما واصل في جمع الضرائب من القبائل التي كانت تحت سلطته [3]. ويظهر أنه ابتكر أساليب جديدة ينمي بها ثروته بحيث تتماشى هذه الأساليب مع ذهنية ومعتقدات الرعية في ذلك العهد فاستجلب المسمى "عبد الملك السناني " الذي يبدو أنه ادعى الصلاح ووضعه تحت كنفه فصارت الأركاب تأتي إليه والوفود تأتي إليه وما منهم إلا من يحمل شاة أو بقرة أو غير ذلك من الأمتعة ويجمع ذلك في خزانته، ويذكر للعامة أنه ينفقه على الفقراء وكان له أتباع في البوادي يذكرون لمن يلقونه مآثره وكراماته ويستجلبون بها جمع الأموال وقلوب الأغنياء [4].

---

[1]- الزمول وهي فرق عسكرية أنشأها الأتراك من قبائل مختلفة وظيفتها تأمين الطرق والمسالك والسير مع البايات في حملاتهم ،على شاكلة الزمول بالشرق الجزائري الذين تشكلوا خاصة من أولاد دراج وكان تنظيمهم عسكريا على عهد رجب باي سنة1077هـ/ 1666م أما تنظيمهم النهائي كهيئة مقاتلة كان على يد الباي حسن بوحنك (1149هـ/1736-1754هـ/1167م)، ثم أقرهم صالح باي في سهول عين مليلة .لحراسة الطريق بين قسنطينة بسكرة ،وحول الزمول وهذا النوع من التنظيمات يرجى الرجوع إلى:

L.Ch.Féraud, «Notes historique sur les tribus de la province de Constantine »,*R .S.A.C,* .(1869).PP.38-60.

E.Robin , « Note sur l'organisation militaire et administrative dans la grand Kabyle », *,R.A*.17,(1873),pp,130-137

[2]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.236.

[3]- محمد العدواني، المصدر السابق، ص ص.207،204

[4]- عبد الكريم الفكون، المصدر السابق،ص.167.

غدت الحنانشة وسهولها بهذا الوضع الاقتصادي المريح قبلة للقبائل التي تعيش بالأوراس بعد المجاعة التي حلت بهم أين قرروا التوجه نحو سهول الحنانشة مثل أولاد خيار وسلاوة وأولاد دهان وأولاد مرداس والخباتنة [1].

أخذ صراع حمودة باشا والشيخ خالد منحى اقتصاديا بالدرجة الأولى، كانت آخر محصلاته صراعهما في السيطرة على مياه وادي صراط، فقد وجه له حمودة باشا حملة عسكرية سنة1054هـ/1644م في إطار تقليم أظافر هذه الكنفدرالية والحد من مواردها ومقوماتها الاقتصادية التي باتت آمنة في الشرق الجزائري ودخل الطرفان في"معركة سيراط"كان النصر فيها حليف حمودة باشا [2].

بعد هذه الواقعة تراجع نفوذ خالد بن نصر الاقتصادي في الأقاليم التي باتت تحت سلطة حمودة باشا. وحفاظا على مصالحه أصبح هو من يقدم الهدايا لباي تونس، فقد حدثنا العدواني عن إرسال شيخ الحنانشة مع المسمى " عمارة بن العداسي " هدية تشمل العسل وشياها وفرسا فاسية وقد عامله حاكم تونس معاملة حسنة وهي نفس الهدايا التي كان يرسلها لباي قسنطينة لأنه أدرك أنه غدا يعيش بين سلطتين[3]، وكان من جملة ما جناه حمودة باشا من انتصاره على خالد بن نصر هو هيمنته على الطرقات التي كانت تحت سلطة ومراقبة الحنانشة والتي وضع ضمن امتدادها فرق من الزمالة تحرصها وترعى من يسلكها [4].

[1]- محمد العدواني، المصدر السابق،ص.335

[2]- ابن أبي دينار، المصدر السابق،ص.236

[3]- محمد العدواني، المصدر السابق،ص.ص.210-212

[4]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص ص.237،236.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر وتونس

بعد انقسام مشيخة الحنانشة

1054هـ/1644م – 1186هـ/1772م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

06.في عهد الشيوخ منصر(فرع منصر)ونصر(فرع نصر)والصغير(فرع نصر) 1054 هـ/1644م – 1088هـ/ 1677م

بوفاة خالد الصغير بن نصر،توزعت مشيخة الحنانشة بين فرعي الابن البكر نصر والابن الأصغر منصر حيث اعترف الأتراك بهذا الأخير شيخا للحنانشة بدلا من أخيه البكر،ولو أن الكتابات لم تحدد بالضبط تاريخ هذا الانقسام،إلا أنها تحدثت عنه بشكل واضح سنة 1086هـ/ 1675م بعد وفاة مراد باي تونس عندما لجأ ولداه "محمد" و"علي" المتخاصمان على السلطة إلى فرعي الحنانشة واستنجد كل ولد بفرع،[1] بينما كان آخر تاريخ تحدثت فيه المصادر عن خالد الصغير بن نصر يعود إلى سنة1054هـ/ 1644م، عندما انتصر عليه حمودة باشا باي تونس بعدها لم يعد له ذكر حسب تعبير صاحب كتاب المؤنس [2]، وبالتالي فبين التاريخين سنة 1054هـ/1644و 1086هـ/1675م مدة تجاوزت الثلاثين سنة سكتت عنها المصادر، وبالتالي من الصعب تحديد تاريخ بعينه انقسمت فيه الحنانشة إلى فرعين،وبالتالي جعلنا من تاريخ 1054هـ/1644متاريخ انهزام الشيخ خالد أمام حمودة باشا كمؤشر عن انقسام في بيت أحرار الحنانشة .

الواقع أن الحكام الأتراك وقصد حكمهم لهذه البلاد لم يتوانوا في بث روح التفرقة والشقاق في صفوف الجماعات[3]، وقد تحول هذا الانشطار إلى قاعدة عامة درجت عليها الحنانشة طيلة حكم الأتراك للجزائر. أما الفترات والمناسبات التي اندمجا فيها فكانت قليلة جدا،بالمقارنة مع المناسبات التي ظلا فيها منشطرين رغم التجاذبات السياسية التي أحاطت بهم على الأطراف الغربية يشكلها بايات قسنطينة وعلى الأطراف الشرقية يشكلها بايات تونس[4].

لكن وأمام هذا الانقسام في هرم مؤسسة مشيخة الحنانشة، هل تأثر وضعها الاقتصادي، وحالها الثقافي ؟ وهل بقيت بدورها الفاعل كما كانت عليه قبل هذا الانشطار، أم أنها تدحرجت إلى مستويات دنيا جعلتهم في وضع الأتباع أكثر منهم أحلاف وفاعلين في الساحة الثقافية والاقتصادية بين الجزائر وتونس؟.

---

[1]-L.Ch. Féraud ,Les Hrar, *op.cit* .,p.203

[2]–ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.236

[3]– مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، نشر محمد العربي الزبيري، لشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1973.ص.57

[4]– العربي الحناشي، المرجع السابق، ص.27.

لقد ورث ولدا خالد الصغير منصر ونصر عن والدهما،ومن بعدهم صغير في النصف الثاني من القرن السابع عشر ميلادي وضع أقل ما يقال عنه أنه حافظ على توازنات الحنانشة الثقافية والاقتصادية بين الجزائر وتونس.ففي الجانب الثقافي بقيت الحنانشة على صلة بالطريقة الشابية في بعدها الديني بينما بدأت تتخلص منها تدريجيا في شقها السياسي،خاصة بعد حروب عبد الصمد الشابي الطويلة التي أنهكت القبائل المتحالفة معها[1] .

أما في الجانب الاقتصادي فرغم اتفاقية الحدود التي أبرمت بين الجزائر وتونس لتقاسم النفوذ الاقتصادي،وأمام مشروع مركزة السلطة بتونس التي مكنت حمود باشا في السنوات الأولى من حكمه من إخضاع الكثير من القبائل،كان من محصلاتها الأساسية جباية منتظمة للضرائب من خلال المحلات الفصلية. رغم كل هذا التضييق الاقتصادي على كنفدرالية الحنانشة جهة تونس إلا أن شيوخها وخاصة خالد الصغير استطاعوا التكيف مع هذا الواقع الجديد وذلك بفضل امتدادها الواسع الذي يصل حدود البحر وسواحله التي باتت تؤمن تجارة مربحة مع أوربا من خلال وساطة باستيون فرنسا،حيث دافعت الحنانشة عن هذا الامتياز الاقتصادي في ثورة 1047هـ/1638م،التي استطاعت من خلالها الحفاظ على توازناتها الاقتصادية في المنطقة الحدودية،وهذا ما مكنها من مواصلة لعب دور محوري في ربط الصلات الثقافية والاقتصادية بين الجزائر وتونس بعد انقسام مشيختها .

كما كانت أولى مؤشرات هذا التواصل في شقه الثقافي هو دعم الحنانشة لعلي بن عبد الصمد الشابي ومن بعده ابنه بوزيان الذي استطاع بفضل دعم الحنانشة له أن تسترد الطريقة الشابية بعضا مما فقدته من أتباع نتيجة حملات حمودة باشا فاستردت الطريقة قبيلة دريد إلى صفها بعد وقائع عين الحجر قرب تمغزة سنة 1056هـ/1646م، وأمام استفحال الشابية من جديد في حيز الكنفدرالية، وخشية أتراك الجزائر من امتدادها الواسع مرة أخرى أقدمت على وضع حاميات عسكرية تعرف بالنوبة بمدينة تبسة الحدودية سنة1060هـ/1650م[2] وقد تكونت نوبة تبسة من29 مجند تركي[3]، لكن يظهر أن الشابية وبدعم من الحنانشة استطاعت مرة أخرى مد نفوذها إلى غاية سوف وذلك بعد إخضاع طرود سنة1074هـ/1664م[4].

---

[1]- علي الشابي، المرجع السابق، ص.82

[2] - Ch. Monchicourt,*op.cit.,*p.32

[3]-Albert Devoulx, *Tachrifat.*Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger, imprimerie du gouvernement, Alger,1852.p .50

[4]-علي الشابي، المرجع السابق، ص.84

هذا وتوالت النكبات الطبيعية في هذه المرحلة بتونس الأمر الذي أثر على اقتصادها ومداخيلها فقد وقع بها الطاعون في الفترة الممتدة بين1073هـ/1663و1080هـ/1669م،حيث وقع فيه الفناء حتى بلغ عدد الجنائز في اليوم الواحد زهاء ألف [1].

وتعقدت الأوضاع أكثر سنة 1086هـ/1675م عندما استفحل الصراع بين علي باي وأخيه محمد باي على حكم تونس، لتلتقي عندها مصالح الحنانشة والشابية في هذا الصراع، فقد شكل فرصة للحنانشة لاسترداد ما فقدته من نفوذ اقتصادي في التراب التونسي في عهد حمودة باشا،أما بالنسبة للشابية والتي فقدت الكثير من بريقها كطريقة صوفية كانت تجمع الكثير من الأتباع تريد استردادها لهذا البريق عبر البوابة السياسية. وهي التي دأبت كما يقول أبو القاسم سعد الله في " التقرب من الحكومات وأصحاب النفوذ لكي تحافظ في الظاهر على فوائد الزيارات التي يأتي بها الأتباع "[2]،لكن يظهر أن هذه المرة تحالف الحنانشة مع الشابية أخذ أشكالا مغايرة لما دأب عليه الحال في السابق، فقد تحالف فرع نصر مع محمد باي،فيما تحالف فرع منصر والشابية مع أخيه علي باي،لكن كل هذه الفئات من فرع نصر ومنصر والشابية تلتقي في هدف واحد وهو استرجاع ما فقدوه في تونس خاصة أمام المغريات التي قدمها كل طرف في جلب مناصرين إلى صفه [3].

[1]- ابن أبي الضياف، المصدر السابق،ص.82

[2]-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص.277

[3]- جميلة معاشي، المرجع السابق،ص.261.

07.في عهد الشيخين الحاج المرداسي (فرع نصر) وسلطان (فرع منصر) 1088هـ/1677م –1136هـ/1724م

بتولي الحاج المرداسي من فرع نصر لمشيخة الحنانشة واصل هذا الفرع تحالفه مع محمد باي الذي فر إلى الكاف " وتحزب بأهلها وجمع جموعا"[1]، واستطاع العودة إلى حكم تونس بعد انسحاب عمه محمد الحفصي الذي كان طرفا ثالثا في الصراع على حكم تونس، بعد وقوف الجيش والديوان إلى جانبه عندها أقدم أخوه علي على الهروب واللجوء إلى قسنطينة،وفي مدة إقامته بها دخل في علاقات مع سلطان بن منصر شيخ الحنانشة من فرع منصر غريم الشيخ المرداسي حليف الباي محمد[2]، وقد توجت هذه العلاقة بمصاهرة علي باي لابنة سلطان بن منصر الذي كان يشكل وقتها أكبر مشايخ العرب وأولدها ابنه مراد [3]، وقد جمع لأخيه جموعا من فرع الحنانشة المتحالفين معه يدعمهم أولاد بوزيان الشابي، حيث اقتحم بهم " جبل وسلات " الذين دانوا له بالطاعة وجعلوا له شيئا من المال [4].

بمعاضدة الشيخ سلطان والشابية لعلي باي تمكن الأخير سنة1088هـ/1677م من الاستيلاء على حكم تونس فيما حاز سلطان على ثروة وجاه "ضربت بسعادته المثل "[5]،إلا أن الأوضاع لم تستقر طويلا إذ سرعان ما استجمع محمد باي قواه وبمساعدة أولاد نصر الذين وفروا له ألف وثمانية مائة مقاتل [6] هزم علي باي الذي ارتد عليه جنده بينما كان محاصرا للكاف وتمكن محمد باي من استرجاع الحكم، إثر هذه الهزيمة الحربية التجأ علي باي إلى نواحي الجريد وهناك نظم صفوفه ليعود مرة أخرى إلى تونس لاستعادة السلطـــة يؤازره سلطان العـــرب (سلطان بن منصر) بخيلـته ورجـــاله[7]، أما محمد باي فقـد

---

[1]– السراج، المصدر السابق،ج 2،ص.453

[2]-L.Ch. Féraud ,*op.cit.,*p.205

[3]–ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.259/ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص.49

[4]– ابن أبي الضياف، المصدر نفسه ،ص.49

[5]– ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.259.

[6]-Toufik Bachrouch, *Formation sociale barbaresque et pouvoir à Tunis au 18e siècle,* Tunis,1977,p.180

[7]– ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.261.

استنجد من ناحيته ومرة أخرى بالحاج المرداسي بن نصر الذي " أقبل في عدد لا يعلمه إلا الله " والتقى الجمعان بجهة "الفحص" وأسفرت المواجهة على انهزام محمد باي وهروب حليفه الحاج المرداسي وعودة علي باي إلى الحكم [1].

تواصلت الحرب سجالا بين الأخوين وكان ميزان القوى في أغلب الفترات لصالح علي باي رغم فقدانه لسنده وصهره سلطان بن منصر في معركة "وادي تاســة" (رمضان1088هـ – نوفمبر 1677م) " لأنهم هجموا عليه على غفلة ...وكثرت عليه الجموع فطعن ومات "[2] وقد اختفى الشابية بعد هذه الواقعة على مسرح الأحداث فيما اتفق الطرفان المتصارعان وبتدخل جزائري على اقتسام البلاد بينهما [3].

بعد تفكك الشابية التي كانت تلتف حولها الكثير من القبائل تغيرت خارطة توزيع القبائل وتحالفاتها داخل كنفدرالية الحنانشة فتجمع النمامشة حول "الرزقي بن عمارة الرشاشي" واحد من وجهاء أولاد رشاش حيث شكلوا نواة مستقلة و ساروا إلى الجريد أين قاموا ببعض الغزوات[4] ، والحراكتة التفوا حول شيخهم عيسى،أما نهد وخمير الذين كانوا يجمعون الضرائب لصالح الشابية في الصحراء، فأجبروا على اللجوء إلى الجبال بالقرب من القالة،أما دريد الحراس الشخصيين لمشايخ الشابية فتفرقوا في مختلف الجهات بالجزائر وتونس، وادي مسكانة،والبعض منهم اتجه إلى "أوكــس" بالقرب من تبسة آخر ملجأ لهم،حيث أخذت كل مجموعة أسلحتها واختارت مكانا لها تتحصن به أو تلجأ إليه في حالة تعرضها إلى هجمات من قبائل قوية، وبقيت طيلة أكثر من قرن في صراع من أجل أن يحافظ كل تجمع سكاني على المكان الذي اختاره نهائيا ليشكل في تلك النقطة القبيلة [5]، ونتيجة لهذا التوزيع الجديد للقبائل فقد برز صراع جديد حول المراعي حيث حاولت كل قبيلة توسيع مجالها الرعوي[6].

.

---

[1]- العربي الحناشي، المرجع السابق، ص.43

[2]– ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.263.

[3]– المصدر نفسه، ص.ص.274،273.

[4]– بيار كاستال، المرجع السابق، ص.175

[5]-L.Ch. Féraud ,*op.cit.*,p.148

[6]– بيار كاستال، المرجع السابق، ص.175

استطاعت الحنانشة من وراء دعمهم للأطراف المتصارعة في تونس، من تحقيق مكاسب على الصعيد الاقتصادي تجسدت على سبيل المثال لا الحصر في حبس باي تونس سنة 1099هـ/ 1688م لجنات النخيل بكل من توزر والجريد لصالح زاوية ششار بخنشلة وذلك لينفق ريع غلتها لإطعام الزوار وعلى المنقطعين الواردين، ومما ورد في هذه الوثيقة: " ووقف جميع الغابة المحدودة المذكورة أعلاه بحقوقها ومنافعها على...فإذا انقرض عقبهما أو لم يكن لهم عقب لا قطع الله لهما عقبا رجعت الغابة المذكورة على زاوية جدهما الشيخ المسعود نفعنا الله ببركاته وأفاض علينا من نفحاته وخيراته يصرف ما يتحصل من غلة الغابة المذكورة في إطعام الطعام للزوار والمنقطعين الواردين على الزاوية"[1].

كما استعادت الحنانشة نشاطها الاقتصادي بتونس والذي تقلص في عهد حمودة باشا،فأصبحت تشارك إلى جانب بايات تونس في جمع الضرائب مثل مشاركتها إلى جانب علي باي الذي ارتحل من الفحص إلى باجة "لاستفـــاء مجابيها " وقد شاركه في ذلك صهره سلطان بن منصر الحناشي[2]، أما في الدفتر الجبائي رقم 01 الموجود على مستوى الأرشيف التونسي والذي يعود إلى الفترة الممتدة مابين 1087هـ/مارس 1676م إلى محرم 1092هـ/جانفي 1681م، وطبعا في هذه المرحلة تداول على حكم تونس الأخوين محمد وعلي المدعمين من قبل فرعي الحنانشة،ففي هذا الدفتر وردت فيه أسماء لعناصر من الحنانشة فرضت عليهم ضرائب،مقابل ترددهم على تونس، وأنشطة تجارية كانوا يزاولونها بها،حيث اختلفت تذكرة كل ضريبة بحسب قيمة كل نشاط والجدول التالي يوضح ذلك :

[1]– وثيقة نشرها علي الشابي في آخر دراسته، ص.88

[2]– ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص.53.

جدول رقم – 06– ضرائب فرضتها السلطة بتونس على عناصر من الحنانشة 1087هـ/مارس 1676م إلى محرم 1092هـ/جانفي 1681م[1]

الصفحة في الدفتر	المعني بأداء الضريبة	القيمة/الريال التونسي[2]
38	زغاد الحناشي	125
88	بن بوعلاق الحناشي	42.25
152	الخمار الحناشي	90
154	بلقاسم بن منصر بن عبد الإله الحناشي	12
154	سعد بن بوحميد الحناشي	18
154	العرابي بن عزوز الحناشي	18

وكون حكام تونس كانوا يدفعون ضريبة سنوية للجزائر في شكل نقدي،وزيوت ودهان وهدايا وغيرها [3] فكان امتناع هؤلاء الحكام عن دفع ما عليهم يدفع بالسلطة في الجزائر إلى تجريد حملات ضد تونس بإيعاز من قبائل الشرق الجزائري على رأسها الحنانشة الكنفدرالية الحدودية، مثل ما حدث سنة1103هـ/ 1692م، حيث وجه شعبان باي قسنطينة (1099هـ/1688- 1103هـ/1692م) حملة ضد تونس تدعمه قبائل مثل بني ناصر وبوعون وعامر سلطان والحنانشة [4].

---

[1]– الدفتر الجبائي رقم 01،(أ.و.ت)

[2]– ظهر الريال التونسي في أسواق العملة منذ الربع الأول من القرن الـ 17م وظل يقتبس من الريال الاسباني أكثر من قرن ولم يتخلص من التبعية للريال الاسباني إلا بعد أن تمكنت تونس من سك الريال سنة 1725م بنسبة 65%من الفضة / سعيدوني ناصر الدين : النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1979.ص.192

[3]- حمدان خوجة،المرآة، تقديم وتحقيق محمد العربي الزبيري،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.ص.163/ أحمد الشريف الزهار،المصدر السابق، ص.85/كما ورد في التذكرة التي بعث بها أحمد باي قسنطينة إلى علي باي تونس بتاريخ 1182هـ بأنه وصله 204687 ريال خراج تونس للجزائر، (ملف المراسلات، وثيقة رقم 94، م.أ.و.ق)

[4]-A.Devoulx,*op.cit.*,pp.12-13

ويظهر أن الحنانشة كانت تدير شؤونها الاقتصادية وتنمي ثروتها وفق مصلحتها، فسنجدها تتقلب بين سلطة البلدين ناسجة لنفسها جملة مصالح يتم تحويرها حسبما تقتضيه الضرورة،فقد امتنعت سنة 1103هـ/ 1692م بإيعاز من محمد باي تونس وتحريضه على عدم دفع الضرائب لباي قسنطينة تشاركها قبائل أخرى بالشرق الجزائري،حيث لم يتمكن باي قسنطينة من استخلاص سوى 30000 ايكو (ecus)في ظرف ثلاث سنواتمن جملة 400000 ايكو كان يستخلصها سنويا، ومخصصة لدفع رواتب الجند هذا التحريض الذي كان سببا في اندلاع حرب سنة1105هـ/1694م بين البلدين [1] هذا وفي الوقت الذي تشارك بايات قسنطينة في جباية خراج تونس،كانت في المقابل تشارك في حملات يقودها بايات تونس للتخلص من دفع هذا الخراج،ففرع منصر الذين يعدون أخوال مراد باي الثالث (1110هـ/1699م –1114هـ/1702م) شاركوه سنة1111هـ/1700م في حملة ضد باي قسنطينة غرضها التخلص من دفع الضرائب وتقديم الهدايا التي ألف بايات تونس الالتزام بتقديمها لحكام الجزائر[2].بل هناك من يذهب إلى اعتبار أن سبب الحملة على الجزائر يعود إلى تلبية مراد باي الثالث لدعوة وجهتها له الحنانشة التي ينتسب إليها من ناحية الأم للانتقام من باي قسنطينة [3] خصوصا في ظل الصعوبات الاقتصادية التي كانت تعرفها البلاد التونسية في الربع الأخير من القرن الثاني عشر هجري السابع عشر ميلادي بحيث أضحت الحرب منفذا للخروج من هذه الأزمة [4].

وأصبحت الحنانشة في هذا الظرف،ضمن محيط تتصارع فيه الإيالتان حول الضرائب وغدت تلعب دورا فاعلا، فالجزائر تريد التزام حكام تونس بأداء هذه الضرائب وفي حالة الامتناع يجردون حملات يشارك فيها الحنانشة، فيما حكام تونس كانت كلما تتاح لهم فرصة للتخلص من هذه الضرائب إلا و يلوحون بذلك من خلال تجريد حملات ضد الجزائر يشارك الحنانشة بدورهم فيها، وقد درج شيوخ الكنفدرالية على إتباع هذه السياسة لأن وقوعهم بين حكومتين تجاذبتهما الخلافات الاقتصادية اقتضى منهم ذلك، فيما كانوا هم يستفيدون من المغانم [5].

---

[1]-Eugène Plantet, *Correspondance des Dey d'Alger avec la cour de France (1579-1833)* ,paris.1889.vol.2 ,p.432

[2]–ابن العطار، المصدر السابق، ص.35

[3]–العربي الحناشي، المرجع السابق، ص. 47.

[4]-Mohamed Hédi Cherif,*Pouvoir et société dans la Tunisie de H'ssayn Bin'Ali (1705-1740)*,Tnis,1984.t.2,p.96

[5]– العربي الحناشي،المرجع السابق، ص.45

شهدت تونس ابتداء من تاريخ1117هـ/1705م تغيرا في هرم السلطة بحيث سيتولى حكم تونس الأسرة الحسينية بدل الأسرة المرادية، والتي يبدأ عهدها بحكم حسين بن علي، الأمر الذي سيؤثر على ما باتت تكسبه الحنانشة من وضع مريح داخل التراب التونسي،بحيث ستصبح كنفدرالية الحنانشة المرابضة على الحدود هدف للسلطة في البلدين، حيث لم يتوان كل طرف في تحريض فرع من قبيلة موالية له على التخوم ليثور ضد الطرف الآخر من ذلك أن باي تونس استغل الصراع بين فرعي قبيلة النمامشة وقرب إليه فرع أولاد خيار وهجم بهم عام1126هـ/1714م على الفرع الآخر وهم الأعشاش [1].

8.في عهد الشيوخ بوعزيز (فرع نصر) ومحمد (فرع منصر) وسديرة (فرع نصر) ورجب (فرع منصر) 1136هـ/1724م –1168هـ/1755م:

تمكنت كنفدرالية الحنانشة في عهد الشيخين المرداسي وسلطان من استعادة تموقعها داخل تونس بفضل دعمها للأطراف المتصارعة على السلطة،وجاء نفوذها هذه المرة من القمة وليس من القاعدة خصوصا عندما تولى حفيد الشيخ سلطان حكم تونس وهو مراد باي ابن علي باي (1110هـ/1699م/ 1114هـ/ 1702م)، لكن ومع ذلك فقد كرست الحروب التي خاضها فرعي الحنانشة في عهد الشيخين المرداسي وسلطان واقع الانقسام حيث اصطدم الفرعان وتواجها في أكثر من مناسبة كل من موقعه في مساندة طرفي النزاع،ويكفي أن نذكر هنا واقعة " وادي تاسة " التي وضعت وجها لوجه سلطان بن منصر والحاج من أولاد نصر [2].

ورث الشيخ بوعزيز هذا الوضع،الذي أصبحت فيه الحنانشة على قدر من القوة والنفوذ في الجهة الشرقية من بايلك قسنطينة [3]– رغم حالة الانقسام– حيث بقيت تهيمن على الوطن الممتد على الحدود الجزائرية التونسية من القالة شمالا وإلى غاية الصحراء جنوبا وتستطيع تجنيد 8000 فارس،هذه القوة والنفوذ التي بحوزة الشيخ بوعزيز جعلت من الرحالة بايصونال (Peyssonnel) يطلق عليه لقب"السلطـــان"[4].

---

[1]– ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص.132

[2]– ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.263.

[3]– ابن العطار، المصدر السابق، ص.132

[4]-Peyssonnel, Voyages ,*op.cit.*,p.293

لكن يظهر أن العلاقات بين الشيخ بوعزيز والسلطة في تونس في عهد حسين بن علي مؤسس الأسرة الحسينية قد أصبحت فاترة مقارنة بما كانت عليه في عهد آخر حكام الأسرة المرادية الأمر الذي سيلقى بضلاله دون شك على واقع معاملات الحنانشة الاقتصادية مع البلاد التونسية،كانت أولى ملامح هذا الفتور عندما ظهر دعي عند الحنانشة زعم أنه من بني مراد حيث أغراه الشيخ بوعزيز بن نصر وأرسله لأولاد سعيد بغية حشد الجموع من حوله لاسترداد حكم الأسرة المرادية، وقد قضى عليه القايد طراد بن قربان الذي كان حينها بالكاف بأمر من حسين بن علي [1].

ولم تكن الحركة الثقافية بأحسن حالا من الأحوال الاقتصادية فقد سقطت الشابية سنة1090هـ-1680/91م التي لطالما جذبت إليها القبائل البدوية والتفت من حولها على رأسها الحنانشة التي آزرتها لوقت طويل،وأمام هذا النكوص للشابية برزت إلى الواجهة خنقة سيدي ناجي بعلمائها وفضلائها والتي لم تتوان الشابية قبل تقهقرها في محاربتها[2].فقد أصبحت خنقة سيدي ناجي تلعب دورا بارزا في تذليل الصراعات التي كانت موجودة بين القبائل فجذبت إليها العمامرة بالأوراس وأولاد سلطان والنمامشة [3].

في هذا العهد كان يتولى تسيير شؤون البلدة محمد بن محمد الطيب منذ عام1107هـ/ 1696م من أحفاد سيدي المبارك وقد كان فقيها وعالما في الشريعة الإسلامية درس علوم الدين واللغة على أيدي علماء الخنقة وله عدة مؤلفات منها مخطوط بعنوان"عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام" وقد كان دائم التنقل زائرا للعلماء في تونس ومصر والحجاز، حيث تتلمذ على يد الشيخ " علي النوري الصفاقسي " المتوفي عام1118هـ/ 1706م،كما قام بزيارات متعددة إلى كل من الجزائر وقسنطينة وتونس منها ما كان للمجاملة والتهنئة ومنها ما كان للسعي في الصلح أو غيره ،وقد أصبحت الخنقة ملجأ للبايات والولاة وحتى أفراد الجيش الذين كانوا يلتجؤون لدى شيوخها أوقات المحن لكي يتوسطوا لهم لإنقاذ حياتهم أو استرجاع حكمهـم أو حـل نزاعات فيما بينهم نظـرا لما يتمتع به شيوخها من سمعـة

.

[1]- ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص.98.

[2]- كريمة بن حسين، المرجع السابق،ص ص.55،60

[3]-E. Masqueray,*op.cit.*,p.208

طيبة وتقدير كبير لدى الحكام الأتراك سواء في الجزائر أو تونس[1] وقد قال عنها الورتلاني لما زارها " أولاد سيدي ناجي قد حازوا المعالي من قديم الزمان "[2].

ونظرا للحظوة والمكانة التي آلت إليها خنقة سيدي ناجي بفضل شيوخها وعلمائها فقد أصبحت قبلة يقصدها الطلبة من كل الجهات من قسنطينة والأوراس والزاب وعنابة وتونس وغيرها،للتتلمذ على يد شيوخها ومنهم من ستصبح له مكانة وصيت في المنطقة الحدودية ومنهم " أحمد التليلي "(1121هـ/1709م –1117هـ/ 1764م)من قبيلة " أولاد تليل " بالبلاد التونسية التي تعود إلى مؤسسها " تليل بن ناصر "[3]أحد مريدي سيدي عبيد الذي عاش جنوب تبسة [4]،حيث كانت وجهته الأولى إلى نفطة نظرا لما كان بها من إشعاع علمي وقد كانت وجهة الجريد مألوفة لدى كل سكان السباسب العليا في إطار علاقتهم الاقتصادية بهذه الجهة فقد تعود أولاد تليل وماجر والفراشيش الذين يعيشون على الترحال والتزود بتمور الجريد وشرقي البلاد الجزائرية في كل شتاء في نطاق الاقتصاد المفتوح [5] وبعد أن تتلمذ في زاوية سيدي سالم بنفطة وفي خريف من سنة1141هـ/1728م انتقل بعدها أحمد التليلي إلى خنقة سيدي ناجي نظرا لما كانت تقدمه من علوم أعمق من تلك التي في نفطة وأيضا بعد لقائه في الزاوية بأحد المختصين في علوم اللغة يدعى الشيخ " عبد القادر الفاسي " الذي مر عليها حيث قرر أحمد تليلي مرافقته إلى خنقة سيدي ناجي التي استقر بها خمس سنوات في زاوية الشيخ " عبد الحفيظ الخنقي " الذي أخذ عنه مختلف العلوم وكان الشيخ قد أعطاه الإجازة لاحقا (1145هـ/ 1733م) ، وعند استقراره بالخنقة وأثناء تجواله الذي قاده إلى الأوراس والزاب وفي بسكرة التقى بسيدي " محمد ابن مشامي " الذي شجعه على إنشاء زاوية بفريانة. وهذا ما دأب أحمد التليلي على تجسيده في أرض الواقع[6].

---

[1]–كريمة بن حسين، المرجع السابق، ص ص.57-59.

[2]– الورتلاني، المصدر السابق، ص.119

[3]– عادل الطيفي، زاوية سيدي أحمد التليلي بفريانة تطور المؤسسة والعائلة مابين 1730م-1959م، دكتوراه في التاريخ، جامعة تونس الأولى 2000–2001م.ص.26

[4]- حول حياة سيدي عبيد يرجى الرجوع إلى:

-P. Murati,*op.cit.*,pp.256-280

[5]– عادل الطيفي، المرجع السابق، ص.28

[6] -S. Alouani,*op.cit.*,pp.173-177.

وأمام الإشعاع العلمي الذي تميزت به خنقة سيدي ناجي ضمن مجال نفوذ كنفدرالية الحنانشة كانت أحوال هذه الأخيرة الاقتصادية متأثرة إلى حد ما بعد بروز ملامح تحالف بين السلطة في البلدين ضدها،حيث قام حسين بن علي بإيعاز من باي قسنطينة كليان حسين المدعو " بوكمية " بحملة مشتركة عام 1136 هـ/1724م لجمع الضرائب،كانت وطأتها شديدة على وضع ثروتها حيث غنم منها باي قسنطينة غنائم كثيرة تجسدت في مجموعها من 08 آلاف رأس من الجمال والأبقار وحتى الخيم لم تسلم [1]، وخرج منها بوعزيز منهوكا بل اهتزت سلطته داخل الحنانشة إلى درجة أن أفرادها رفضوا الامتثال لأوامره عندما حاول استنهاض هممهم، وقرروا الخضوع والاستسلام لو لم تتدارك ابنته "علجية " الأمر لإثارة حميتهم [2].

وكان في كل مرة يتعرض فيها شيوخ الحنانشة لمضايقات اقتصادية من سلطة البلدين إلا ويمدون بتجارتهم نحو المراكز التجارية المنتشرة عبر سواحل المتوسط،خاصة حصن الباستيون الذي بعث نشاطه من جديد في آخر معاهدة أبرمت بين الحكومة الجزائرية والقائمين على الباستيون عام1106هـ/1695م حيث جاء في البند الثالث من المعاهدة "من الآن فصاعدا وعلى اعتبار أن الباستيون المشار إليه أعلاه والقلعة والرأس الحمراء أنها كلها في حالة فوضى وخراب بسبب إهمالها وهجرها ولذا فمن الضروري إعادة بنائها وتصليحها لتصبح جيدة لإيواء مستخدمي الباستيون "[3]. فقد متن الشيخ بوعزيز علاقاته التجارية معه وكان يتحصل من وراء هذا التعامل على أرباح كبيرة إلى جانب الحنانشة [4] التي أصبحت تشتري منه حتى مادة البارود [5]وكان النشاط التجاري في هذه الفترة في البحر يشهد حركة كبيرة مقارنة بالبر وهذا ما جعل الحسين الورتلاني يسجل ذلك من خلال قوله" مادة البحر في الجزائر أوسع من مادة البر"[6] .

.

---

[1]- L.Ch. Féraud ,*op.cit.*,p.213

[2]- Peyssonnel,*op.cit.* ,p.293

[3]– معاهدات الجزائر مع فرنسا، المصدر السابق،ص.369.

[4]–شارل أندري جوليان، تاريخ شمال افريقيا، تعريب محمد مزالي وبشير بوسلامة،تونس،1978م، ج2، ص.184

[5]-L.Ch. Féraud ,*op.cit.*,p.219

[6]– الحسين الورتلاني، المصدر السابق، ص.686

ويظهر أن هذه السياسة قد دأبت عليها مختلف القبائل التي تعيش في الشمال كلما تعرضت لمضايقات اقتصادية من السلطة ف "طبرقة" و"رأس نيقرو"بالبلاد التونسية أصبحا بدورهما يجلبان اهتمام السكان في التعامل معهما، ففيما كانت طبرقة التي تسيطر عليها الأسرة الجنوية "لومولييني" (Lomellini) كان رأس نيقرو شرق طبرقة يسيطر عليه الفرنسيون منذ عام1097هـ/1686م أين أقاموا به باستيون، وقد كان للمركزين تجارة مع السكان كانت تقوم على شراء القمح والشمع والزيت والجلود وعندما يكون هناك نقص في القمح بفرنسا فكان يشحن من رأس نيقرو أكثر من 100 ألف حمولة [1].

نشطت أحوال الحنانشة الاقتصادية في عهد بوعزيز بن نصر،في ظل تعامله وتأمينه لنشاط الشركة الإفريقية التي كانت تنشط بحصن الباستيون والقالة من الهجمات التي كانت تتعرض لها مراكزها من قبل القبائل أو قطعهم للطرقات المؤدية نحوها، حيث كان بوعزيز ومن وراءه الحنانشة يلعبون هذا الدور مقابل ما كانت تتحصل عليه من أموال كانت تدفعها الشركة لرؤساء القبائل المجاورين لها،فكان تفصيل ما تدفعه هذه الشركة حسب بايصونال (Peyssonnel) (1725م) هو كالتالي:6000 ريال لباي قسنطينة و1000 ريال لباي تونس،و1000 ريال للقبائل القريبة من الباستيون كهدايا لمنعهم سلب السلع التي كانت ترد إليها والتي كانت تصل إلى 100000 حمولة من القمح سنويا [2] أما طوماس شو (Thomas Shaw) (1732م) فذكر أن ما كانت تدفعه الشركة للحكومة الجزائرية ولقائد عنابة وهؤلاء الرؤساء هو 30000 ريال فرنسي قديم [3] وقد بلغ حرص الشركة في تأمين تجارتها إلى عقد اتفاقيات مع القبائل المجاورة مثل قبيلة"نهد" التي عقدت معها اتفاق يقوم على أنه في حالة اغتيال فرد من القبيلة من طرف واحد من سكان القالة، فإن الشركة تدفع للقبيلة مبلغ مالي يقدر بـ 500 قرش والعكس صحيح فإذا قتل واحد من سكان القالة من قبل فرد من القبيلة فإن القبيلة تدفع للشركة مبلغ 300 قرش [4].

وانتعشت الأوضاع أكثر على المناطق الحدودية بعد الاتفاقية التجارية التي أبرمتها حكومتا الجزائر وتونس 1142-43هـ/ 1730م-1148- 49هـ/ 1735محيث ساعدت علـــى توفر الريال التونســـي

.

[1]- Peyssonnel, ,*op.cit.,*pp.257-265.

[2] -*ibid*,pp.256-257

[3]- T. Shaw*, op.cit.,*p.186

[4] -Peyssonnel*, op.cit.* ,p227.

بالنواحي الشرقية لأن مفعول هذه الاتفاقية انعكس على قيمة الريال فانخفضت قيمته إلى خمس قيمة السلطاني الجزائري [1] كما نشطت القوافل التجارية بين البلدين فقد كانت تنطلق كل شهرين من قسنطينة في اتجاه تونس قافلة تتكون من 150 إلى 200 بغل حيث تحمل معها المنتجات الفلاحية والصناعية التي كان الباي يبيعها في السابق إلى الشركة الإفريقية الموجودة بالقالة وتجلب معها هذه القافلة السلع التي توزعها الشركة، والتي تأتي من إنجلترا كما تبيع هذه القوافل في مدينة قسنطينة الأغطية المصنوعة بتونس [2] ونظرا لموقع الحنانشة الحدودي وإطلاق البايات ليد القبائل الكبرى في إدارة شؤونها حفزا كثيرا الحنانشة على الاستفادة من القوافل التجارية التي كانت تعبر ترابها متجهة نحو تونس أو قادمة منها قاصدة مدينة قسنطينة، وقد كان محور قسنطينة الكاف ومنه نحو مدينة تونس الذي ترتاده القوافل التجارية من أهم المحاور التي استغلتها الحنانشة من خلال حراستها لهذه القوافل أو الاستفادة من تجارتها [3].

وقد واكب هذا النشاط التجاري الذي أصبح قائما على الحدود تفاعل ثقافي ضمن مجال ممتد بين الأوراس والزاب الشرقي إلى غاية الوسط والجنوب الغربي التونسي، فبعد أن أصبحت خنقة سيدي ناجي وجهة لطلب العلم ويتخرج على يد شيوخها الكثير من الطلبة منهم عبد الحفيظ الخنقي الذي تتلمذ على يده أحمد التليلي،أخذ إشعاع هذه البلدة وتأثيراتها تمتد إلى جهة البلاد التونسية كانت ضمن محصلاتها اقتناع الطالب أحمد التليلي وهو بالشرق الجزائري بضرورة تأسيس زاوية بفريانة على شاكلة زاوية شيخه عبد الحفيظ الخنقي خاصة وأن شهرته قد سبقته إلى فريانة[4].

وفي سنة1143-44هـ/ 1731م قرر أحمد التليلي مغادرة الخنقة للاستقرار بفريانة لكن ونظرا للمصاعب المالية التي واجهته لتمويل بناء الزاوية فقد قرر مرة أخرى مغادرة فريانة والعودة إلى الجزائر للتدريس وتحصيل المال الكافي،حيث قصد " بكارية " ضواحي تبسة حيث اقترح عليه " محمد بن عمر

[1]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق،ص.199

[2] -Peyssonnel, *op.cit.* ,p.342.

[3]- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص.141

[4]- عادل الطيفي، المرجع السابق، ص.30

الشهراوي " مبلغ 100 إلى 150 ريو [1]، وفي هذه الظروف ونظرا لشرط توفر رفات ولي أو أولياء ضمن محيط مدرسة أو زاوية كانت من أساسيات مركب كل زاوية أو مدرسة [2]. فقد فكر أحمد التليلي في نقل رفات أجداده الموجودة في أوطان متباعدة إلى فريانة وبدأ بنقل رفات سيدي عبد اللطيف الذي كان دفين قفصة مع نهاية جوان من سنة1144هـ/ 1732م ثم تلاها بنقل رفات جد القبيلة تليل بن نصر بأولاد سيدي عبيد،ثم رفات سيدي رابح بن عبد اللطيف من جهة ميداس بالجنوب التونسي وتمت عمليات النقل في نفس السنة [3] التي بدأ معها بناء المدرسة التي شاركت في بنائها الكثير من القبائل على رأسها الحنانشة في عهد بوعزيز إضافة إلى النمامشة والفراشيش والهمامة وطبعا أولاد تليل والفراينة [4].

قام بعدها أحمد التليلي بتنقلات خارج الإطار المحلي قادته إلى الجنوب التونسي والشرق الجزائري كانت في حقيقتها نسجا لعلاقات ضمن محيط قبلي يشكل الإطار العام لنشاط مدرسته، ومن بين زياراته تلك التي قادته إلى " سيدي بوغانم " و"سيدي حراث " و"سيدي بولعابة " وتوجد زواياهم جهة القصرين وأبناء شيخه سيدي عبد الحفيظ بخنقة سيدي ناجي، كما قام بزيارة إلى سيدي خالد عام1145هـ-1733/46م، ومن القبائل التي كان يقصدها جهة السباسب العليا نجد ماجر والفراشيش وكذلك الهمامة وتوسعت علاقاته لتشمل قبائل قوية في جهة الغرب عاشت ضمن كنفدرالية الحنانشة أهمها النمامشة [5].

أما مكانة أحمد التليلي عند شيخ الحنانشة بوعزيز فارتقت إلى الاحترام والتقدير فبعد أن قام بوعزيز قبلها وبالتحديد في عام 1143-44هـ/ 1731م بالهجوم على فريانة أين كان حينها أحمد التليلي غير معروف في المنطقة، بعدها تحسنت العلاقة بعد أن خول التليلي لكل من الشيخ" عبد العالي النفطي" والشيخ أحمد التبسي دور كف الحنانشة عن مهاجمة سكان فريانة وقد قال في ذلك تليلي "لقد حدث

---

[1]-S. Alouani,*op.cit.,*p. 241.

[2]-Louis Rinn,*Marabouts et Khouans ,étude de l'islam en Algérie* ,Adolphe Jordan, libraire, Alger,1884.p.15

[3]- عادل الطيفي، المرجع السابق، ص.30

[4]-S.Alouani,*op.cit.*,p . 244

[5]-عادل الطيفي، المرجع السابق، ص ص.130،129

هذا قبل كمال نيتهم فينا" وقد أصبح بوعزيز ومع فترة حكمه الطويلة يرسل بالهبات إلى الزاوية بفريانة التي قام بزيارة قادته إليها عام1148- 49 هـ/ 1736م[1].

وقد جاء تمويل بوعزيز للزاوية ضمن أوضاع انتعشت فيها موارد الحنانشة الأمر الذي جعلها هدفا لحملات البايات في البلدين لاستخلاص الضرائب منها،خصوصا في ظل وجود قبائل تحت نفوذ الكنفدرالية مثل نهد التي كانت لا تدفع الضرائب لا لبايات قسنطينة ولا لبايات تونس رغم المداخل التي كانت تجنيها من بيعها القمح للشركة الإفريقية [2]،ويظهر أن سلطة البلدين لم تحسم أمرها بشكل نهائي في مسألة الحدود التي تم التوقيع عليها عام1037هـ/ 1628م والتي ذكرنا في محطات سالفة أنها كانت حدودا جبائية بالدرجة الأولى، ومرد ذلك تداخل مصالح القبائل الحدودية بين البلدين وعيشها في أطراف مراكز القرار الأمر الذي جعل أمرها غير محسوم لبايات الجزائر وتونس خصوصا في ظل وجود جغرافيا لعبت دورا أساسيا في تحديد أمري الولاء والاستقلال، فالذين يعيشون بالسهول أو في المناطق التي يستطيع الجنود الأتراك الوصول إليها يدفعون الضرائب، أما الذين يعيشون في المناطق المستعصية على الأتراك فهم مستقلون عن بايات تونس أو قسنطينة مثل قبائل الخمير التي تعيش على الحدود وتتحصن بالجبال [3].

وبقي مفهوم الولاء للقبائل الحدودية المنضوية تحت كنفدرالية الحنانشة هو من يحسم مسألة الحدود فـ"وادي العــرق " [4]الذي ذكر طوماس شو (Thomas Shaw) أنه الحد الفاصل بين الجزائر وتونس فما كان شرقه يدفعون الضرائب لباي تونس وما كان غربه يدفعون الضرائب لباي قسنطينة إلا أن قبيلة مرداس التي كانت تحتل الوطن الواقع بين المفرق وغابات ناحية الباستيون ومازلة إلى غاية جبال طبرقة كان بعض سكانها يدفعون الضرائب لتونس [5].

---

[1]-S.Alouani,*op.cit.*,p. 254

[2]-Peyssonnel, *op.cit.*,p.226

[3]-*Ibid*,pp.210-211

[4]- وادي العرق مجرى مائي يخرج من بحيرة نادي يقع على بعد 04كلم شرق القالة .

[5]- T. Shaw, *op.cit.*,p.187

كانت اهتمامات السلطة في البلدين منصبة حول تحصيل الضرائب من الحنانشة،فإذا كان شيخ الحنانشة يدفع الضرائب لباي قسنطينة [1] قدرت سنويا كرمز ولاء 10000 بوجو [2]، فإن باي تونس قد استعصى عليه ذلك أمام بوعزيز بن نصر الذي كان يجمع الضرائب من قبائل حدودية كانت تحت نفوذه، وباتت تحسب على التراب التونسي مثل شارن والفراشيش ورقاقمة وأولاد غنام، ولم يتمكن بايات تونس من الاستيلاء على هذه القبائل وتحصيل منها الضرائب إلا بعد مقتل بوعزيز عام 1151-هـ/ 1739م[3].

وكانت الحنانشة في كل مرة بأحد فرعيها تستفيد من الصراعات القائمة حول السلطة بتونس فبعد الصراع الذي حدث في عهد الأسرة المرادية جاء الصراع هذه المرة بين الباشية والحسينية تجسد في المنافسة على الحكم بين حسين بن علي الذي يريد تنصيب ابنه وابن أخيه علي باشا سنة1137هـ/1725م [4] الأخير الذي لجأ إلى جبل وسلات شمال غربي القيروان،وكان الجبل يعرف بنزعته الاستقلالية حيث ساندته القوى الداخلية التي أثقل الباي كاهلها على رأسها الحنانشة بفرعها من نصر الذي يمثله الشيخ بوعزيز ومثل هؤلاء الشق الباشي[5]،فيما دعم فرع منصر أحمد صغير وأخوه سلطان حسين بن علي ومثلا الشق الحسيني ولم يبق هذا التحالف على شكله طيلة الأزمة التي نشبت على الحكم إلى غاية1152-53هـ/ 1740م بمقتل حسين بن علي،إذ سرعان ما تتقلب أحوال فرعي الحنانشة ليساندا الطرف الذي كان بالأمس غريمهما، والظاهر أن المكاسب المادية ومغريات السلطة قد فعلت فعلتها في هذه التحالفات من ذلك تخلي بوعزيز عن مناصرته لعلي باشا ودعمه لحسين بن علي الذي لم يتأخر في تقليد بوعزيز القفطان ويقدم له هدايا كثيرة،في شكل نقود أحصنة وأشياء أخرى ثمينة [6].

---

[1]- ابن العطار، المصدر السابق،ص.132.

[2]- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص.138

[3]- ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص147

[4]- حول أزمة السلطة هذه يرجى الرجوع إلى :

- حمودة إبن عبد العزيز، الكتاب الباشي، المصدر السابق، ص ص.277-281./- صالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة ،نشر يحي بوعزيز ،دار هومة الجزائر،2005،ص ص.69-70

[5]- حمودة ابن عبد العزيز، المصدر السابق،ص.280

[6]-L.Ch. Féraud ,*op.cit.*,pp.226-227

لذلك ورد عن حمودة إبن عبد العزيز قوله عن بوعزيز أنه" مشهور بالدهاء والمكر في الحنانشة ومن يتبعهم من الأعراب "[1] ،وحتى خنقة سيدي ناجي التي أصبحت ملجأ للبايات الفارين وعندما قصدها علي باشا باي تونس التي استقر بها لمدة وعندما عاد لحكم تونس مرة أخرى فقد منح للشيخ أحمد بن ناصر شيخ الخنقة قطعتين واسعتين من الأراضي الزراعية واحدة بماطر تعرف بـ"هنشير ماطر" وأخرى ببنزرت تعرف بـ "هنشير زريو"[2].

وقد تعدت مكاسب بوعزيز المادية من وراء هذه الصراعات،إلى الصحراء الجزائرية فأسرة بني جلاب بوادي ريغ ونتيجة للمنافسة التي قامت بين أحمد بن جلاب وابن عمه عمار الذي أصبح ينافسه على مشيخة بني جلاب أين لجأ أحمد إلى الشيخ بوعزيز عارضا عليه دعمه لاسترداد مشيخته مقابل منحه 50000 ريو و200جمل و400 غطاء من الصوف و600 حمولة من التمر وقد قبل بوعزيز هذا العرض[3].

قد تكون من بين التساؤلات التي تطرح نفسها في هذا الصدد، هو أنه لماذا درج شيوخ الحنانشة على الانخراط في دعم أحد الأطراف المتصارعة، رغم ما ينجر عنها من إنهاك لقواهم ؟ وما صلة ذلك بالحياة الاقتصادية؟ لقد أكدت الأحداث المتواترة أن انخراط الحنانشة في هذه الصراعات كانت تحركه بالدرجة الأولى المغريات المادية التي كان يقدمها كل طرف يلجأ إليهم، والمحفزات التي قدمها أحمد بن جلاب للشيخ بوعزيز مثال على ذلك،أما صلة ذلك بالحياة الاقتصادية،فالحياة القبلية ونمط البداوة والترحال الذي جبلت عليه الحنانشة في ظل بيئة إلى حد ما قاسية تطغى عليها الجبال وسلطة مجاورة في تونس غاصت في صراعات لا تنتهي وأخرى في الجزائر ركزت وجهتها نحو الداخل نتيجة ضغوط خارجية واحتياجات مادية ملحة بعد أن شحت موارد الإتاوات وتناقصت غنائم القرصنة [4] أين أصبحت مؤسسة المحلة تنهك بمطالبها الرعية في ظل اقتصاد تخلت السلطة عن الدفع به جهة البر عكس البحر[5].

---

[1]- حمودة ابن عبد العزيز،المصدر السابق،ص.280

[2]- كريمة بن حسين، المرجع السابق،ص.60

[3]-L.Ch. Féraud ,*op.cit.*,pp.287

[4]-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ،المرجع السابق.ص.260

[5]-محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص.116

كلها عوامل جعلت من الحنانشة تجد لنفسها بدائل اقتصادية نابعة من تركيبها الاثني الذي يدافع عن وجوده من خلال خوض غمار الحروب والانخراط في الصراعات، وقد يصل إلى الاستحواذ على ثروات الغير مثل ما حدث سنة1143- 44هـ/1731م عند هجومهم على فريانة بتونس حيث ورد في مناقب أحمد التليلي "وفي هذا العام في أول الربيع حصل لأهل بلادنا خوف من الحنانشة لخروجهم من بلادهم "[1] ، الأمر الذي جعل الكثير من الرحالة الذين تنقلوا عبر وطن الحنانشة والقبائل المنضوية تحتها أمثال بايصونال(Peyssonnel) والطبيب شو (Thomas Shaw) وعالم النبات هابنسترايت و الحسين الورتلاني يقدمون قراءة خاطئة عن هذه الأفعال فصنفوها في خانة "اللصوصية " فالورتلاني مثلا لما اجتاز قبيلة النمامشة قال عنها " فهم أقبح الناس وأكثرهم شرا فمنهم من يأتي للسرقة ومنهم من يأتي للخطفة ...لم يكونوا في حكم سلطان تونس ولا في حكم باي قسنطينة ...فإنهم هاربون في الصحراء وأخذوا منا بغلة وجملين "[2].

والواقع أن تأمين مداخيل مادية للحنانشة من خلال انخراطها في الصراعات التي قامت على حكم تونس لم يكن مقتصرا فقط حينها على شيوخ الكنفدرالية، بل تعداه أيضا إلى السلطة في الجزائر عندما دخل باي قسنطينة بوكمية إلى تونس عام1148هـ/1735م بقواته دعما لعلي باشا الذي لجأ إليهم حيث استولى على خزائنها واغتنم ذخائرها [3] قدرت بـ 25. حصانا محملة بالنقود والأموال التي تعهد بدفعها علي باشا للجزائر [4].

وأمام قوة الحنانشة في المنطقة الحدودية وقدرتها على حسم الصراع لأحد الأطراف التي تلجأ إليها فقد أصبح منصب شيخ الحنانشة وبالتحديد بوعزيز من فرع نصر هدفا لباي قسنطينة بوكمية (1125هـ/1713م–1149هـ/1736م) لعزله عن المشيخة وتعويضه بشيخ من فرع منصر وقد تجاذبت هذا الصراع العوامل الاقتصادية تجسدت في الضريبة السنوية التي تقدمها مؤسسة المشيخة للبايلك فثروة الحنانشة وغنى الأطراف المتصارعة حول حكمها جعلت من باي قسنطينة ينتصر للطرف الذي يدفــع

[1]– مناقب أحمد تليلي ،ص.24،نقلا عن عادل الطيفي، المرجع السابق، ص.162.

[2]– الحسين الورتلاني، المصدر السابق، ص.107

[3]– صالح العنتري، المصدر السابق، ص.69.

[4]-E. Vayssettes,*op.cit.,*pp.104,105

أكثر وقد مالت في الأخير الكفة لصالح بوعزيز الذي تعهد بدفع أكثر وهو مبلغ 30000 قرش وضريبة سنوية تقدر ب 10000 قرش، لذلك تخل الباي مقابل هذا العرض المغري عن حليفه الأول من فرع منصر الذي عينه شيخا للحنانشة بل وأمر جنوده بنهبه ،حيث سيقت قطعان ماشيتهم إلى الباي [1].

والواقع أن الشيخ بوعزيز ولتوفير مبلغ 30000 قرش التي وعد بها الباي وبفضل نفوذه الاقتصادي الذي يصل حتى القالة استطاع أن يحول دون تعامل القبائل مع الشركة الإفريقية فيما يخص تزويدها بالمواشي والحبوب، فيما أراد أن تكون هذه المواشي والحبوب من نصيبه ليسدد بها المبلغ، واستطاع أن يهدد بذلك نشاط الشركة الإفريقية حيث ألحق أضرارا بتجارتها في المادتين السالفتين وخلق حالة من التوتر الشديد داخل حصن القالة الذي هدد بوعزيز بمهاجمته [2]، ويقول الرحالة هابنسترايت الذي كان شاهدا عن هذه الوقائع مايلي: "كان الباي قد ألحق منذ وقت قريب الهزيمة بأحد شيوخ القبائل المجاورين وحرمه من مكانته لدى قبيلته وأسندها إلى شيخ آخر مقابل مبلغ كبير من النقود وهذا ما دفع الشيخ المعزول الذي يعرف لدى رجال قبيلته ببوعزيز أو أبو الوطن في سعيه من أجل رد الاعتبار لشخصه إلى الالتزام أمام الباي إن هو أثبته في منصبه ...أن يقدم له كترضية مبلغ 30 ألف قرش بالإضافة إلى دفع ضريبة سنوية مقدارها 10آلاف قرش، فكان هذا العرض كاف لأن يغير الباي رأيه ويتخل عن منافس هذا الشيخ ...فإن موقع حصن القالة يعيش حالة من التوتر الشديد تسبب فيه العرب البدو بقيادة بوعزيز ...حتى يستطيع أن يوفر لباي قسنطينة 30ألف قرش "[3].

إن صون باي قسنطينة بوكمية لعلاقته مع أحد فرعي الحنانشة كان من الأولويات بالنسبة إليه ولبايات قسنطينة لأن أي صراع مع فرعي هذه القوى الحدودية معا من شأنه أن يحول دون انتقال مخزن باي قسنطينة إلى تونس لاستخلاص خراجه بمشاركة الحنانشة،أما في الحفاظ على علاقتهم مع أحد الفرعين فمن شأنه أن يحافظ على تدفق الضرائب التونسية [4].

---

[1]-هابنسترايت، المصدر السابق، ص،85

[2] - المصدر نفسه،ص ص.96،97

[3]- المصدر نفسه،ص ص.85،96،97

[4]- ابن العطار، المصدر السابق، ص.115

بمقتل الشيخ بوعزيز سنة1151- 52هـ/1739م على يد يونس باي بعد أن استدرجه ويأسره ثم يرسله إلى تونس أين " استلحمته السيوف "[1]وأبعد الباي بوحنك سديرة ابن بوعزيز عن المشيخة ومنحها إلى منافسه من فرع منصر رجب بمقتل بوعزيز اختلت العلاقات الاقتصادية التي كانت تربط الحنانشة بتونس حيث أقدم علي باشا بحملة ضد القبائل التي كانت تعترف بسيادة الحنانشة عليها مثل النمامشة التي انقسمت خلال القرن الـ 12 هـ/ 18 ميلادي إلى عشيرتين رئيسيتين هما الأعشاش وأولاد خيار وكل عشيرة انساقت إلى فرع من فروع الحنانشة المتنافسين، وبذلك وجدوا أنفسهم منقسمين بين مؤيد لحسين بن علي وهم الأعشاش وأولاد خيار مع علي باشا،ونتيجة لهذه الموالاة فقد كان النمامشة يدفعون الضرائب لباي تونس تتشكل من الأغنام مقابل السماح لهم كذلك التردد على أسواق الجريد والتجارة في نقاط أخرى من تونس، وقد توقفوا عن دفع هذه الضرائب[2]، وفي غضون عامي1163هـ/1750- 1164هـ/1751م وعند قدوم قافلة حجيج من المغرب الأقصى استولى عليها النمامشة [3] وكانت بها جياد وجمال وبضائع وخاصة صندوق به جواهر بعث به سلطان المغرب لشريف مكة. واشتك الحجاج لعلي باشا باي تونس هذا الأخير الذي كتب إلى " شنوف الشلي " شيخ الزاب وإلى " محمد بن الحاج أحد " شيوخ خنقة سيدي ناجي وإلى أحمد التليلي شيخ فريانة وطلب منهم التوسط لدى النمامشة لاسترداد ما سلبوه لكن النمامشة رفضوا ذلك [4].

ووجد علي باشا هذه الفرصة لينتقم من النمامشة التي أصبحت لا تدفع الضرائب لخزينته فأرسل إليهم محملة عظيمة، ولقيهم قرب زريبة الوادي فأخذهم واستاق أنعامهم ومواشيهم، ويظهر أن الصراع على السلطة بتونس قد ألقى بضلاله على ثروات القبائل فقد أمر علي باشا ابنه سليمان بالتوجه إلى سوف ونزل على قمار من بلدانها وأمر بقطع نخيل عزوز بن عمارة بن دالية من أشياع الباي حسين [5].

---

[1]– حمودة ابن عبد العزيز، المصدر السابق،ص.293

[2]-L.Ch. Féraud ,*op.cit.*,pp. 328,329

[3]– كان طريق الحج الجنوبي يجتاز ،بسكرة،سيدي عقبة،زريبة الوادي،خنقة سيدي ناجي بالأوراس ومنها نحو تونس.يرجى الرجوع إلى:

ناصر الدين سعيدوني، ورقات، المرجع السابق، ص451.

[4]-L.Ch. Féraud ,*op.cit.*,p.329

[5]– ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص.133

09.في عهد الشيخين محمد (فرع منصر) وإبراهيم (فرع نصر) 1168هـ/ 1755م - 1186هـ/1772م

بعد مقتل رجب شيخ الحنانشة من فرع منصر سنة 1168هـ/ 1755م تولى مشيخة الحنانشة من بعده كل من محمد من فرع منصر ثم إبراهيم ابن بوعزيز من فرع نص، وأصبح في الحقيقة انقسام المشيخة على الفرعين مع الوقت واقع فرض نفسه في تعامل بايات تونس معهما ويؤكد أحد الدفاتر الجبائية الموجود على مستوى الأرشيف التونسي ذلك [1].

لقد حدثنا ابن أبي دينار والعدواني خلال القرن الثاني عشر هجري السابع عشر ميلادي عن الهدايا التي كان متبادلة بين شيوخ الحنانشة وبايات تونس، فحدثنا الأول على أن بايات تونس كانوا يستكفون شر الشيخ خالد بن نصر من خلال إرسال إليه بالهدايا، لكن لما انتصر عليه باي تونس انقلبت الأمور أين أصبح شيخ الحنانشة هو من يرسل له بالهدايا [2] أما العدواني فحدثنا أن شيخ الحنانشة أرسل مع المسمى " عمارة العداسي " بهدية تشمل عسلا وشياها وفرسا فاسية إلى حاكم تونس الذي عامله معاملة حسنة [3].

ويظهر أن الهدية ووجهتها كانت مؤشرا جوهريا في تحديد طبيعة العلاقات التي كانت تجمع بين الحنانشة وبايات تونس، فيما تبقى رمزية الهدية تؤكد على قوة كنفدرالية الحنانشة ووزنها في المنطقة الحدودية، خاصة وأنها كانت تتمادى في الأراضي التونسية [4] ولا شك أن الهدية شكلت تقليدا دأب عليه الحكام الأتراك في تعاملاتهم مع القبائل أو السلطة الوصية في القسطنطينية. فقد كان دايات الجزائر يرسلون بالهدايا إلى سلطان القسطنطينية من ضمن ما تحتويه 40 زربية صحراوية 20 حائك أحمر 75سبحة مصنوعة من المرجان،240 شاشية تونسية وغيرها [5].

---

[1]- الدفتر الجبائي رقم 2144.(أ.و.ت)

[2]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص.236

[3]- العدواني، المصدر السابق، ص.212

[4]- ابن العطار،المصدر السابق، ص.236

[5]-A.Devoulx,*op .cit.,*p.58

والواقع أن قيمة الهدايا أو الإحسانات[1] وحجمها التي كان يرسل بها بايات تونس لمختلف الأوطان شكلت وقتها قيما مالية هامة كانت تقتطع من خزينة الدولة وجزءا من النفقات الاقتصادية التي كانت على كاهلها، حيث يتم تدوينها في دفتر جبائي يحتوي كل المعلومات عن الوجهة التي استفادت من الإحسانات وقيمتها وتاريخ الاستفادة[2]، هذا وتعددت الأوطان التي تستفيد من هذه الإحسانات فجاء وطن المشرق مثل المدينة المنورة ومكة ومصر، وموطن الترك مثل اسطنبول وأزمير وموطن طرابلس مثل مدينة طرابلس، وتونس التي وردت بموطن دار الجهاد افريقية مثل جربة وصفاقص والقيروان وزغوان وغيرها، وموطن الكاف مثل شارن وخمامسة والزغالمة وموطن الجزائر مثل أولاد سي يحي بن طالب والحنانشة وقرفة والتيطري وتلمسان ومستغانم والجزائر ومتيجة وموطن الزاب مثل بسكرة وسيدي عقبة وأولاد صولة وموطن الجريد مثل نفطة وتوزر ونفزاوة وأولاد سيدي تليل،سيدي علي بن عون وغيرهم [3].

وإذ أخذنا موطن الجزائر سنجد أن حجم نفقات الإحسانات قد توزعت على أكثر من نقطة وامتدت من حدود تونس الغربية أين تتمركز الحنانشة لتمتد إلى غاية الغرب الجزائري وبالتحديد إلى تلمسان ومعسكر ومستغانم [4]، وكما أسلفنا الذكر فقد كان للحنانشة بفرعيها قسط من هذه الإحسانات، حيث ورد في الدفتر حنانشة أهل الشيخ إبراهيم وحنانشة محمد بن سلطان .وقبل أن نفصل في حجم ونوع الإحسانات التي كان ينفقها بايات تونس على الحنانشة سنحاول أن نقدم صورة إجمالية عن قسط الحنانشة من الإحسانات الموجة لوطن الجزائر وذلك استنادا لأحد الدفاتر الجبائية التي تعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي وقبله ورد في بداية الدفتر مايلي[5]:

---

[1]- سنتعمد استعمال لفظ إحسانات بدل هدايا لأن الأول هو الذي ورد استعماله في الدفاتر الجبائية .

[2]- الدفتر الجبائي رقم 2144(أ.و.ت)

[3]- الدفتر الجبائي رقم 2145(أ.و.ت)

[4]- الدفتر الجبائي رقم 2145(أ.و.ت)

[5]- الدفتر الجبائي رقم 2145(أ.و.ت)

"برنامج الدفتر المبارك: إن شاء الله تعالى المشتمل ما احتوت عليه أزمة بلغت خزندار خاصة بالإحسانات والعوائد المستحسنة والصرفات السنية المدخرة إن شاء الله في كنوز حسنات مولانا ومحل جدوانا أمرها وصاحب سعادتنا بعين الخيرات ومجرى الصرفات ذو الحلم المشهور ولواء العدل المنشور الحامي لوطنا افريقية وساير الثغور المعظم الهمام والأسد الضرغام المحفوف بالكاف مولانا الباشا علي بن حسين باي أيد الله سلطانه وحمدنا بحسن سيرته أوطانه منقسم على مواطن وتبين كل في ذلك على ترتيب السنين أولها سنة 1181هـ ..."[1].

[1]- الدفتر الجبائي رقم 2145(أ.و.ت)

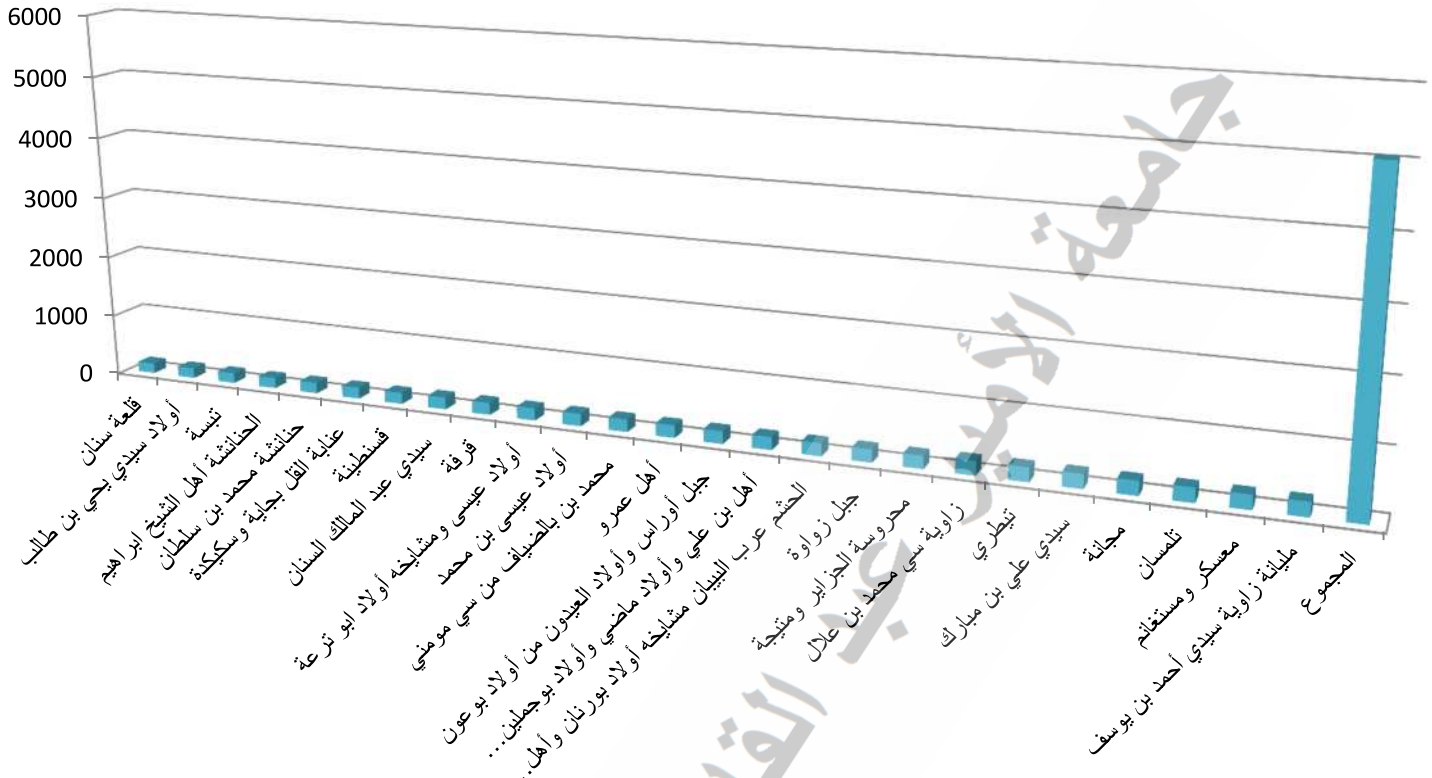

نصيب فرعي الحنانشة من الإحسانات التي يقدمها بايات تونس لوطن الجزائر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي/القيمة بالريال التونسي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من خلال الأعمدة البيانية يتضح أن نصيب الحنانشة من الإحسانات في شكل قيم مالية كان دائما ضمن أولويات بايات تونس،كما أنه يشكل نسبة معتبرة إذا وضعنا في الحسبان أن أعلى نسبة من قيمة الإحسانات سجلت بمليانة زاوية سيدي احمد بن يوسف وقدرت بـ 04.95% والجدول التالي يقدم لنا قراءة عما ورد في الأعمدة فيما يتصل بالحنانشة .

جدول رقم –07– قيم ونسب استفادة الحنانشة بفرعيها من إحسانات بايات تونس

فرعي الحنانشة	قيمة الإحسانات بالريال التونسي	النسبة المئوية من إجمالي القيمة المقدمة لوطن الجزائر
حنانشة أهل الشيخ براهيم	168	% 03.32
حنانشة محمد بن سلطان	177	% 03.50

في الدفتر الجبائي الثاني والذي يعود إلى الفترة الزمنية الممتدة بين1169هـ/1756موا1193هـ/1779م وجدناه يقدم لنا تفاصيل أعمق وأدق عن الإحسانات بقيمها وطبيعتها التي قدمها كل من محمد باي تونس (1169هـ/1756)، ومن بعده علي باي (1172هـ/ 1759–1196هـ/ 1782م) إلى فرعي الحنانشة إبراهيم ومحمد،وقد سجلنا أن شخصيات وقبائل كثيرة استفادت من هذه الإحسانات[1].

سجلت أهمها قبيلة الزغالمة وأولاد بوغانم التونسيتين، أولاد سي يحي بن طالب وقرفة الجزائريتين إضافة إلى قسنطينة متمثلة في بعض أعيانها ووجهائها،وهدايا خاصة بباي قسنطينة وكذلك زاوية الشابية وطبعا قلعة سنان والحنانشة بفرعيها،حيث استهلت إحسانات الحنانشة بعبارة "الخارج إحسان لحنانشة إبراهيم " و" الخارج لحنانشة محمد بن سلطان "[2].

[1]- الدفتر الجبائي رقم 2144(أ.و.ت)

[2]– الدفتر الجبائي رقم 2144(أ.و.ت)

هذا ويظهر من خلال الدفتر أنه كان لقلعة سنان شيخ يدير شؤون سكانها وهو يتبع شيخ الحنانشة، وقد ورد في هذه المرحلة اسم "محمد بن السعدي" كشيخ لقلعة سنان في الفترة ما بين 1171هـ/1758م إلى 1177هـ/1763م ومن بعده "محمد ولد أحمد الصالح"عام 1178هـ /1764م ليخلفه مرة أخرى محمد بن السعدي من عام 1179هـ/1765مإلى عام 1190هـ /1776م[1].

وسأحاول من خلال الجدول التالي أن نقدم بعض مما وزع كإحسانات لقلعة سنان.

جدول رقم– 08 – إحسان من بايات تونس لقلعة سنان (1758/1171م- 1190هـ/1776م)[2]

القيمة بالريال	المستفيـــــــــد	التـــــــــاريخ
50	إحسان لمحمد بن السعدي شيخ قلعة سنان	ربيع الثاني1171/ 1758م
30	إحسان للعطافي سيار قلعة سنان	شوال 1171/ 1758
30	إحسان لمحمد بن السعدي	جماد الأول1172/ 1759
15	إحسان لمحمد بن السعدي على يد باش حامبة	رجب11741173-/1760-1761
30	إحسان لمحمد بن السعدي شيخ قلعة سنان	شوال1175-1176/ 1762-1763
10	إحسان للمرابط محمد السعيد	شعبان1764/1177
05	إحسان لولد شيخ قلعة سنان	ذو القعدة1764/1177
10	إحسان لمحمد بن السعدي	جماد الثاني1764/1178

[1]– الدفتر الجبائي رقم 2144(أ.و.ت)

[2]- الدفتر الجبائي رقم 2144(أ.و.ت)

10ريال	إحسان لمحمد ولد احمد الصالح شيخ قلعة سنان	شوال1178هـ/ 1765م
10	إحسان لمحمد السعدي	1765 / 1179
35	إحسان لمشايخ القلعة	1767 /1181
10	إحسان لولد شيخ قلعة سنان	1768 /1182
61	إحسان لولد شيخ قلعة سنان	1769 /1183
30	إحسان لمشايخ قلعة سنان	محرم 1184/ 1770
03	إحسان لسيار قلعة سنان على يد الحاج محمد	ربيع الثاني1187/ 1773
10	إحسان لمحمد بن السعدي شيخ قلعة سنان	جماد الثاني1187/ 1773
50	إحسان لمحمد بن السعدي شيخ قلعة سنان	جماد الثاني 1188/ 1774
100	إحسان لبن خروف ولد شيخ قلعة سنان	رمضان1190/ 1776

يظهر من خلال الجدول أن قيم مالية معتبرة كانت تتدفق من خزينة تونس إلى قلعة سنان في شكل إحسانات حيث قدرت حسب الجدول في الفترة الزمنية مابين 57/1171- 1758- 75/1190 - 1776أي في ظرف 19 سنة بـ 499 ريال مما يؤكد أن تدفق الأموال والعملة التونسية نحو الأراضي الجزائرية كان في شكل مستمر [1] وسجلنا ضمن الدائرة النسبية التالية حجم هذه التدفقات لقلعة سنان حيث كانت أولى هذه التدفقات تصل لشيخ القلعة يليه ولد الشيخ وفي ذلك بعد نظر لبايات تونس لما سيؤول إليه هذا الولد من تولي مشيخة القلعة بعد والده لتأتي بعده الفئات الأخرى بنسب متقاربة .

.

[1]- الدفتر الجبائي رقم 2144(أ.و.ت)

دائرة نسبية تبين حجم استفادة فئات من قلعة سنان من تدفق الأموال والعملة التونسية [1]

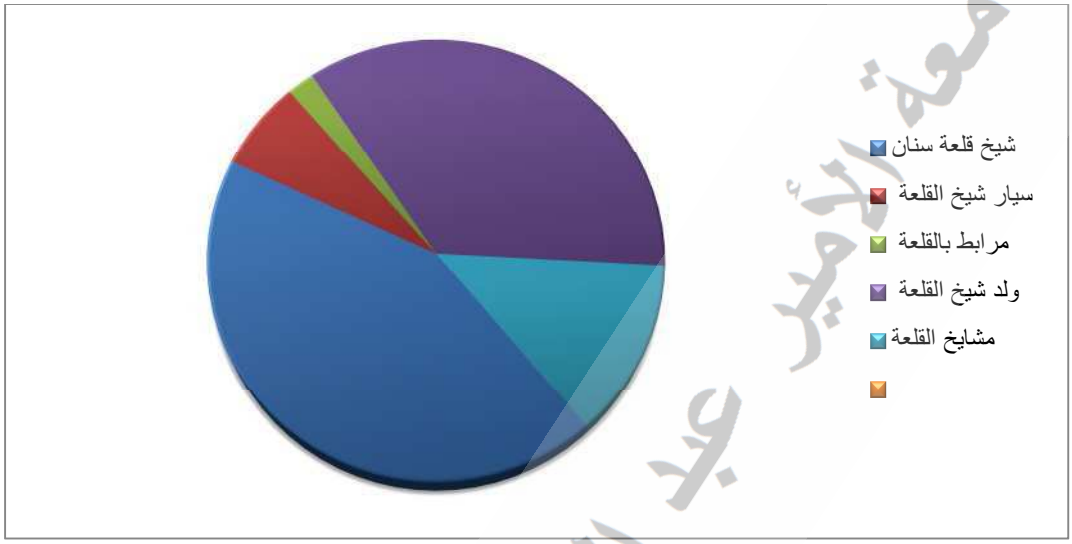

هذا عن قلعة سنان أما فرعي الحنانشة، فعند تصفحنا للدفتر الجبائي[2] ذهلنا لحجم الإحسانات التي كانت من نصيب الحنانشة في عهد الشيخين محمد بن سلطان وإبراهيم بن بوعزيز، حيث لا تضاهيها إحسانات أخرى حتى تلك التي كانت تقدم لباي قسنطينة، وهو ما يؤكد على أن الحنانشة بعد مقتل شيخها بوعزيز بقيت على وزنها المعتاد في المنطقة الحدودية ككنفدرالية لها تأثيراتها وتوازناتها بين الجزائر وتونس وهذا عكس ما ذهب إليه شارل فيرو (Charles Féraud) وهو الذي اعتمد في جانب كبير من عمله حول الأحرار على الروايات الشفوية – عندما اعتبر أن الحنانشة تراجعت ككنفدرالية تلتف حولها القبائل بعد مقتل شيخها بوعزيز [3]، وانساق وراءه في هذا الطرح بعض الباحثين المتأخرين أمثال صالح علواني [4].

---

[1]– الدفتر الجبائي رقم 2144(أ.و.ت)

[2]- الدفتر الجبائي رقم 2144(أ.و.ت)

[3]-L.Ch. Féraud ,*op.cit.,*p.328

[4]-S. Alouani,*op.cit.*,p. 269

إن هذه الإحسانات بقدر ما هي إلا هدايا أو عطايا تدخل ضمن سياسة عامة درج عليها بايات تونس لتمتين صلاتهم بمختلف القبائل والسلطات، إلا أنها بطريقة غير مباشرة سمحت كما ذكرنا آنفا بتنقلات وتدفقات مالية هائلة فضلا عن عملة الريال التونسي إلى مختلف القبائل والسلطات بالجزائر وإن كنا أكدنا على أن الحنانشة كان نصيبها وافر من هذه التدفقات المالية [1]،وكون حجم هذه التدفقات بقيمها المالية لا تستوعبها هذه الصفحات فآثرت أن أقدم نماذج وعينات لكل من فرعي الحنانشة محاولين في الأخير عقد مقارنة بين حجم هذه التدفقات على فرعي الحنانشة حتى تتضح صورة الفرع الذي كان أقرب من بايات تونس في تلك الفترة.

جدول رقم –09– تدفقات مالية من الخزينة التونسية لحنانشة إبراهيم بن بوعزيز في شكل إحسانات (1170هـ /1756م-1190هـ / 1777م) [2]

القيمة بالريال	المستفيـــــــــد	التـــــــاريخ
70	زوج نسوة مع المذكورين عبدة والحاجة أم النور	ربيع الثاني 1756/1170م
170	قطمان التركي قايد الحنانشة	ربيع الثاني 1756/1170
15	إبراهيم بن بلقاسم الحناشي الذي تخلف عن أصحابه ثم لحقهم	ربيع الثاني 1756/1170
100	علي البهلول سيار الشيخ إبراهيم	جماد الأول 1757/1170
100	علي بن محمد بن طراد الحناشي حفيد بوعزيز على يد حسونة	جماد الأول 1757/1170
20	رقية الحناشية أخت أحمد على يد عمر بن رمضان	رجب 1757/1170
10	سايس الشيخ إبراهيم الذي جاب فرس هدية من المذكور سيدنا	شعبان 1758/1171

[1]– الدفتر الجبائي رقم 2144(أ.و.ت)

[2]– الدفتر الجبائي رقم 2144(أ.و.ت)

40	محمد بن بوزيان كاتب الشيخ إبراهيم بإذن المعظم سيدنا علي باي	رمضان1171 /1758
40	الحنانشة لمحلة الشتا بدار قفصة	1758 /1171
50	كاتب الشيخ إبراهيم الذي قدم لترحيل رعيتهم	1758 /1171
30	علي بن محمد الحناشي على يد خزندار	1758 /1171
60	بلقاسم بن رحال وثلاثة أنفار خدام إبراهيم معه لمحلة الشتاء	1758/1171م
10	الحاجة بنت فرحات الجيرة	1758/1171
50	الحاجة فاطمة التي غرمت من عند الشيخ إبراهيم بن بوعزيز	رجب1172/ 1759
320	الحرايز والخدام الذين قدموا معنا مبينة أسماؤهم في غير هذا	رجب1172/ 1759
272	الحاجة فاطمة بحق مقياس من ذهب بالحجار	رجب1172/ 1759
15	صاحب الشيخ إبراهيم الذي قدم مع عبد الله	رجب 117/ 1760
20	السعيد بن بوزيان كاتب الشيخ إبراهيم	شوال 1174/ 1761
65	شوشانة الحاجة خمسين ريال ولزوج شوشانا معها خمسة عشر ريال	1761/1175
400	الحاج مسعود بن زكري وأصحابه	شعبان1176/1764
123	أحمد بن خالد الحناشي وأخيه الحاج أحمد بن شلي	ربيعالأول1177/ 1764
30	ولد اليعلاق كاتب الشيخ إبراهيم	جمادالثاني 1178/1764
15	الشابي بن فرحات الحناشي	محرم 1180/ 1766
60	زوج أنفار كتاب الشيخ إبراهيم	1767/1181

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

15	ولد الباي بن منصور الحناشي على يد القايد بن عثمان بن منصر	جماد الأول 1768/1182
20	محمد بن طراد الحناشي على يد علي بن الحاج	ربيع الأول 1769/1183
40	أربعة أنفار حنانشة بوغرارة	محرم 1770/1184
51	بوغرارة وعلي بن أمبارك الرياحي قدموا مع عثمان ولد الشيخ إبراهيم	1771/1185
20	محمد بوفارس وعمار بن إبراهيم سيارت علي بوعكاز الحناشي	شوال 1772/1186
40	ولد بلقاسم بن رحال وثلاثة أنفار حنانشة معه قدموا مع المسمى	رمضان 1187/ 1773
80	ثمانية أنفار حنانشة قدموا لأجل صنع طابع	ربيع الأول1774/1188
55	إبراهيم النموشي سيار بوحفص ولأربعة أنفار معه	شوال1775/1189
85	حنانشة بوحفص إبراهيم النموشي ولسبعة أنفار معه	1776/1190
50	خمسة أنفار سيارت بوحفص بوعلاق السنان ومن معه	ذو الحجة 1190/ 1777

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جدول رقم –10– تدفقات مالية من الخزينة التونسية لحنانشة محمد بن سلطان في شكل إحسانات (1173هـ/1759م–1188هـ/1774هـ)[1]

القيمة بالريال	المستفيـــــــــد	التـــــــاريخ
10	زوج سيارة ولد عمار بن سلطان شعبان بن محمد وأحمد بن شيخة	محرم 1759/1173م
15	سيارة محمد بن سلطان وهم أحمد بن محمد وبلقاسم بن محمد وبوزيان بن بالضياف	رمضان 1760/117
40	أربعة أنفار خدام محمد بن سلطان لكل منهم 10 ريالات	شعبان 1761/117م
20	نفرين من أصحاب محمد بن سلطان قدموا من عند باي قسنطينة	شوال 1761/117م
170	سبعة عشر نفر حنانشة الذين قدموا مع ابنه الموهوب بن محمد بن سلطان	1761/1175
10	منصر بن سعد سيار الشيخ محمد بن سلطان	صفر 1761/117م
60	محمد بن علي الحناشي من أصحاب الشيخ محمد بن سلطان	صفر 1761/1175
180	ولد الشيخ محمد بن سلطان	صفر 1761/1175
20	الكاتب سعيد ومن معه من الحنانشة قدموا لمصالحهم	ربيع الأول 1175 /1761م

[1]– الدفتر الجبائي رقم 2144(أ.و.ت)

307	الشيخ محمد بن سلطان	جماد الثاني1175 /1761م
30	ثلاثة أنفار قدموا مع الدايرة إلى محلة الزيارة	ذو القعدة 1766/1179م
35	سيارت محمد بن سلطان منهم أحمد كاتبه خمسة عشر ريال	ذو الحجة 1766/1179م
65	أربعة أنفار حنانشة محمد بن سلطان منهم خالد بن نصر بن عمر ثلاثين ومحمد بن رابح خمسة عشر والباقي عشرة	1766/1179م
10	محمد بن مبارك الحناشي المبشر بأخذ الوسالتية	رمضان1179/ 1766م
65	ستة أنفار سيارت محمد بن سلطان صحبتهم كاتبه أحمد المناعي	أواخر ربيع الأول 1766/1180م
35	سيارت محمد بن سلطان و خالد بن منصر وعلي بن أحمد وبلقاسم بن علي	ربيع الثاني 1766/1180م
30	ثلاثة أنفار حنانشة	محرم1181/ 1767م
80	سبعة أنفار سيارت الشيخ محمد بن سلطان	صفر1181/ 1767
60	سيارت محمد بن سلطان	ربيع الثاني 1767/1181م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

35	محمد بن المبارك الحناشي والحاج محمد أصاب محمد بن سلطان على يد محمد الحناشي	جمادالثاني 1182/ 1768م
30	أحمد بن مبارك الحناشي من أولاد بو كف وخمسة أنفار معه	جماد الثاني 1183/ 1769م
15	ثلاثة أنفار حنانشة محمد بن سلطان على يد إبراهيم بن احمد وهم فرحات وبوزيان وصاحبهما لكل منهم خمسة ريالات	1771/1185م
10	فرحات وابنه سيارت عمار بن سلطان على يد بن الحاج	رجب1772/1186م
05	الحناشي صاحب محمد بن سلطان على يد محمد الحناشي	ربيع الثاني 1187 /1773م
10	الحمادي سيار الشيخ محمد بن سلطان	ربيع الأول 1188/ 1774م

يتضح من خلال الجدولين أن هذه الإحسانات قد توزعت في شكل نفقات مالية على فرعي الحنانشة بدءا بالشيخين إبراهيم بن بوعزيز ومحمد بن سلطان وكل العناصر المقربة منهما وفود، رسل وكتاب وأبناء الشيخين وأصحابه المقربين منه،وحتى نساء أزواج أعيان الفرعين، وقد كان بايات تونس حريصين على إرسال هذه الأموال في كل سنة إلى فرعي الحنانشة وتوطيد الصلات بكل الفئات المكونة لمشيخة الحنانشة ولا شك أن هذه النفقات وتدفقها المتواصل سيشكل مداخيل قارة لعناصر الحنانشة على رأسها محمد بن سلطان [1].

[1]- الدفتر الجبائي رقم 2144(أ.و.ت)

إن من بين الأشياء التي لفتت انتباهي وأنا أتصفح هذا الدفتر هو أن حنانشة إبراهيم بن بوعزيز قد توزعت النفقات عليهم أكثر مما توزعت في محيط حنانشة محمد بن سلطان حيث خصصت لحنانشة إبراهيم 10 صفحات من الدفتر، وامتدت الفترة الزمنية التي وزعت عليهم فيها الإحسانات من تاريخ1170هـ/1756- 1777/1190م وهي مدة قدرت بـ20 سنة مست لأربع سنوات فترة ما بعد الشيـخ إبراهيم، في هذه الفترة حكم تونس كل من الباي محمد (1169هـ/1756م-1172هـ/1759م) ثم الباي علي (1172هـ/1759م-1196هـ/1782م)الذي يظهر أن صلاتهما كانت وطيدة بهذا الفرع ،أما حنانشة محمد بن سلطان فخصصت لهم في الدفتر 03صفحات في فترة زمنية امتدت من1173هـ/ 1759م-1181هـ/1767م أي في مدة ثماني سنوات فقط تزامنت مع حكم الباي علي [1].

هذا ولتقديم صورة أوضح عن حجم هذه التدفقات المالية إلى فرعي الحنانشة سنحاول ترجمتها في أعمدة بيانية عاقدين مقارنة بين الفرعين في الفترة الزمنية مابين1173/ 1759/- 1767/1182وهي الفترة التي تهمنا في الدراسة و توزعت فيها الإحسانات على الفرعين بشكل ملفت .

منحنى بياني يوضح حجم توزيع التدفقات المالية من الخزينة التونسية نحو فرعي الحنانشة

1173هـ/1759م- 1182هـ/ 1772م

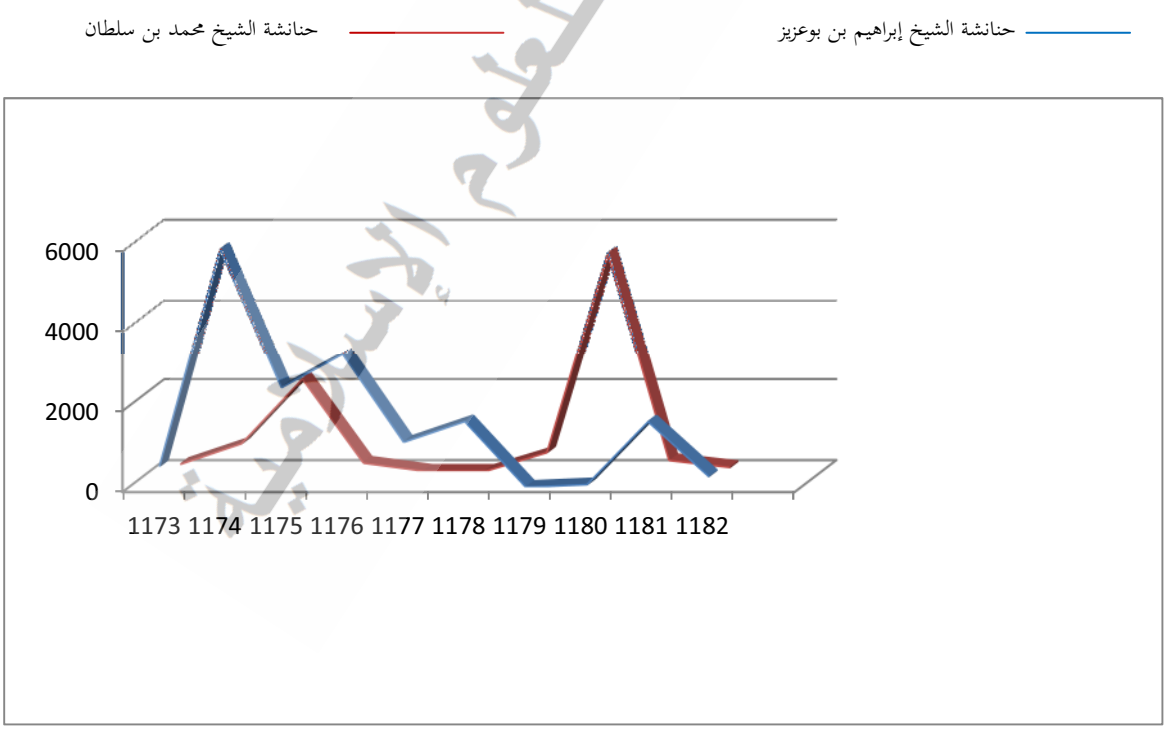

[1]- الدفتر الجبائي رقم 2144(أ.و.ت)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمـــــــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الحنانشة الكنفدرالية التي برزت مع مطلع القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي لم يسجل لها التقهقر إلا مع نهاية القرن الثامن عشر ميلادي (الثاني عشر هجري) بعكس ما قالت به بعض الدراسات، التي اعتبرت بداية تراجعهم كان مع موت شيخها بوعزيز في النصف الأول من القرن الثامن عشر ميلادي (الثاني عشر هجري).

كانت خلالها الكنفدرالية وعاء جمع قبائل وفروع قبائل بربرية – عربية انصهرت إثنيا وثقافيا منذ الهجرات الهلالية السليمية مما أعطى نفسا جديدا لتقاليد البداوة بدعائمها الاستقلالية، فيما توزعت مواطن هذه القبائل وفروعها بين الجزائر وتونس ضمن جغرافيا تنوعت مورفولوجيا وغنية هيدروغرافيا.

أخذ خط سير العلاقات الثقافية والاقتصادية بين الإيالتين من خلال الكنفدرالية أخذ مرحلتين تساوتا –تقريبا– زمنيا الأولى كانت قبل انقسام مشيختها (1530م –1644م) والثانية جاءت بعد انقسام هذه المشيخة إلى فرعين متنافسين (1644م- /1772م) .في الأولى كانت خلالها مجموعات الحنانشة تنسج في العلاقات برأس واحد تحركه مؤسسة الشيخ الموحدة أما في المرحلة الثانية فأصبحت فيها العلاقات تدار برأسين لمؤسستين للشيخ متنافستين هما فرعي نصر ومنصر.

ففي الشق الثقافي اتسم مجال الحنانشة بنشاط صوفي دؤوب كانت بدايات عهده بانتشار قبائل مرابطية أمثال أولاد سيدي عبيد وأولاد سيدي يحي بن طالب وأولاد تليل، وأولاد سيدي بوغانم حيث أسست هذه المجموعات لقاعدة انطلقت منها حركة تصوف واسعة في الوسط الريفي كانت من محصلاتها تأسيس أول دولة قبائل صوفية عابرة على الطريقة الشابية انطلاقا من القيروان ومؤسسها أحمد بن مخلوف (ت.1492م).

وشقت الشابية طريق دعوتها بعد أن وجدت ضالتها في كنفدرالية الحنانشة ومن خلال مجموعاتها أمثال مرداس، النمامشة، الحراكتة، التي عاشت بالشرق الجزائري و ورغة وشارن والفراشيش والهمامة التي توزعت بالغرب التونسي حيث وقع بين هذه المجموعات والشابية تلاحم بدوي صوفي استمر نشاطه على المنطقة الممتدة من القيروان إلى شرق الأوراس إلى غاية النصف الثاني من القرن السابع عشر ميلادي .هذه الفترة كانت كافية لهذه المجموعات لتلبس عباءة التصوف أين أصبح مجالها الواقع على أطراف الإيالتين حيزا اجتمعت عبره : الاستقلالية، البداوة، التصوف .

ولم تكد الشابية تتبدد وتتلاشى كحركة موسعة وعابرة بعد تبني مجموعات الحنانشة لها، حتى انتقل مصدر النشاط الصوفي إلى عمق هذه المجموعات وهو الأوراس، وذلك منذ بداية القرن السابع عشر ميلادي من خلال خنقة سيدي ناجي هذا الواحة الناشئة التي التفت حولها مختلف القبائل بعد أن

اشتهرت بصلاحها وزهادها، حيث أخذت تستقطب إليها المتعاطفين والمريدين من كل الجهات وباتت تشكل مركزا دعويا وتعليميا بامتياز أين تأثرت بها حواضر صوفية ناشئة مثل زاوية فريانة خلال القرن الثامن عشر ميلادي .

إن ما يمكن أن نخلص إليه في الشق الثقافي هو أن كنفدرالية الحنانشة شكلت الوسط الملائم الذي احتضن المثلث الصوفي القيروان خنقة سيدي ناجي فريانة .

أما في الجانب الاقتصادي فقد عملت من خلال مجموعاتها التي توزعت عبر الحدود من تشغيل نظام متشعب ومتكامل لتبادل المنافع الاقتصادية خصوصا في ضل وجود آليات التواصل التقليدية القائمة على الحلف والمصاهرة، فساهمت في ربط البلاد الجزائرية والتونسية بالدورة الاقتصادية من خلال ارتباطها الوثيق بمراكز الإنتاج في الإيالتين هذه المراكز التي توزعت عبر محاور ثلاث هي :

1- منطقة الساحل بالشمال حيث شكل حصن الباستيون وطبرقة وجهة تجارية منفتحة على المتوسط لما أصبح يضمنانه من استقطاب لفائض الإنتاج من جلود وصوف وشمع ..الخ.

2- منطقة التل بالوسط التي امتدت من ضواحي قسنطينة إلى تبرسق بتونس وهي منطقة تميزت بنشاط فلاحي مستقر يقوم على زراعة الحبوب وبمجالات رعوية تنقلت عبرها مجموعاتها .

3-منطقة الواحات بالجنوب أين شكل الزاب الشرقي وبلاد الجريد وجهة للقبائل أين يستبدلون ما ينتجونه من حبوب وقطران بالتمور والقماش.

لقد نشطت الكنفدرالية عبر هذه المحاور الثلاث في ظل منظومة اقتصادية متحركة بين الجزائر وتونس لحركية مجموعاتها .كما تحكمت في شبكة الطرق التجارية أين لعبت من خلالها دور محطات التموين على خطوط التجارة القوافلية وطريق الحج. هذا ورغم مشروع المركزة الاقتصادية الذي كان يتهددها من الجانبين والرامي إلى السيطرة على المجال كشرط أساسي لاحتكار المداخيل، رغم هذا إلا أن مشيختها سرعان ما انخرطت في تحالفات مع بايات تونس وقسنطينة من خلال مساهمتها في المحلات الفصلية التي كانت تجوب مختلف القبائل الحدودية قصد تحصيل الجباية الضريبية، وضمنت بذلك مشيختها أدوارا اقتصادية أبقتها ضمن معادلة السلطتين وفتحت لها قنوات لمداخيل مالية شبه قارة خاصة من جهة بايات تونس.

وفي الختام يتسنى لنا القول أن كنفدرالية الحنانشة عملت على تنشيط العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

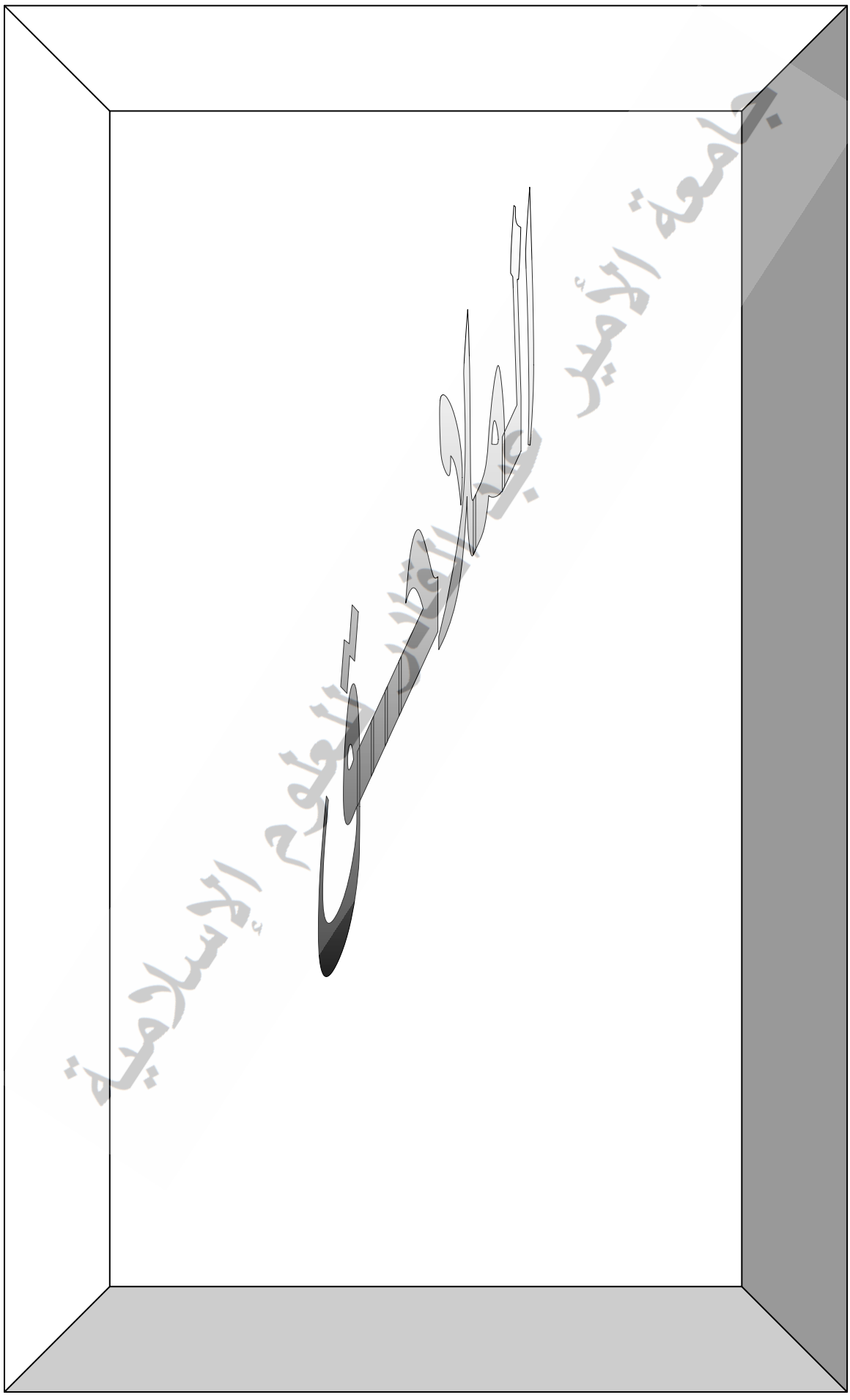
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم (01): أهم المجموعات المكونة لكنفدرالية الحنانشة وتبعيتهم لتونس عام1035هـ/ 1626م

بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله الذي بدأ الخلق ويعلم ما يسرون وما يعلنون والصلاة والسلام على المنزل عليه ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وبعد فهذه نسخة رسم نقت لضرورة السفر وخوفا من ضياع الأصل نصه:

الحمد لله حضر لمن يشهد بعد جماعة من أعيان البلد المعروف بأرق[1] ومن رؤسائهم المكرم الفقيه القارئ سيدي مبارك بن عبد الله البباري وأخوه سيدي محمد بن عبد الله والمكرم عبيد بن سعد الغلوسي والمكرم عبد الله بن قاسم والمكرم محمد بن عون الله والمكرم موسى بن عساس من القبيل والمكرم عبد الله بن عمر من القبيل والمكرم عبد الله با إبراهيم من القبيل والمكرم إبراهيم بن عبد ربه وكلهم من قبيل الغلالسة والمكرم الفقير نصر بن بدية البباري والمكرم الفقير محمد بن عبد الله والفقير أحمد بن يوسف والمكرم أحمد بن خادم والمكرم خليفة بن علي والمكرم محمد بن بوعزيز وكلهم من قبيل أهل بابار، والمكرم الأجل سيدي نور الدين بن إبراهيم، والمكرم محمد بن عبد ربه والمكرم أبو الكرم بن فضال والمكرم خالد بن قاسم والمكرم محمد بن محرز، والمكرم محمد بن أحد والمكرم محمد بن كانون والمكرم محمد ابن أبي الطيب، والمكرم كريم بن فضال، والمكرم المسعود بن نصر الدين وكلهم من حفدة الشيخ المقدس المرحوم سيدي عرفة الشابي نفعنا الله به، والمكرم عليه بن محمد والمكرم علي بن عبد الملك والمكرم علي بن عروة، والمكرم مزهود بن سالم والمكرم خضر بن سعد والمكرم مبارك بن فلفول، وكلهم من قبيل أهل الجرف والمكرم حسن بن جربوع والمكرم إسماعيل بن يوسف والمكرم منصور بن محمد والمكرم سليمان بن نصر وكلهم من قبيل ابن واشكون والمكرم سعد بن علي والمكرم معيوف والمكرم مبارك بن عمر والمكرم قاسم بن أحمد وكلهم من قبيل أهل الجديرة والمكرم ضيف الله بن منصور والمكرم إبراهيم بن وديان والمكرم عباس بن عبد الله والمكرم عبد العزيز بن حطاب وكلهم من قبيل أهل يزليتن والمكرم ضيف الله ابن أبي الفضل والمكرم محمد بن أبي الهادي والمكرم خضير بن عبيد والمكرم سليمان بن عبد الملك والمكرم الحمادي بن عبيد والمكرم محمد بن نصر والمكرم عبد اللطيف بن عبد الرحمان

[1]- أرق هي قلعة سنان حسب فاطمة بن سليمان .يرجى الرجوع إلى فاطمة بن سليمان ، المرجع السابق ، ص.102.

والمكرم عبد القادر بن مسعود والمكرم عون الله بن عبد القادر وكلهم من قبيل سيدي عبيد والمكرم عمر بن نصير والمكرم دغمان بن عيسى والمكرم الضيف بن أحمد والمكرم أحمد بن أبي الطيب والمكرم أحمد بن خشانة وكلهم من قبيل دريد واعترف جميعهم أنهم وآباءهم وأجدادهم السابقين من جملة رعايا صاحب كرسي تونس المحروسة من مدة ولاية الحفاصا السابقين إلى ولاية السلطان العثماني دام عزه ونصره وأن أصحاب المحال عسكر تونس المحروسة منهم المرحوم مراد باي بوشواطة والمرحوم رمضان باي والمعظم مراد باي صاحب المحلة في التاريخ لم يزالوا يتعاطون قبض ما يترتب عليهم من الواجبات الشرعية والمطالب المخزنية وأن صاحب كرسي تونس المذكور هو المتولي الحكم بينهم في قضايا وإذا نزل بهم أمر لجؤا إليه فيه وأن صاحب كرسي الجزائر ليس له عليهم ولاية ولا عرفوا قط أنه وجه إليهم محلة لخلاص واجب شرعي أو مطلب مخزني منذ عقلوا إلى الآن فمن سمع منهم اعترافهم فذكروهم بالحالة الجائزة شرعا شهد بذلك هنا في أواخر ذي الحجة الحرام عام خمسة وثلاثين وألف شهادة شاهدين عدلين من شهود الكاف مرفوعا على خطيهما لدا من يجب بتونس أعزه الله تعالى فهذه نسخة ذلك على ما هو به فمن قبله بأصله اتفقا وكانا نصا سوا وقوبل فصح وشهد بذلك هنا في أواسط محرم الحرام فاتح شهور عام ستة وثلاثين وألف

حله الفقير إلى الله ساسي بن الحاج محمد نوينه الأندلسي تاب الله عليه بمنه

حله عبد اللطيف بن محمد تاب الله عنه

نسخة من الوثيقة

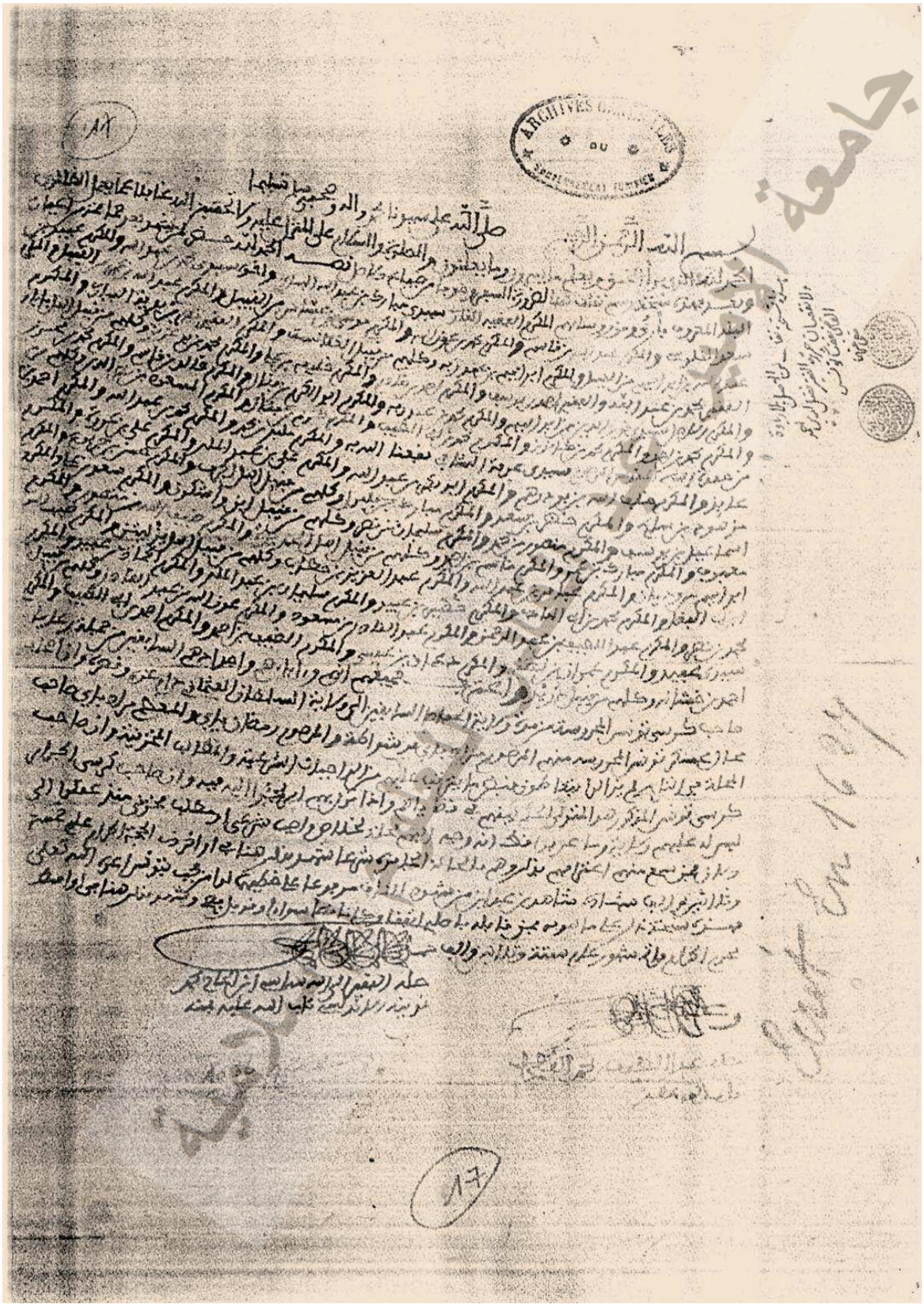

حافظة 212 ملف 229 وثيقة رقم 17 (أ.و.ت)

ملحق رقم (02): نسخة من وثيقة بشهادة قنصل انجلترا حول الحدود البحرية بين إيالتي الجزائر وتونس عام 1037هـ/ 1628م

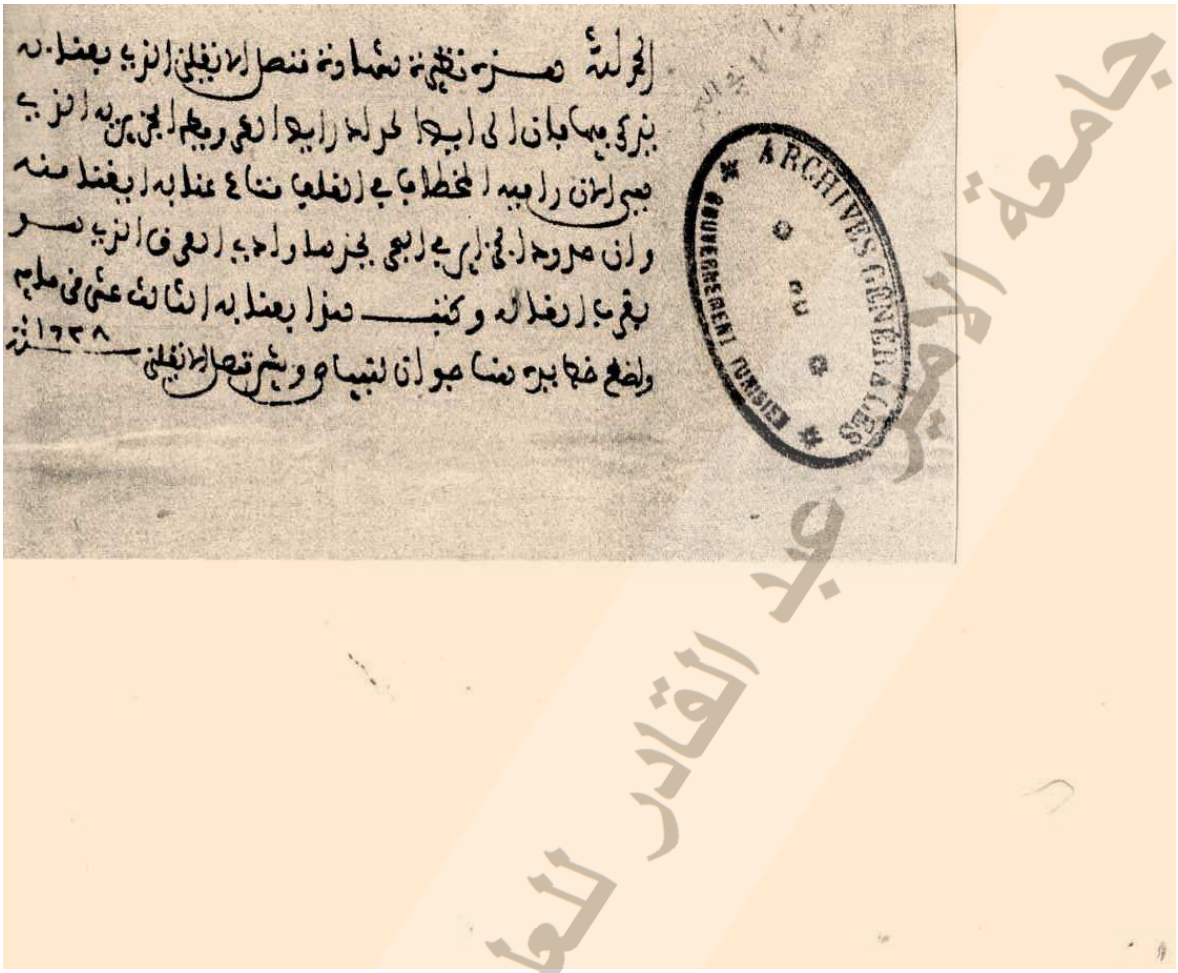

الحمد لله هذه نظيرة شهادة قنصل الانقليز الذي بعنابة يذكر فيها بأن الرايص الحداد رايص الكرويطة الجزيرية الذي هي الآن رامية المخطاف في الغاف متاع عنابة أيقنا منه وأن حدود الجزاير في البحر يحدها وادي العرق الذي هو بقرب القالة وكتب هذا بعنابة الثالث عشر من ماية واضع خط يده هنا جوان لنبياص ويش قنصل الانقليز سنة 1628م .

حافظة 212 ملف 229 وثيقة رقم 2

ملحق رقم (03): نسخة مكبرة من ختم شيخ الحنانشة

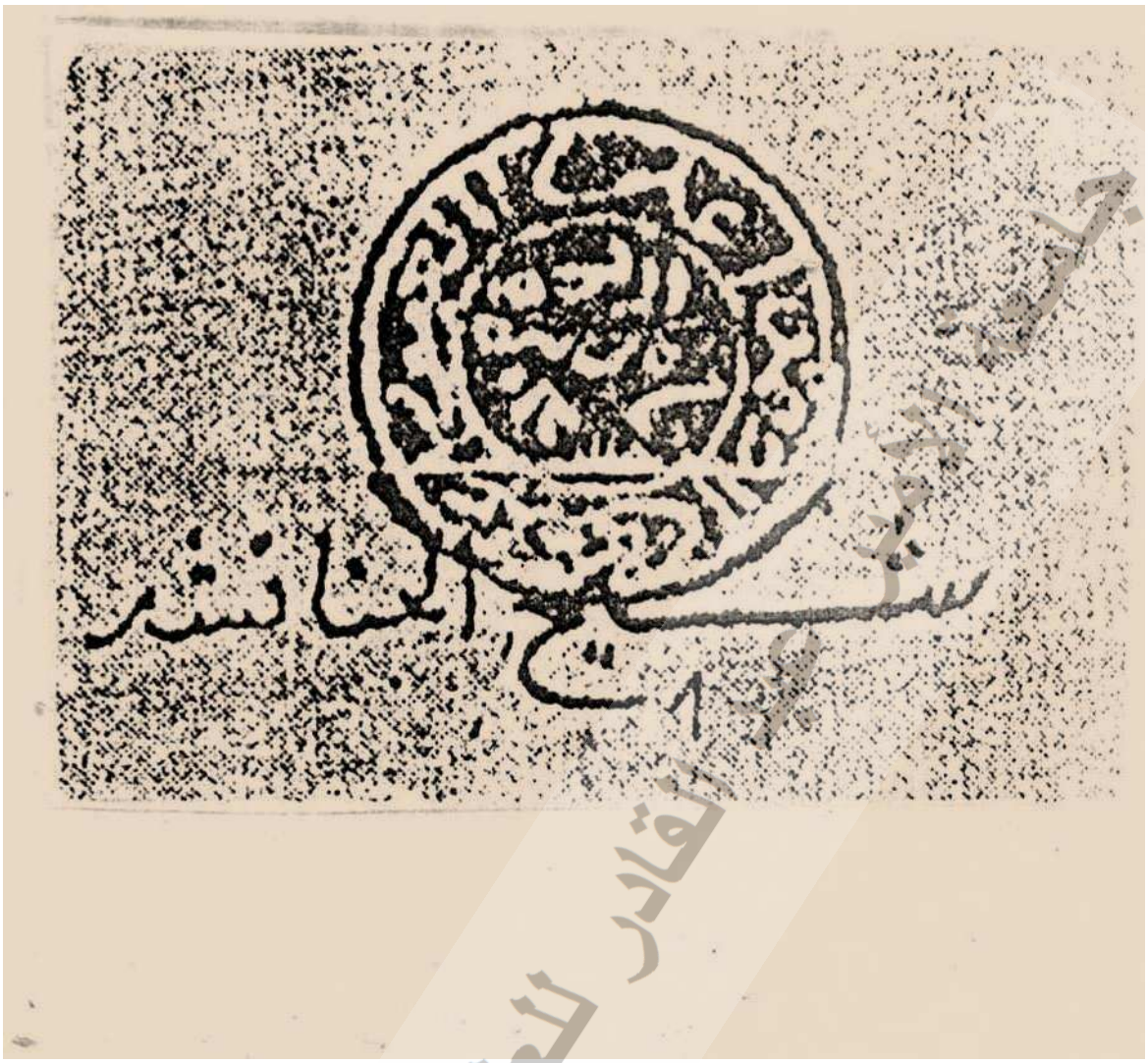

عن العريضة التي أرسلها أحمد باي بمعية شيوخ وقواد الشرق الجزائري إلى البرلمان البريطاني عام 1834م ونشرها عبد الجليل التميمي ضمن عمله.

Le beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey

ملحق رقم (04): نسخ بالإحسانات التي كان يرسل بها باي تونس لحنانشة الشيخ ابراهيم بن بوعزيز في شكل مبالغ مالية وأشياء عينية (1170هـ/1756م-1190هـ/1777م)

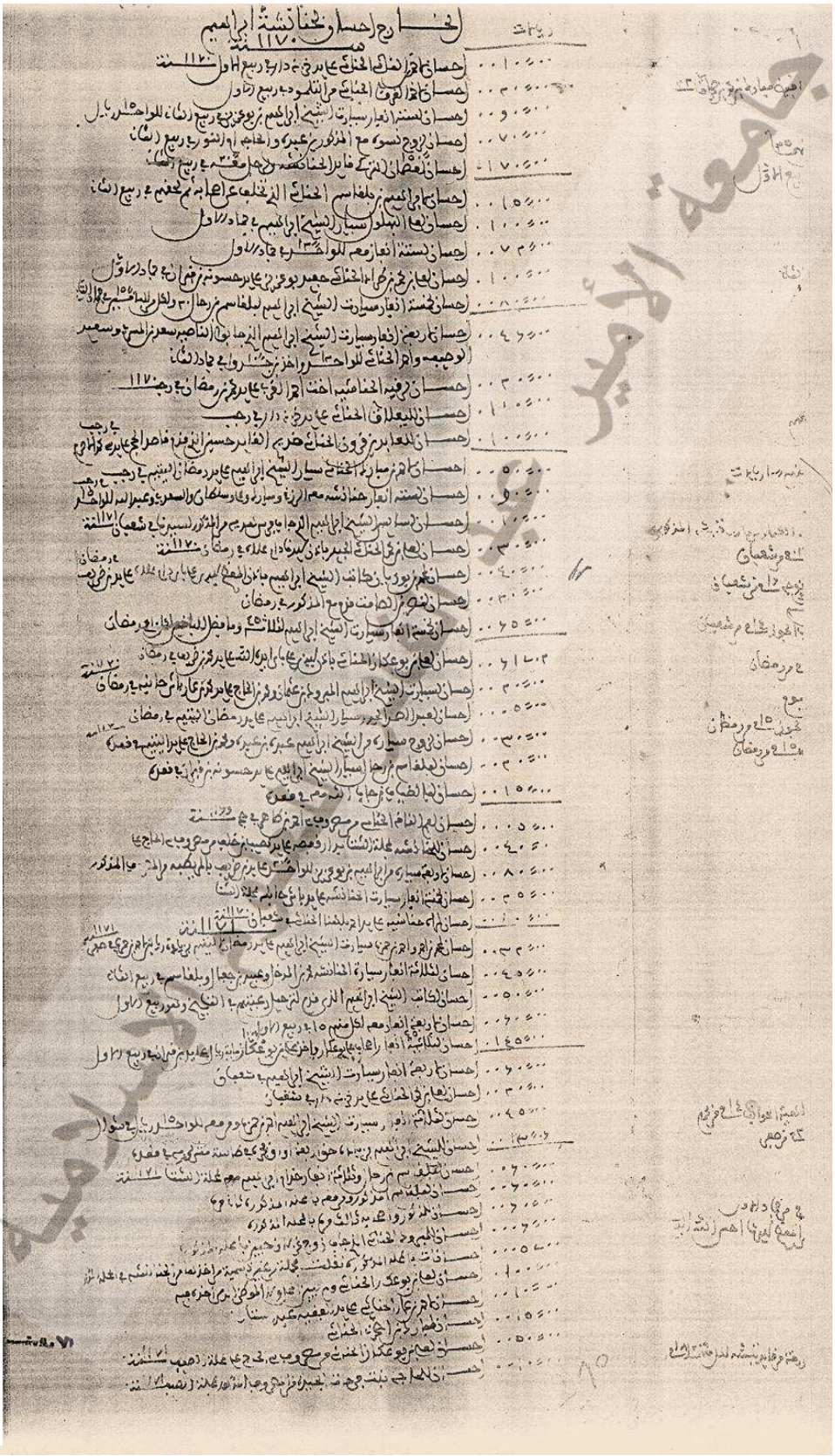

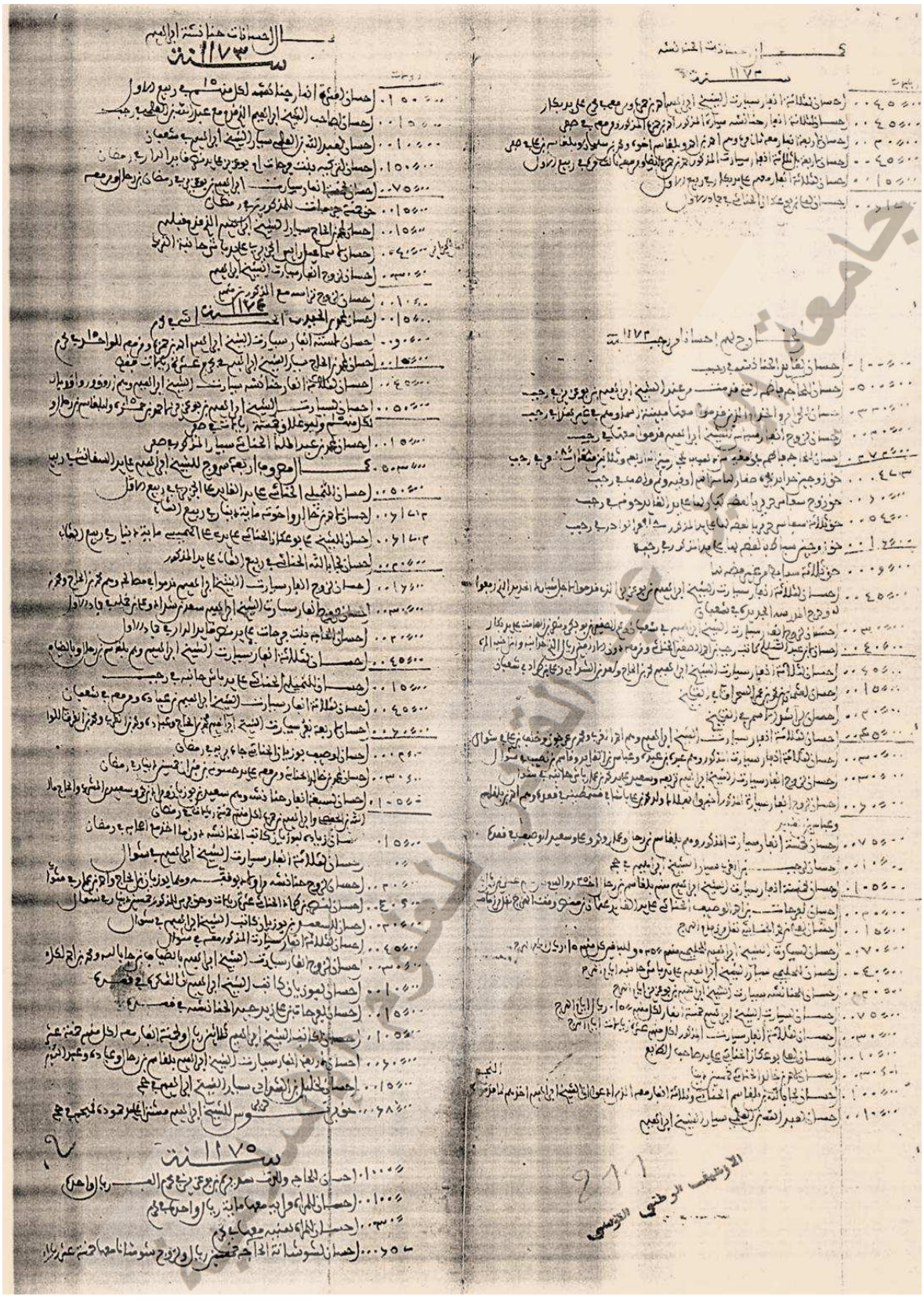

سنة ١١٧٣

سنة ١١٧٤

سنة ١١٧٥

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
الأرشيف الوطني الوثائقي

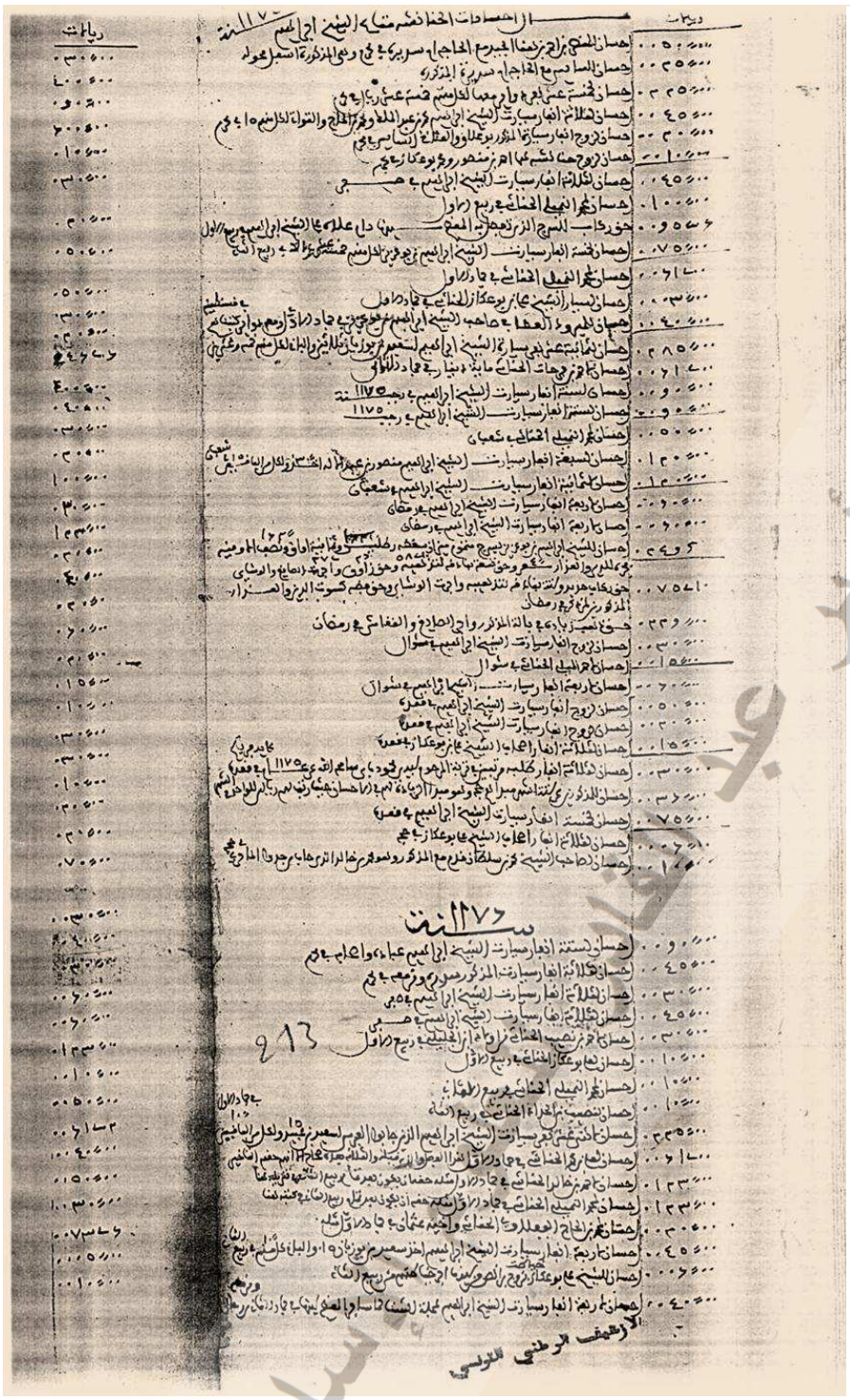

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

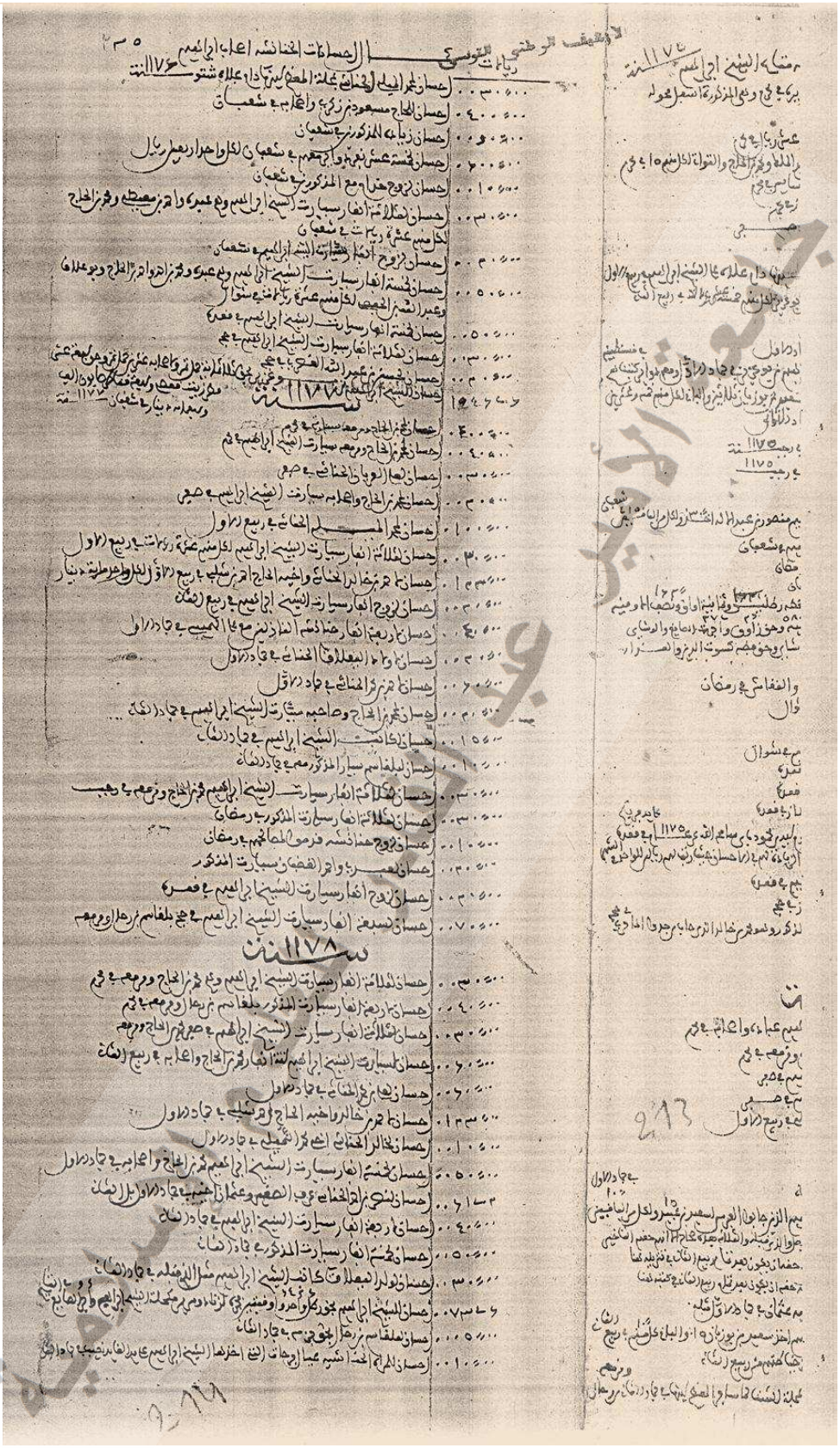

الدفتر الجبائي رقم: 2144 (أ.و.ت)

ملحق رقم (05): نسخ بالإحسانات التي كان يرسل بها بايات تونس لحنانشة الشيخ محمد بن سلطان (فرع منصر) في شكل مبالغ مالية وأشياء عينية (1170هـ/1766م)

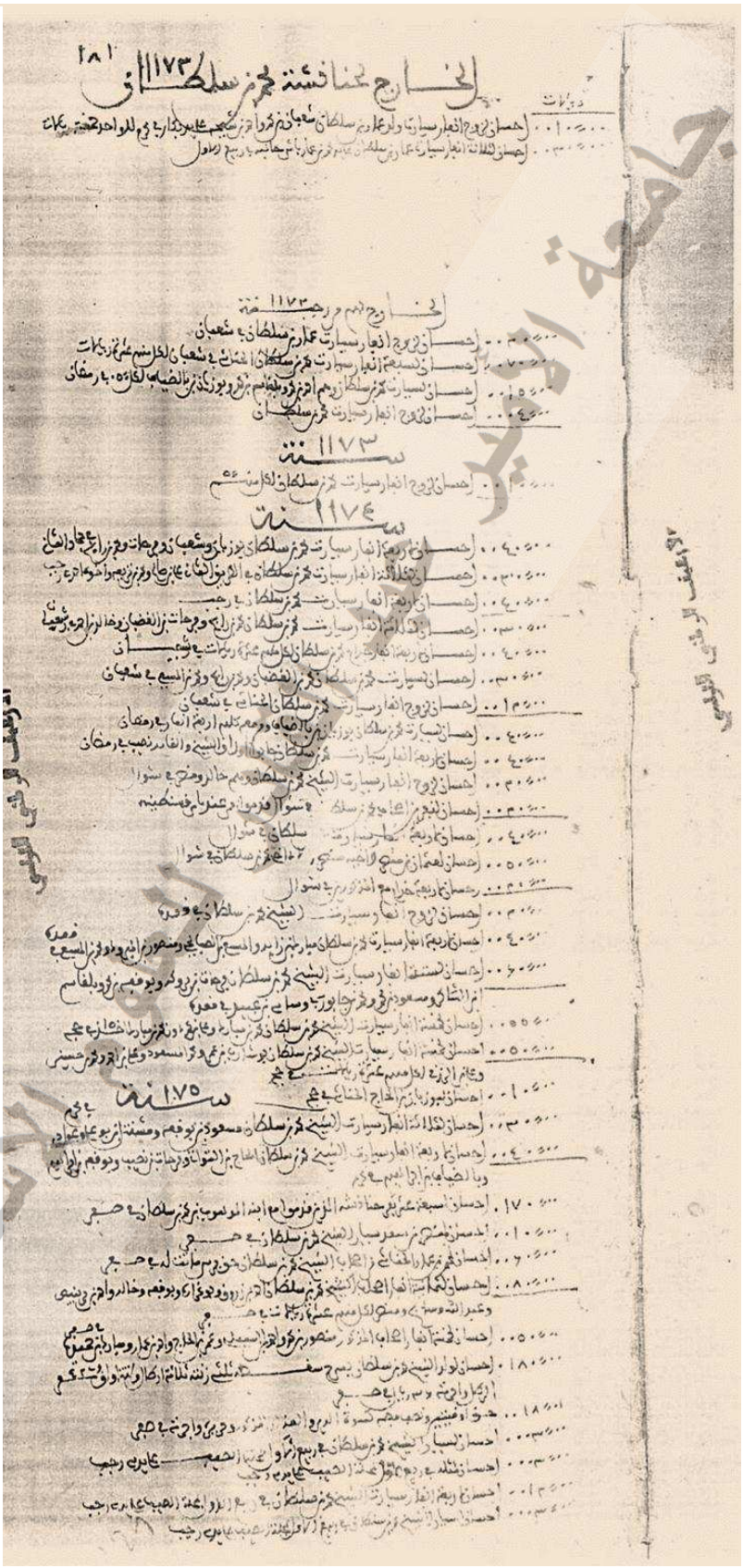

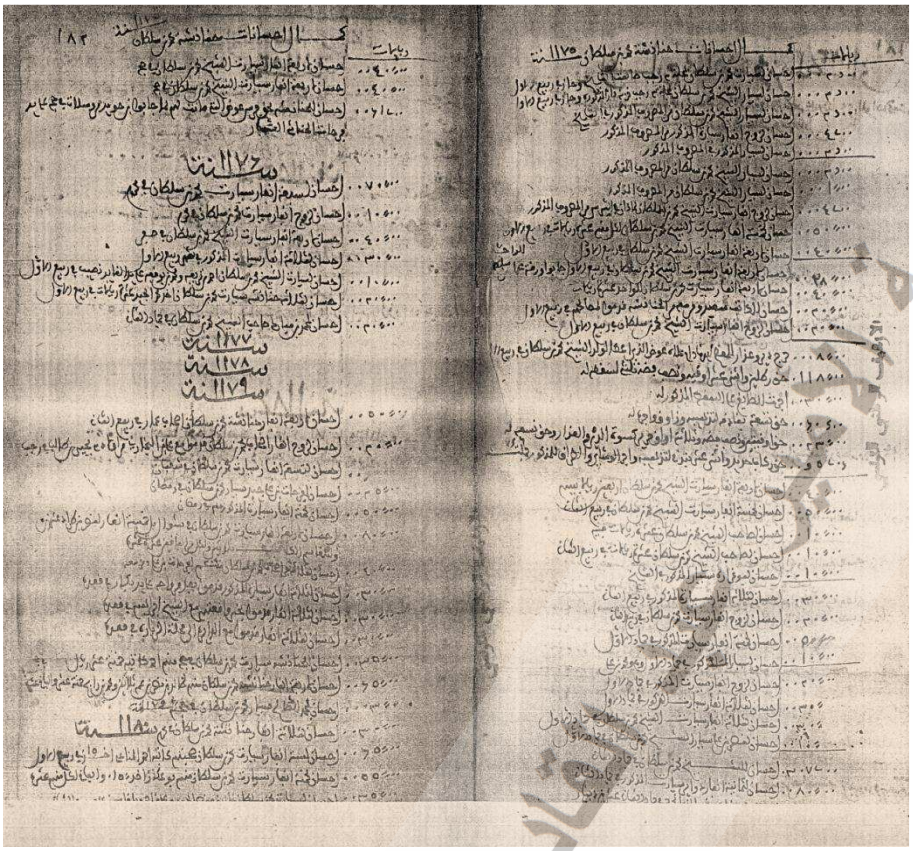

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

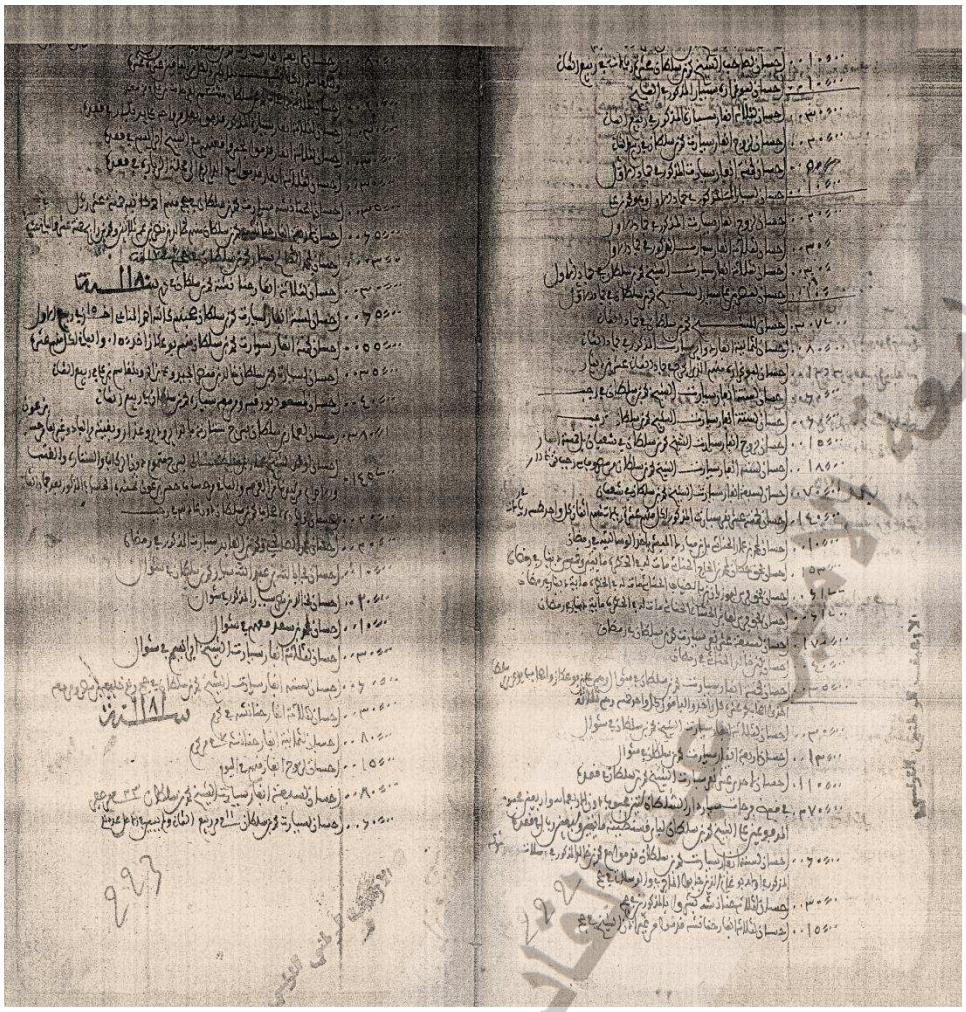

الدفتر الجبائي رقم: 2144 (أ.و.ت)

ملحق رقم (06): نسخة بالإحسانات التي كان يرسل بها بايات تونس لقلعة سنان (1171هـ/1758م-1190هـ/1776م)

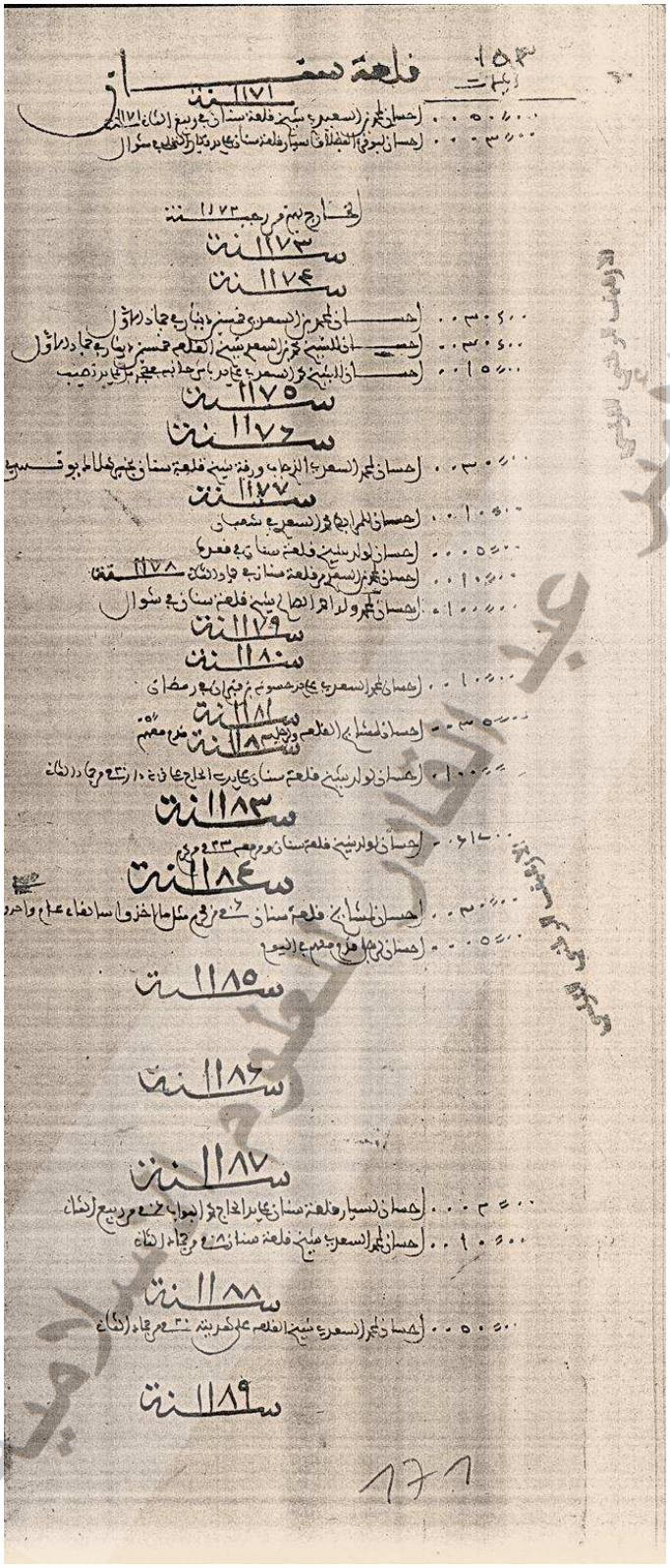

الدفتر الجبائي رقم 2144 (أ.و.ت)

ملحق رقم (07): نسخة بالإحسانات التي كان يرسل بها بايات تونس لمجموعات منضوية تحت كنفدرالية الحنانشة (1170هـ/1756م-1192هـ/1779م)

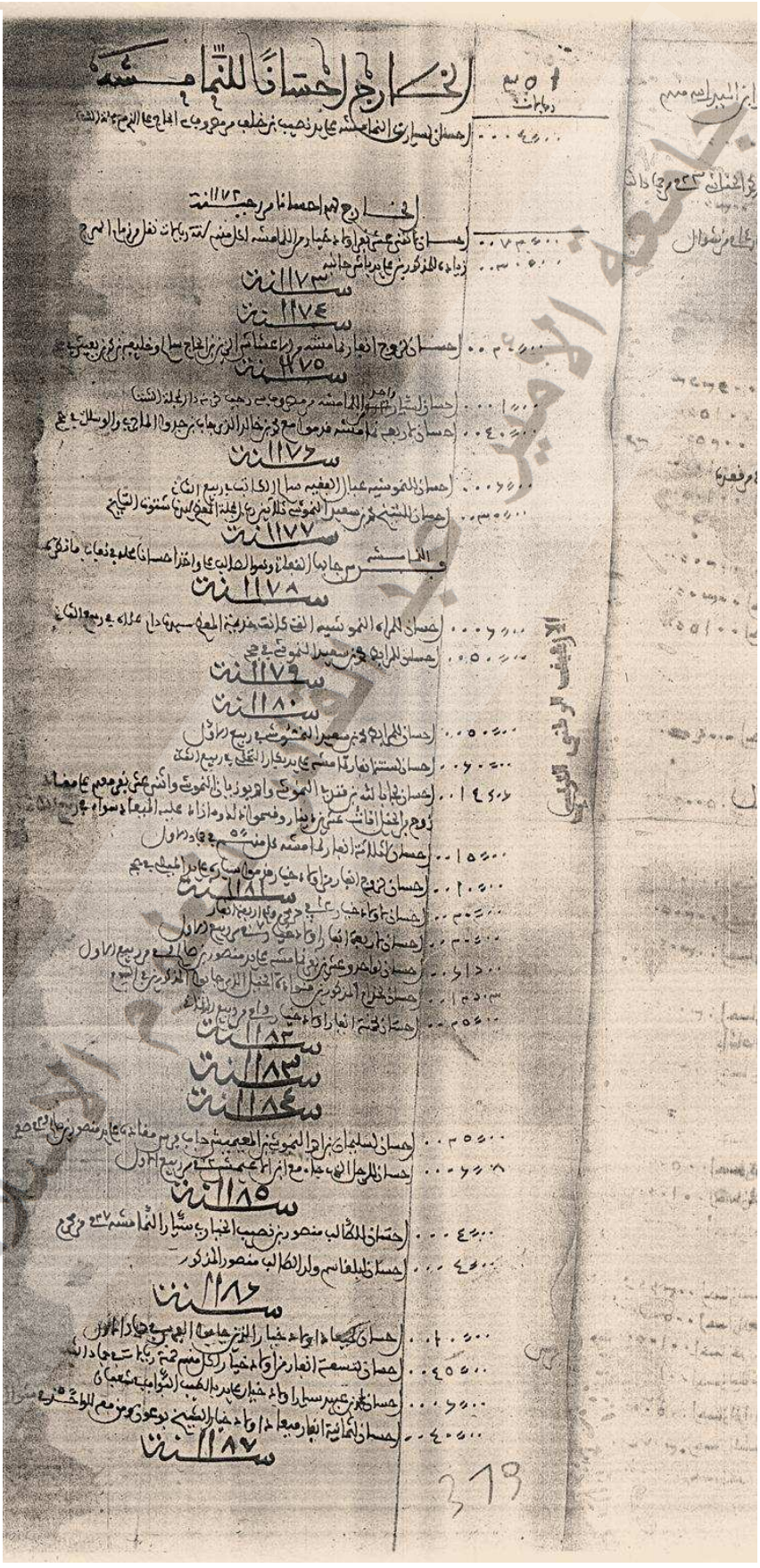

جامعة الملك سعود للعلوم الإسلامية
مركز المخطوطات والوثائق

أوراق من تحبس يحيى بن كالب

٠٫٥٠٫٠	إحسان الحاج محمد بن أواه بن يحيى بن كالب في سهم منه شعبان سنة ١١٧٠
٠٫٤٥٫٠	إحسان المذكور انعار معه لكل واحد قفة عشر ريال
٠٫٣٠٫٠	إحسان زوج سيار بن يحيى بن كالب محمد بن كالب ومحمد بن كالب في شوال سنة ١١٧٠
٠٫٦٫٠	إحسان لسيارات أواه بن يحيى بن كالب بواركوبة الشعبي وأحمد الشتوي سنة ١١٧١ وحان
١٣١٫٠	مصروف بيد الحاج عاشور دار
٠٫٥٫٠	إحسان لسيارات أواه بن يحيى بن كالب بعاشر من محمد بن عيسى بالجملة المذكورة
٠٫١٠٫٠	إحسان زوج انعار سيارة عامر بن محمد منهم لكل واحد ٢٠ في سنة ١١٧١ المذكور
٠٫٣٫٠	إحسان لسيارة الشعم عاشر رمضان اليتيم بالنيابة
٠٫٤٫٠	إحسان لأربعة انعار سيارات أواه بن يحيى بن كالب في رجب سنة ١١٧١ عاشر رمضان اليتيم
٠٫١٥٫٠	إحسان لعاشر عامر بن محمد أواه بن يحيى بن كالب لشعاشر ديكار الفحل في حج
٠٫١٠٫٠	إحسان زوج انعار سيارات أواه بن يحيى بن كالب عاشر ديكار في حج سنة ١١٧٢
٠٫٥٫٠	إحسان انعار بن محمد سيار عامر ولده يحيى بن كالب عاشر رمضان اليتيم في ربيع الأول
٠٫١٠٫٠	إحسان لأحمد بن الحسن محمد أواه بن يحيى بن كالب فرخ سيار أمع شارع في جمادى الثانية سنة ١١٧٣
٠٫١٠٫٠	إحسان لولد يحيى بن كالب بجملة الست سنة ١١٧١ وهذه آخر ما تحسب له على عجلة سنة ١١٧٢

الخارج لهم من رجب سنة ١١٧٣

٠٫٧٥٫٠٠	إحسان لخمسة انعار سيارات في تحبس يحيى بن كالب لهم فرسوا مع الأواه بن الواحد في رجب
٠٫٠٤٫٠٠	إحسان زوج انعار سيارات أواه بن يحيى بن كالب في شعبان
٠٫٠٤٫٠٠	إحسان زوج انعار سيارات في يحيى بن كالب في عشر رمضان عاشر انعار نصيب
٠٫٠٤٫٠٠	إحسان زوج انعار سيارات في يحيى بن كالب في حج
٠٫٠٤٫٠٠	إحسان زوج انعار سيارات أواه بن يحيى بن كالب في رمضان سنة ١١٧٣

سنة ١١٧٤

سنة ١١٧٥

٠٫٠٤٨٫٠٠	إحسان لخمسة انعار سيارات أواه بن يحيى بن كالب في جمادى الأولى سنة ١١٧٦

سنة ١١٧٦

٠٫٠٠٦٫٠٠	إحسان لسيار الحاج محمد أواه بن يحيى بن كالب لتحبس بموت يونس باي

سنة ١١٧٧

سنة ١١٧٨

سنة ١١٧٩

٠٫٠٠٣٫٠٠	إحسان لعاشر انعار عامر أواه بن يحيى بن كالب في رجب وفعوا الزوج مع تبوريان بحاجة الحاج
٠٫٠٠١٫٠٠	إحسان زوج انعار معه في رجب

مال إحسانات أواه بن يحيى بن كالب سنة ١١٨٣

سنة ١١٨٤

٠٫٠٠١٥٫٠	إحسان الحاج محمد عاشر بوبكر وعاشر راس سيار أواه بن يحيى بن كالب في رجب
٠٫٠٠١٠٫٠	إحسان أواه بن يحيى بن كالب فرسوا سيار عامر عاشر بوحيدة في ربيع الثاني
٠٫٠٠١٥٫٠	إحسان لسيار المذكور زوج واحد عاشر بوحيدة واحد من زوج الواحد قفة في جمادى
٠٫٠٠٥٫٠	إحسان لعبد الله سيار اليتيم عامر بن يحيى بن كالب في رجب
٠٫٠٠٤٫٠	إحسان لأربعة أواه بن يحيى بن كالب زوج وفرسوا في شعبان
٠٫٠٠١٠٫٠	إحسان زوج فرسوا منهم عاشر عبد المنشكا في شعبان
٠٫٠٠٢٥٫٠	إحسان لخمسة انعار سيارات أواه بن يحيى بن كالب زوج وفرسوا في شوال
٠٫٠٠٣٫٠٠	إحسان لأربعة انعار سيارات أواه بن يحيى بن كالب لكل سنة ١١٨٥ في رجب

سنة ١١٨٥

٠٫٠٠١٠٫٠٠	إحسان لسيارات أواه بن يحيى بن كالب عاشر بوعبد الله في رمضان

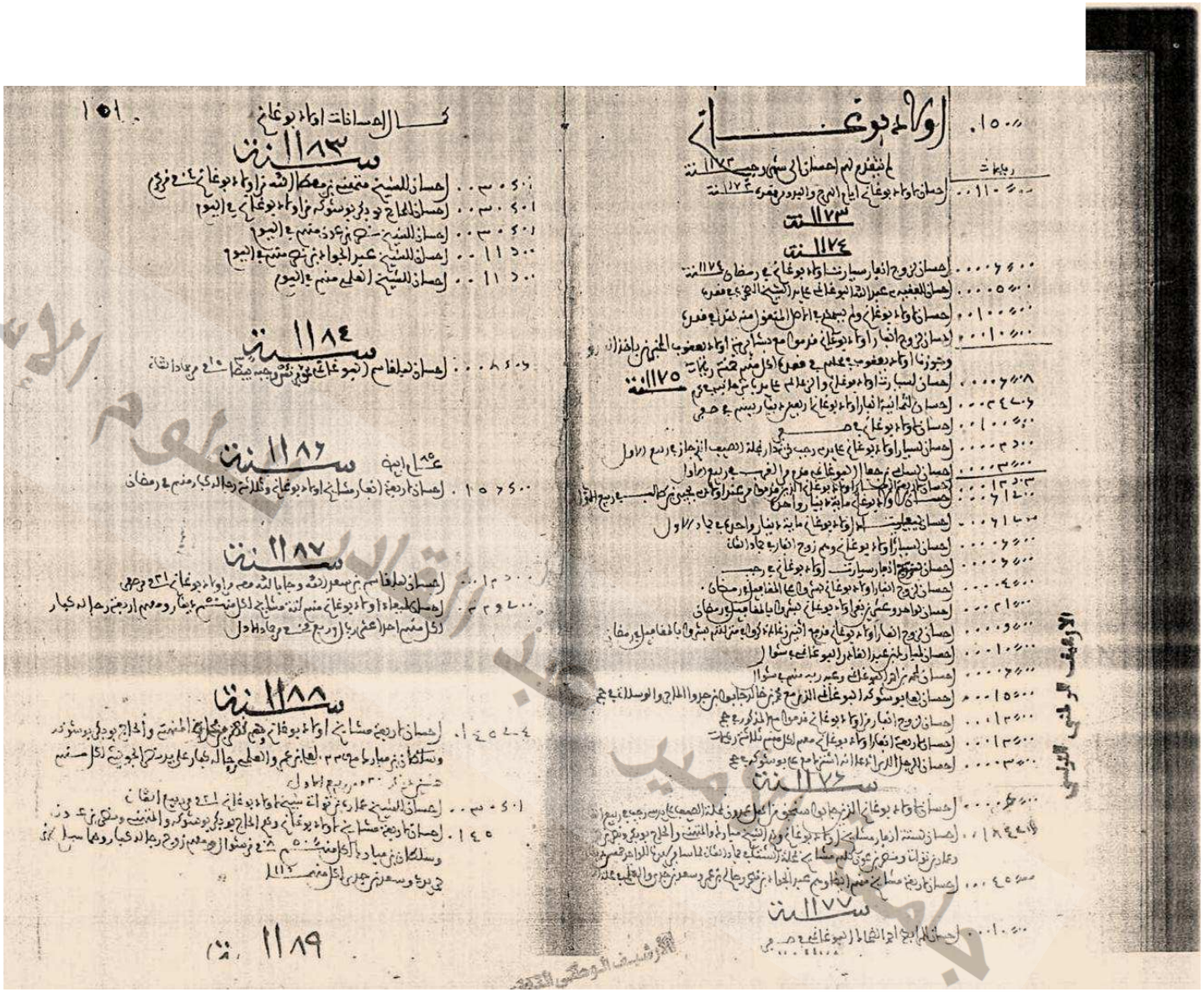

اولاد بوغانى

١٥٠

لم يتقدم لهم احسان الى سنة رجب ١١٧٤ سنة

احسان اولاد بوغانى ايل الهوج والبوم فقره ١١٧٤ سنة

سنة ١١٧٣

سنة ١١٧٤

احسان لزوج انهار سيارتشا اولاد بوغانى فى رمضان ١١٧٤ سنة

احسان للغفير عبد الله اولد بوغانى عامر الشيخ الذى فقره

احسان اولاد بوغانى ولم يجعل له الاصل المتعوز امنه نصر الى فقره

احسان لزوج انهار اولاد بوغانى فرسوا مع مشايخ اولاد بوغانى بعضوب الخيمى ياخذان زو

وجوزنا اولاد بعضوب فعلمهم فقره اول منهم ختم ربيع

سنة ١١٧٥

احسان لسبارتشا اولاد بوغانى والزيدان عامر بن عامر بن مانب فقره

احسان للثمانية انهار اولاد بوغانى ربيع وبيار ربيسم فقره

احسان اولاد بوغانى فقره

احسان لسيار اولاد بوغانى عامر بن رجب فى دار لحلة الضعيف الزجاز فقره ربيع الاول

احسان لسلم بن حمدا اولاد بوغانى مدوم والغيب فقره ربيع اولا

احسان اولاد بوغانى مايتة بيار واحد فقره ربيع الاول

احسان يعلى اولاد بوغانى مايتة بيار واحد فقره جماد الاول

احسان لسبارا اولاد بوغانى ومعهم زوج انهار فقره جماد الثانى

احسان لزوج انهار سيارتشا اولاد بوغانى فقره رجب

احسان لى زوج انهار اولاد بوغانى جميلى ما يحا المفاعيل ورمضان

احسان لواحد وعشرين نفسى اولاد بوغانى جميلى ما بالمفاعيل ورمضان

احسان لزوج انهار اولاد بوغانى فرجع اشير زغالة كولى متزلتهم جميلى ما بالمفاعيل فقره رمضان

احسان لسبار لهم عبد الله انهار اولاد بوغانى فقره شوال

احسان لهم بزاتر اولاد بوغانى وعبد ربه منهم فقره شوال

احسان لهما بوسكوكر اولاد بوغانى الذى مع فرخ خالد رجا بين جروا الملاح والوسلاتية جمع

احسان لى زوج انهار مزاولاد بوغانى فرسوا مع المذكور فقره جمع

احسان لربيع انهارا اولاد بوغانى معهم لكل منهم ثلاثة ريالات

احسان لى الهجل الذى ادعاه الله اشترا مع عامر بوسكوكر جمع

سنة ١١٧٦

احسان لاولاد بوغانى الزنجار اولا مسجون فى اعمال عمر ون لحلة الضعيف عامر بن رجب فقره ربيع

احسان لستة انهار مشايخ اولاد بوغانى ومع الشيخ سيارة والمتيت والحاج بوبكر وبقى

وعلم من قولنا وبقى من كلهم مشايخ لحلة الشيخ فجاء رمضان فما سامحوا من الواحد قصر

احسان لاربعة مشايخ معهم انهارا ومع عبد الجواد بن فخور رجال بن عمر وسعد بن عمر بن العلجب فقره

سنة ١١٧٧

احسان لعلم ابن ابو النشاما اولاد بوغانى فقره

الأرشيف الوطني التونسي

سنة ١١٨٣

احسان للشيخ متعب بن معطل الله زاولاد بوغانى فقره وفرح

احسان للحاج بوبكر بوسكوكر زاولاد بوغانى فقره اليوم

احسان للشيخ بن عودة منهم فقره اليوم

احسان للشيخ عبد الجواد بن بن منهم فقره اليوم

احسان للشيخ العلى منهم فقره اليوم

سنة ١١٨٤

احسان لسلطام اولاد بوغانى بن بن رجب فقره جماد الثانى

سنة ١١٨٦

عشرة اربعة

احسان اربعة انهار مشايخ اولاد بوغانى وقلانة رجال الدرب منهم فقره رمضان

سنة ١١٨٧

احسان لسلطام بن سعد الله وحاجا الله منهم زاولاد بوغانى فقره وفرح

احسان لطبجاة اولاد بوغانى منهم لكل مشايخ لكل منهم بيار ومعهم اربعة نفر عبار

لكل منهم احد عشر بارا ربيع فتح جماد الاول

سنة ١١٨٨

احسان اربعة مشايخ اولاد بوغانى وهم لكل منهم

وسلكا فى عباد ما مع ٣٣٠ العامر عمر والعلى حالة عبار على بير ستر الجوبع لكل منهم

منهم فقره ٣٣٠ ربيع الاول

احسان للشيخ عمار بن تواتة سبيع اولاد بوغانى فقره ربيع الثانى

احسان اربعة مشايخ اولاد بوغانى ومع الحاج بوبكر بوسكوكر والمتيت وسلكا فى عباد

وسلكا فى عباد لكل منهم

فى بوة وسعد بن جوبى لكل منهم

سنة ١١٨٢

سنة ١١٨٣

سنة ١١٨٤

سنة ١١٨٥

سنة ١١٨٦

سنة ١١٨٧

سنة ١١٨٨

سنة ١١٨٩

سنة ١١٧٠

سنة ١١٧٣

سنة ١١٧٤

سنة ١١٧٥

سنة ١١٧٦

سنة ١١٧٧

سنة ١١٧٨

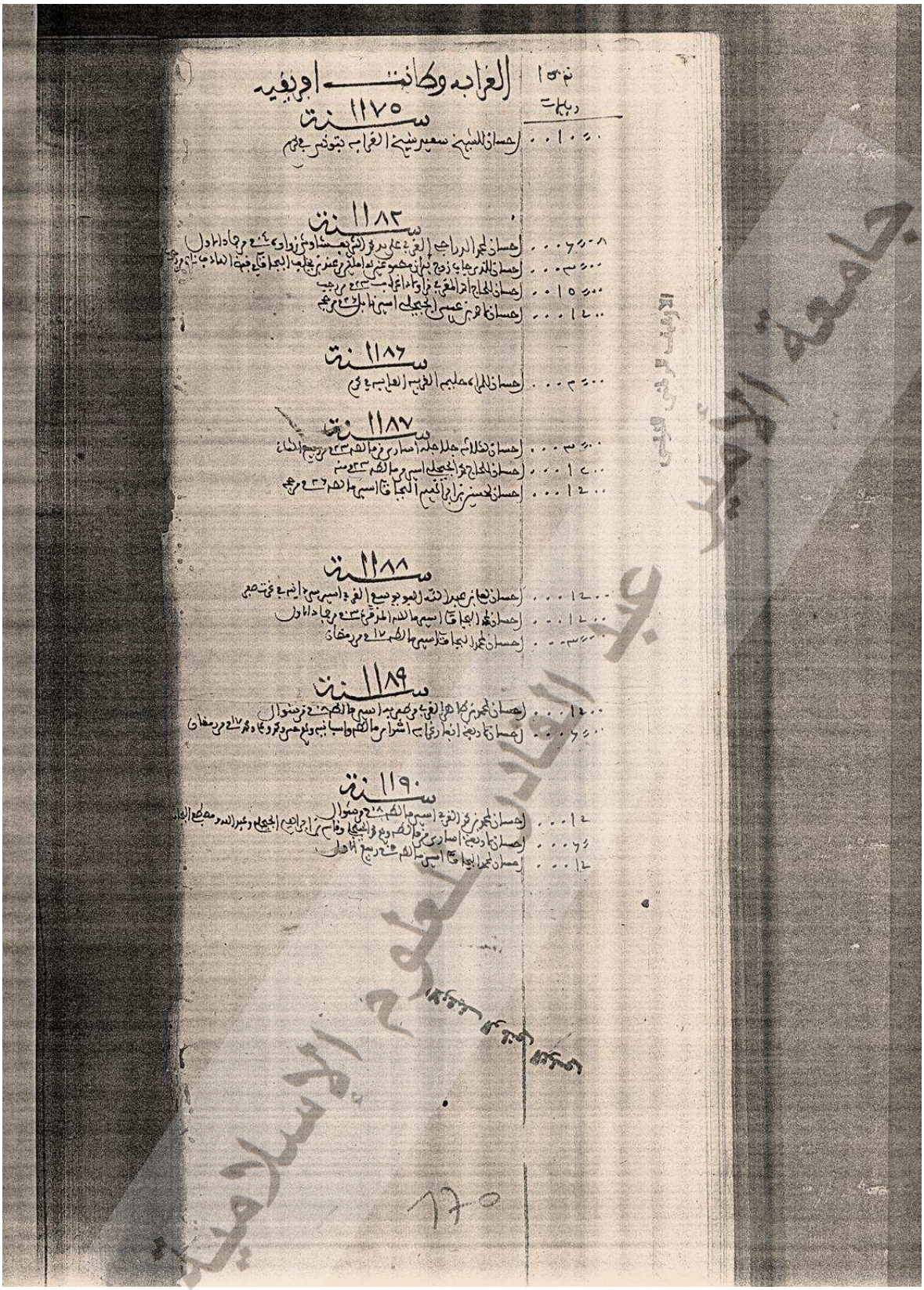

الغرابه وكانت اوقيه
سنة ١١٧٥
احسان للشيخ سعيد شيخ الغرابه بتوفر في يوم ... ١٠ ...

سنة ١١٨٢
احسان لمحمد الدراجي الغربي على يد قنصل بغداد في رواق في ٤ من جمادى الاول ... ٧ ...
احسان للدري جاب زوج بنت محمد عتي له اسلتري في عشر من رجب البجاقا في ٢٣ من جمادى الثاني ... ٣ ...
احسان للحاج احمد المغربي في ١٤ من رجب ... ١٥ ...
احسان كاتم عيسى الجبجلي اسير بابل في يوم ... ١٢ ...

سنة ١١٨٦
احسان للحلبي حلبي الغربي الغرابه في يوم ... ٣ ...

سنة ١١٨٧
احسان لدلالة جلبة اصاري في ٢٣ من ربيع الثاني ... ٣ ...
احسان للحاج احمد الجبجلي اسير في ٢٣ من ... ١٢ ...
احسان لحسين بن ابراهيم البجاقا اسير في ٢٦ من ... ١٢ ...

سنة ١١٨٨
احسان لعبد الله الموجوسي الغربي اسير في ٢ من ربيع ... ١٢ ...
احسان لمحمد البجاقا اسير في ٢٣ من جمادى الاول ... ١٢ ...
احسان لمحمد البجاقا اسير في ١٧ من رمضان ... ٣ ...

سنة ١١٨٩
احسان لمحمد كاهية الغربي برصيص اسير في ٢٠ من رمضان ... ١٢ ...
احسان كاتم ربيع ابنه اشترى من الغرابه واسيبنيه وقع حسن وقوزقا وقع في ١٧ من رمضان ... ٧ ...

سنة ١١٩٠
احسان لمحمد زوج الغربي اسير في ٢٨ من شوال ... ١٢ ...
احسان كاتم ربيع اصاري من الغرابه وقع في البجاقا وفاسر من ابراهيم الجبجلي وعبد الله مصطفى البغدادي ... ٧ ...
احسان لمحمد البجاقا اسير في ... من ربيع الاول ... ١٢ ...

170

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الدفتر الجبائي رقم 2144 (أ.و.ت)

ملحق رقم (08): نسخة من الإحسانات التي كان يرسل بها بايات تونس لزاوية الشابية (1170هـ/1756م-1192هـ/1779م)

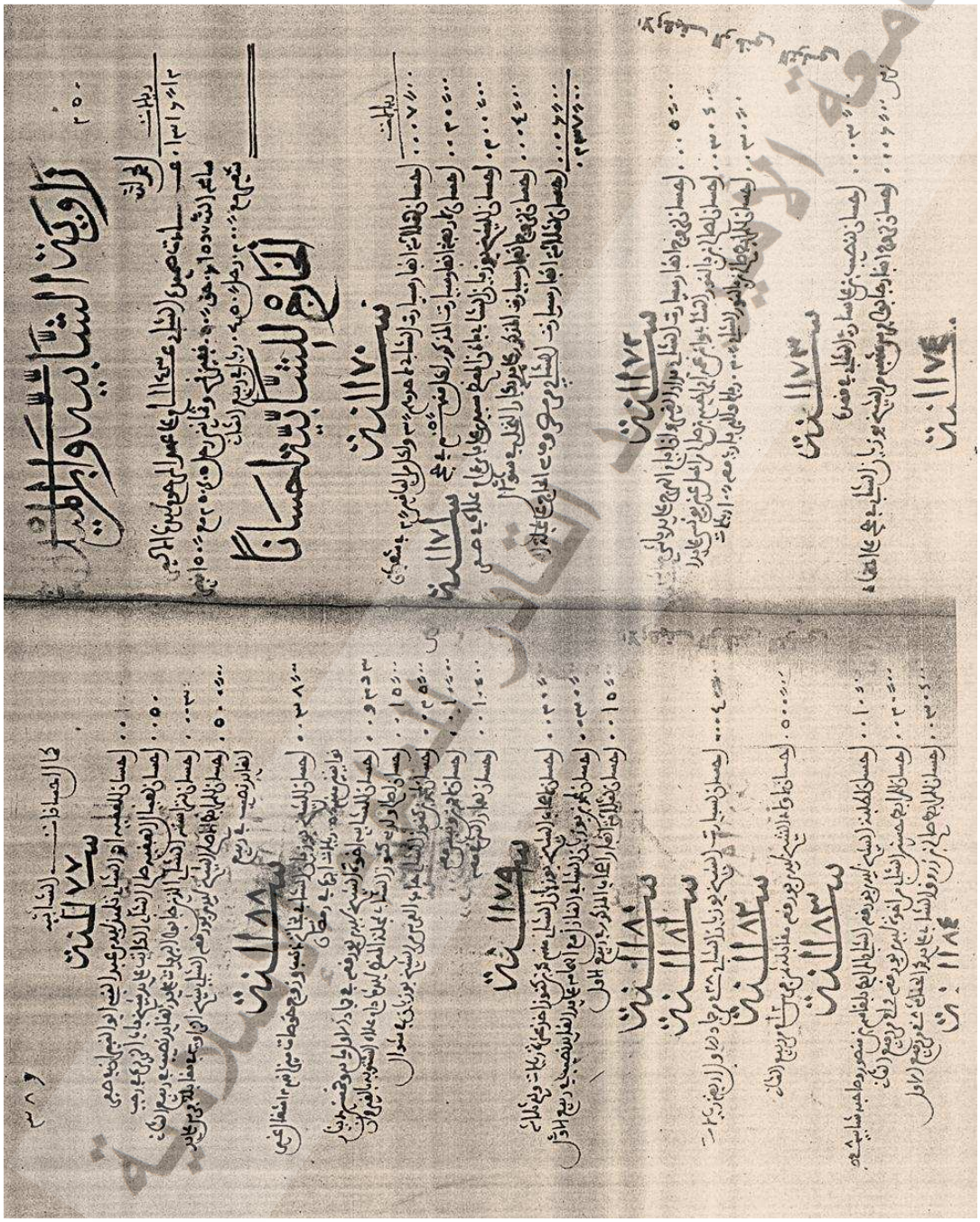

الدفتر الجبائي رقم 2144 (أ.و.ت)

ملحق رقم (09): نسخة بالأموال التي وزعت من بايات تونس على موطن الجزائر على رأسها الحنانشة (1191هـ/1771م- 1197هـ/1784م)

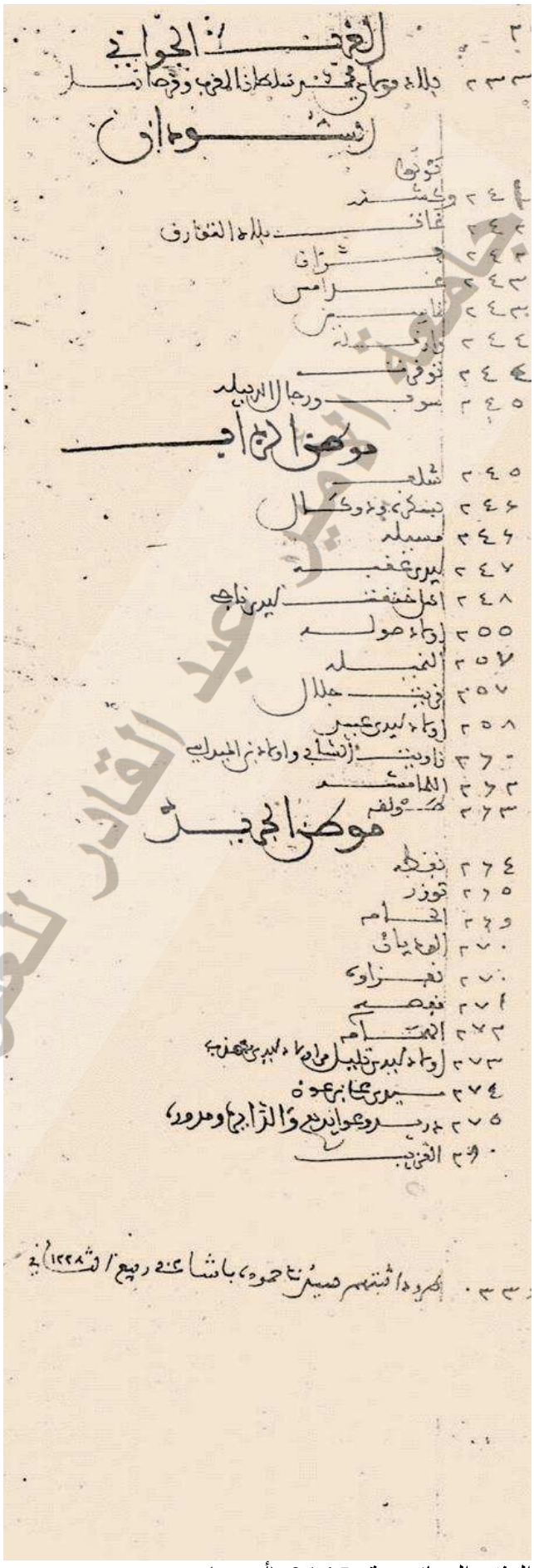

الدفتر الجبائي رقم 2145 (أ.و.ت)

ملحق رقم (10): نسخة بالإحسانات التي كان يرسل بها بايات تونس لقسنطينة (1171هـ/1758م-1190هـ/1776م)

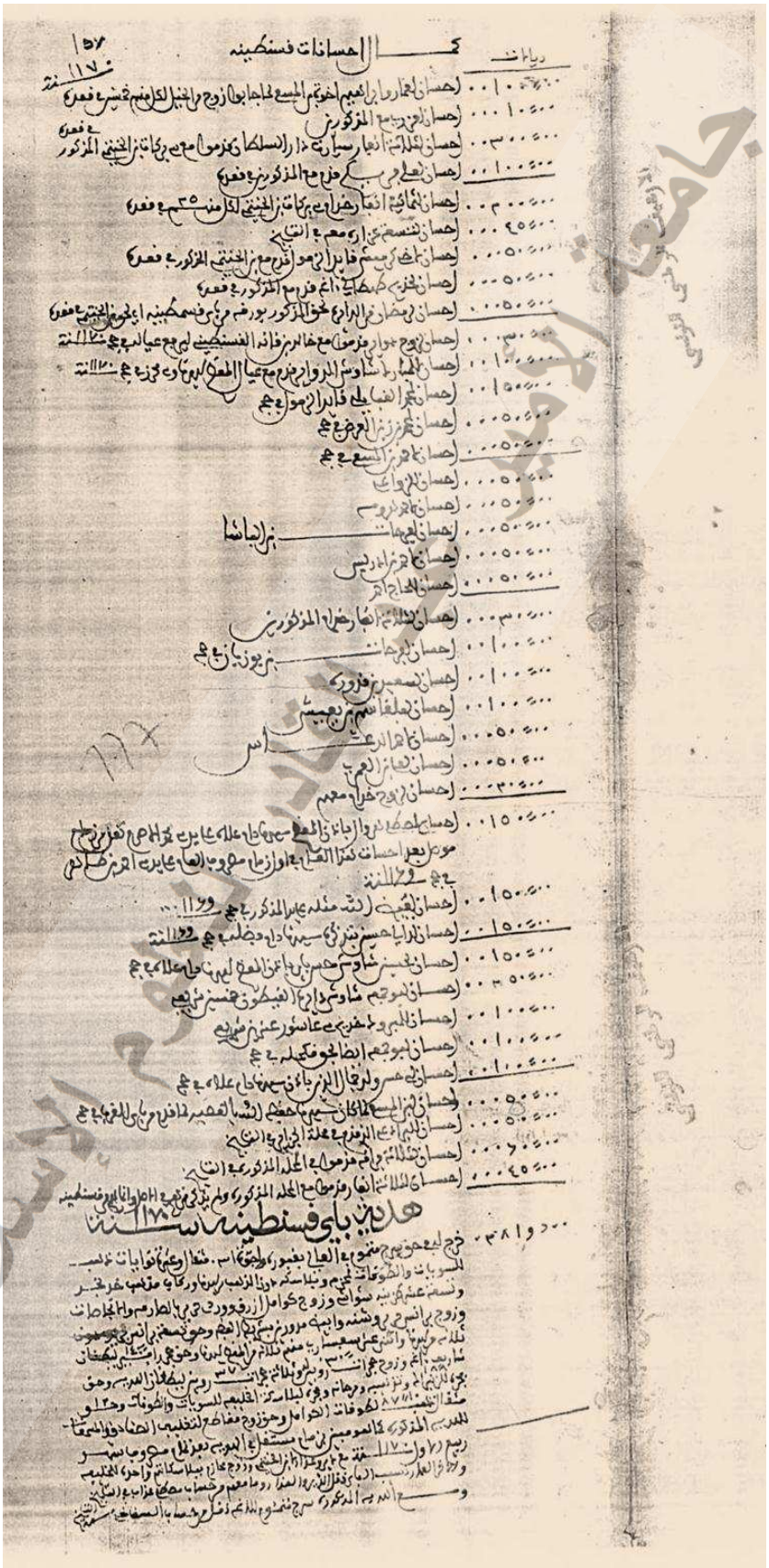

الدفتر الجبائي رقم 2144 (أ.و.ت)

ملحق رقم(11): نسخة من بيان مداخيل إيالة تونس، وقد أحصيت الحنانشة كواحدة من مصادر هذه المداخيل (1187هـ/1773-1192هـ/1779م)

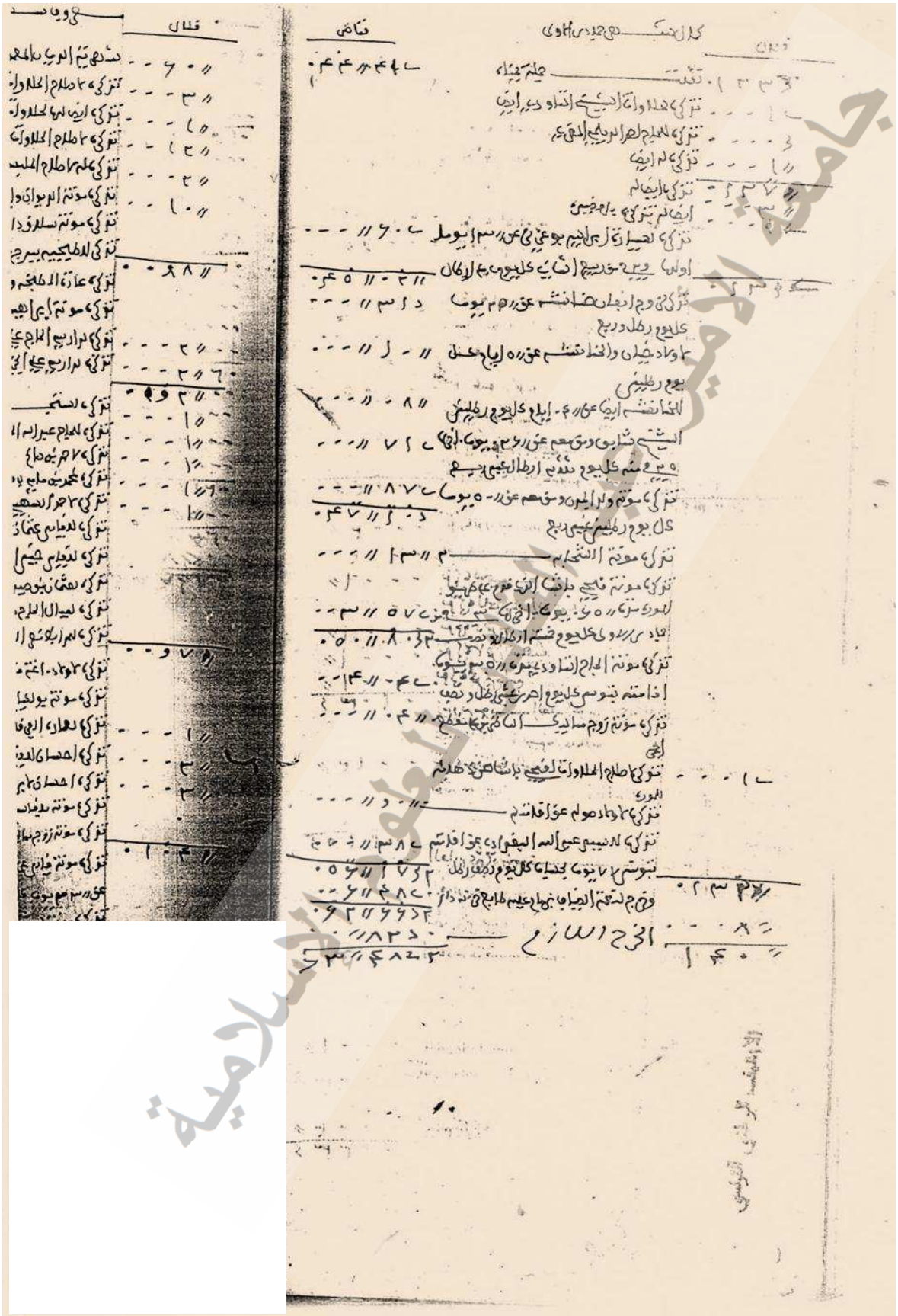

الدفتر الجبائي رقم 2070 (أ.و.ت)

ملحق رقم (12): نسخة من سجل أنشطة تجارية تمت بين تونس والجزائر (1181هـ/1767م-1182هـ/1769م)

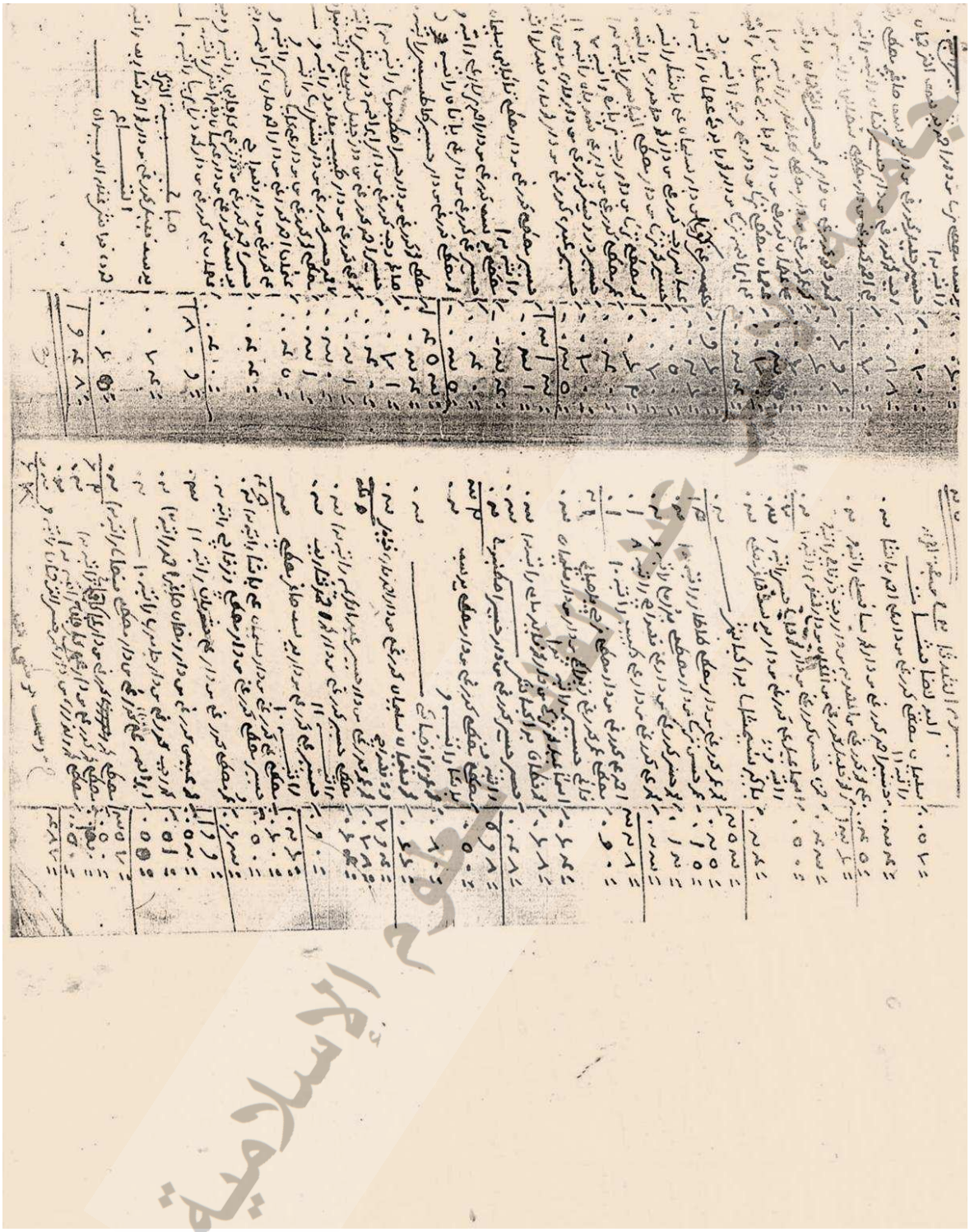

الدفتر الجبائي رقم 1769 (أ.و.ت)

ملحق رقم (13): نسخة من رسالة وجهها محمد الصغير بن عبد الرحمن إلى لخضر قائد أولاد بوغانم حول بيع مهرة وطلب الانتباه على القافلة بتاريخ 1163هـ/1745م

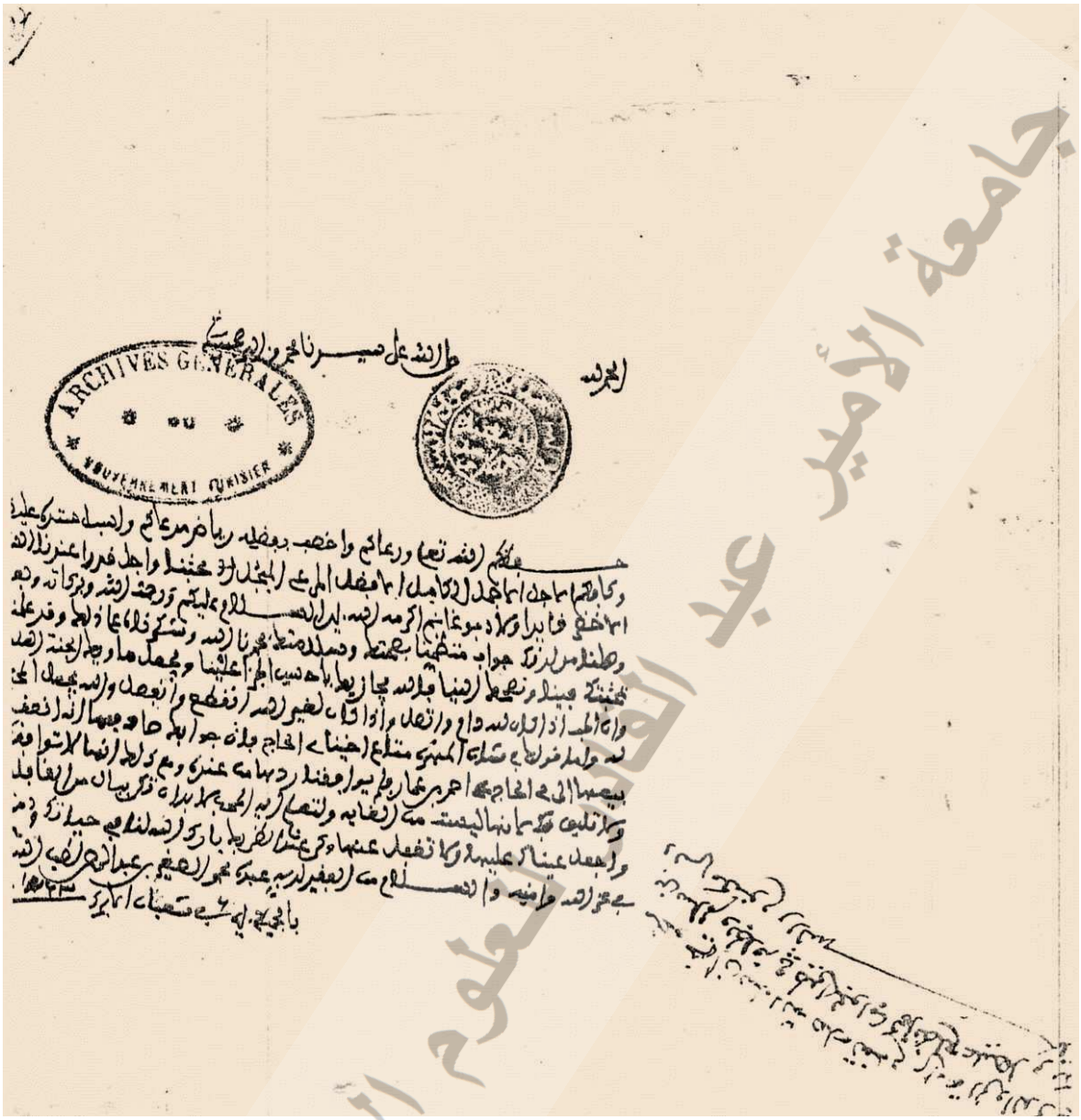

ملف العلاقات التونسية الجزائرية H /223/384/01 (أ.و.ت)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم (14): نسخة من رسالة وجهها أحمد باي إلى وكيل الباستيون لحمايته من هجمات القبائل.1177هـ/ 1764م

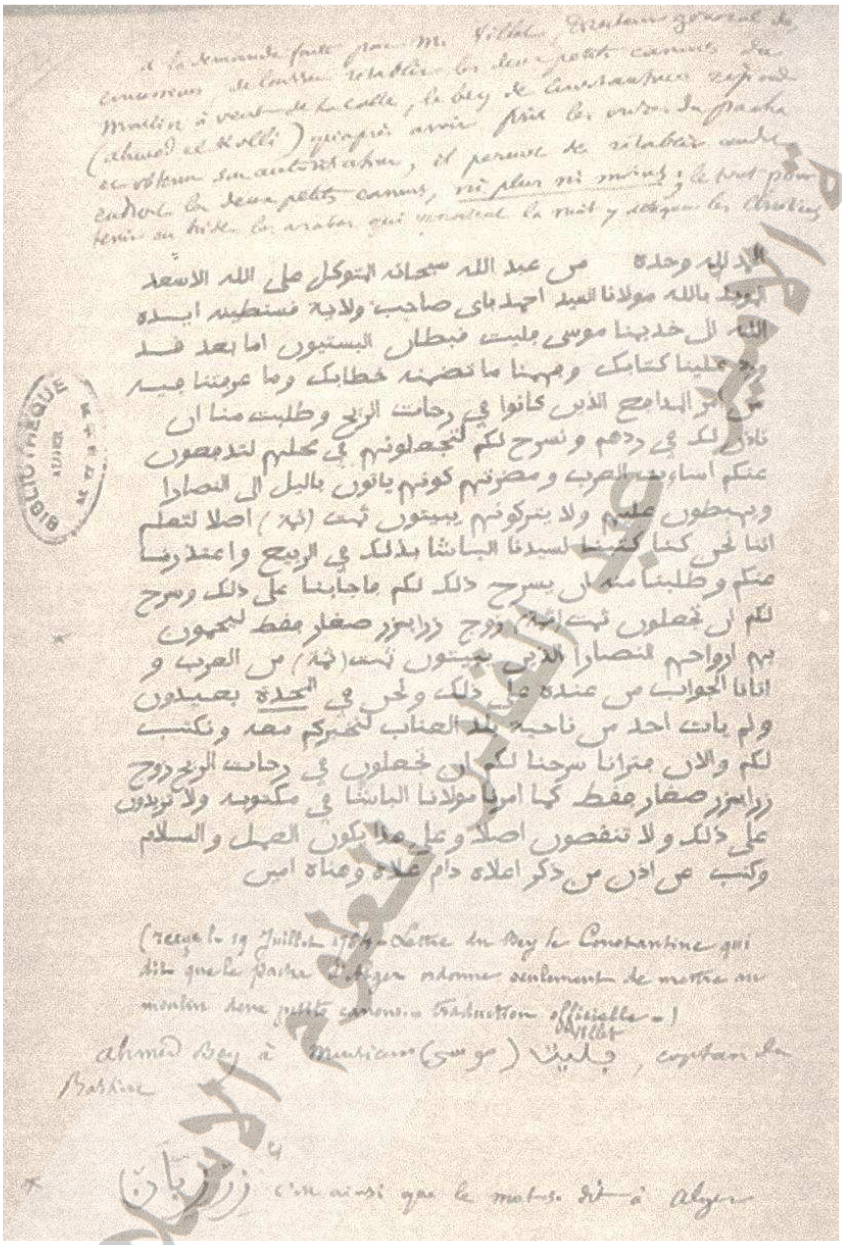

المجموعة 1641 الوثيقة رقم 32 (م.و.ج)

ملحق رقم (15): نسخة لتذكرة أرسل بها أحمد باي قسنطينة للسيد علي باي تونس على أنه وصله مبلغ 246087 ريال كخراج لقسنطينة بتاريخ 1182هـ/1766م

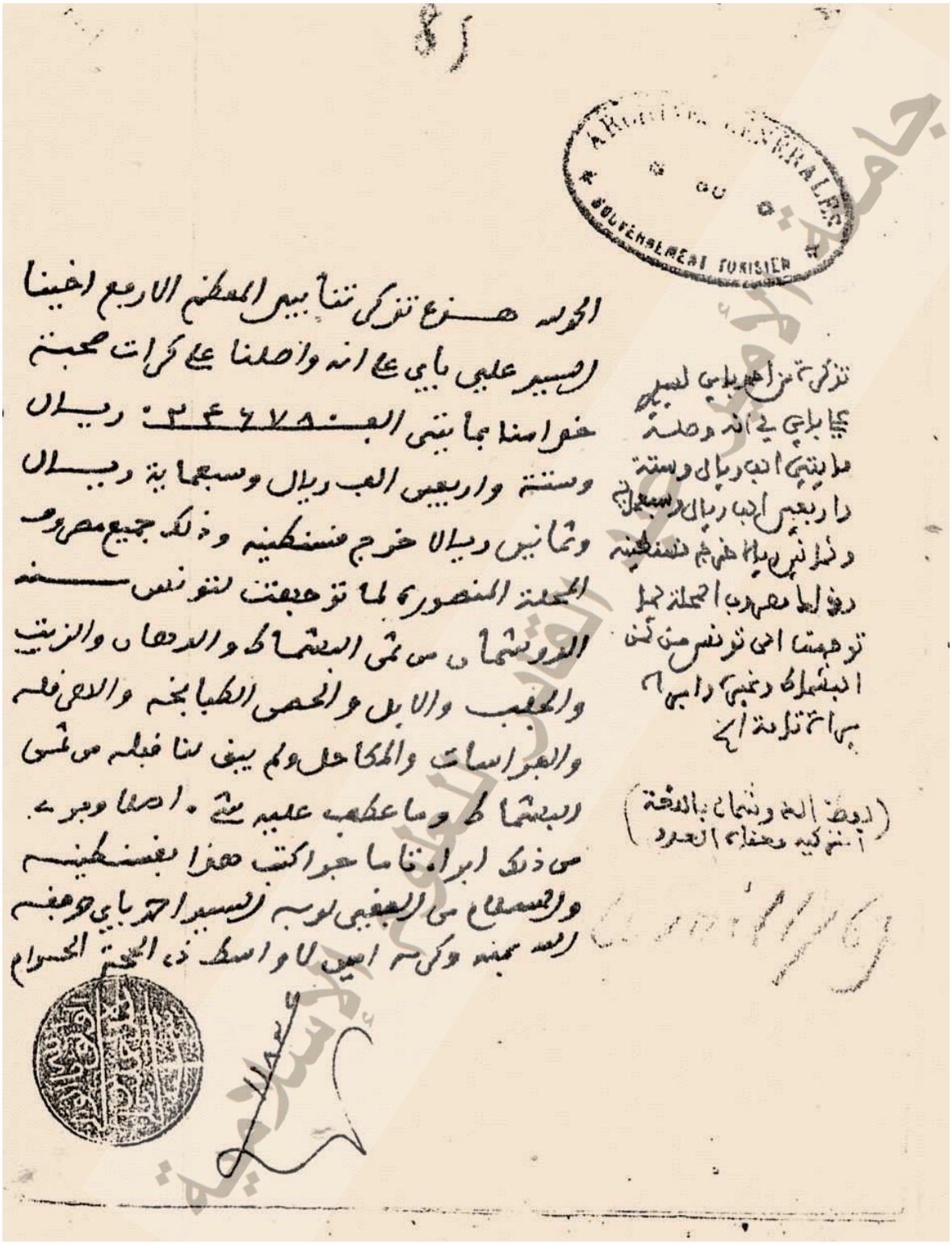

ملف العلاقات التونسية الجزائرية H /223/384/01 (أ.و.ت)

ملحق رقم (16): نسخة من رسالة وجهها حسين القزاز وكيل طبرقة إلى وكيل باستيون عام 1187هـ/1771م، حول معاملات تجارية كانت تتم بين الطرفين.

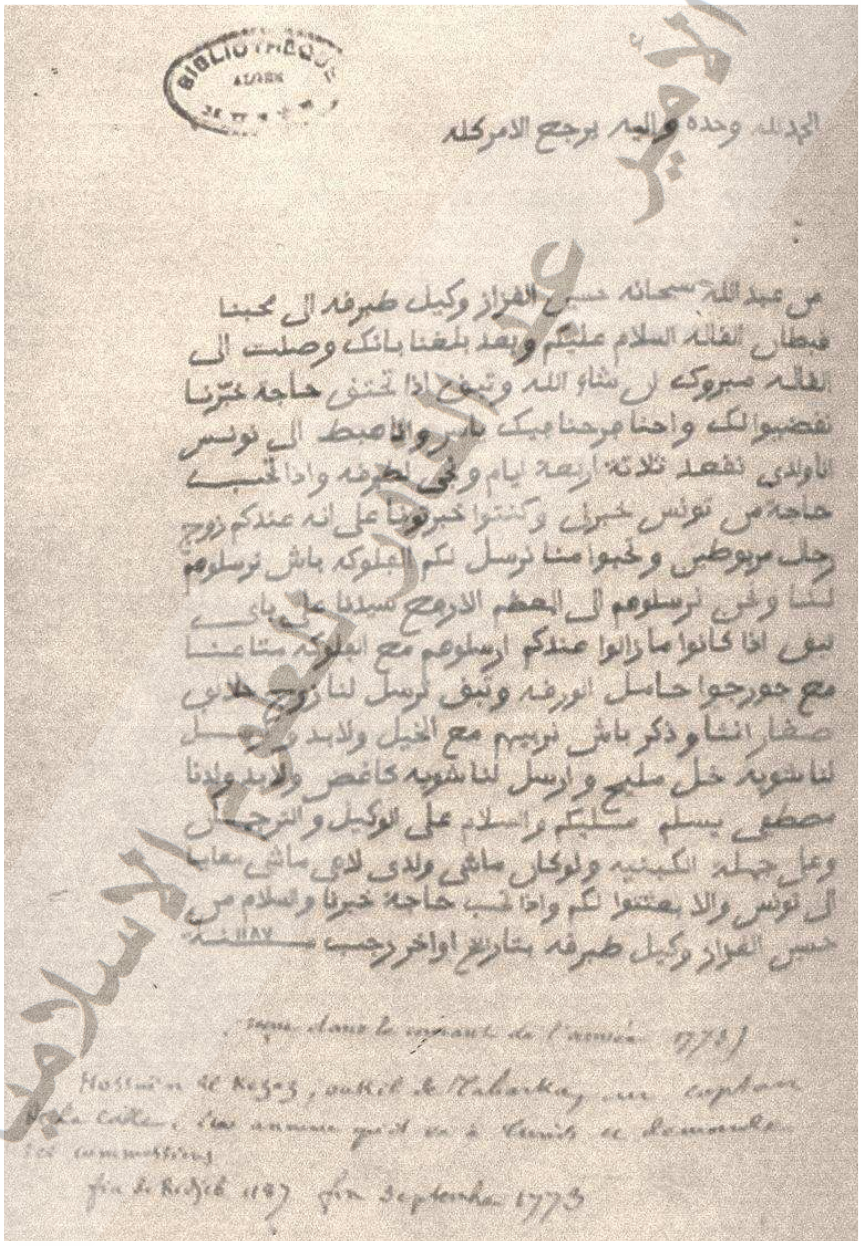

المجموعة 1641 الوثيقة رقم 45 (م.و.ج)

ملحق رقم (17): نسخة من رسالة وجهها صالح باي إلى وكيل الباستيون بتاريخ 1189هـ/ 1773م تتضمن حرص الباي على تدفق السلع والبضائع التي تنقلها القبائل المجاورة للباستيون

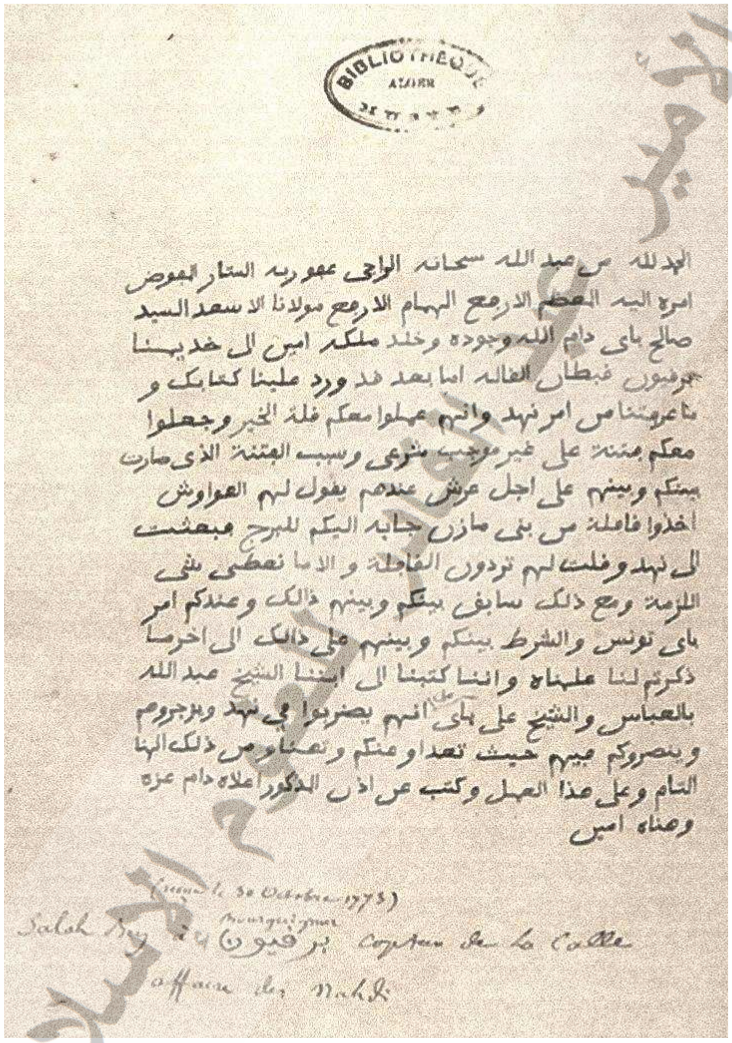

المجموعة 1641 الوثيقة رقم 44 (م.و.ج)

ملحق رقم (18): نسخة من رسالة وجهها صالح باي إلى وكيل الباستيون بتاريخ 1197هـ/ 1781م حول تعمير سوق القالة التي يقصدها القبائل المجاورة والقائمين على الباستيون.

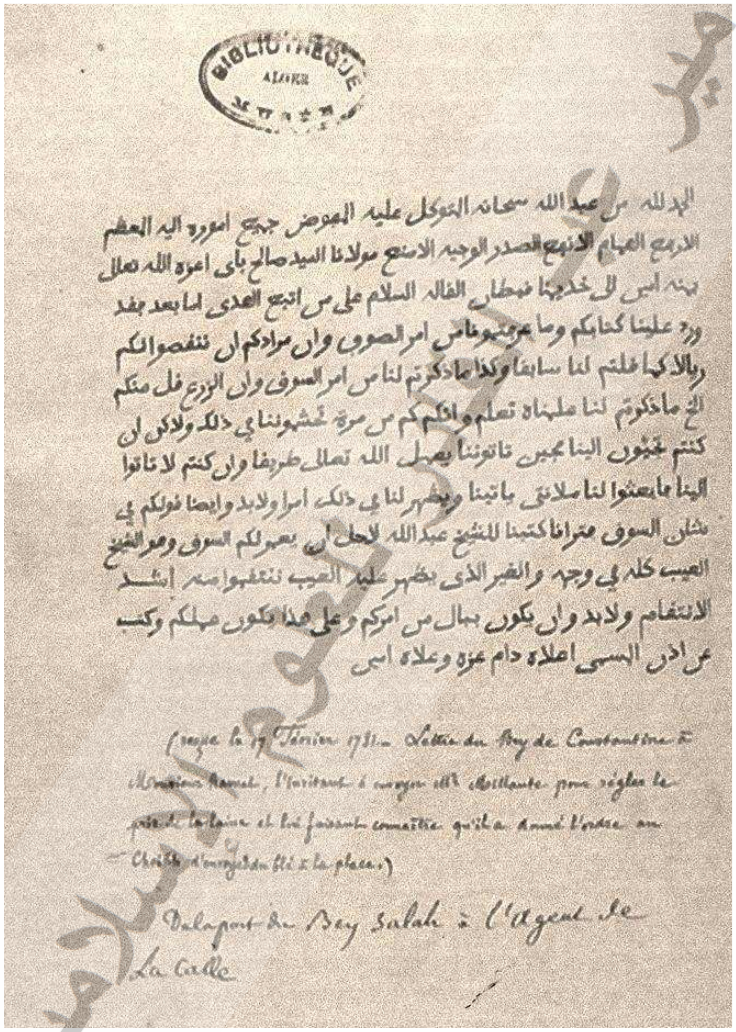

المجموعة 1641 الوثيقة رقم 72 (م.و.ج)

ملحق رقم (19): نسخة من رسالة وجهها الشيخ أحمد الباهي بن الحاج عبد الله إلى وكيل الباستيون للبقر، وتسديد بعض الديون.1200هـ/ 1784م

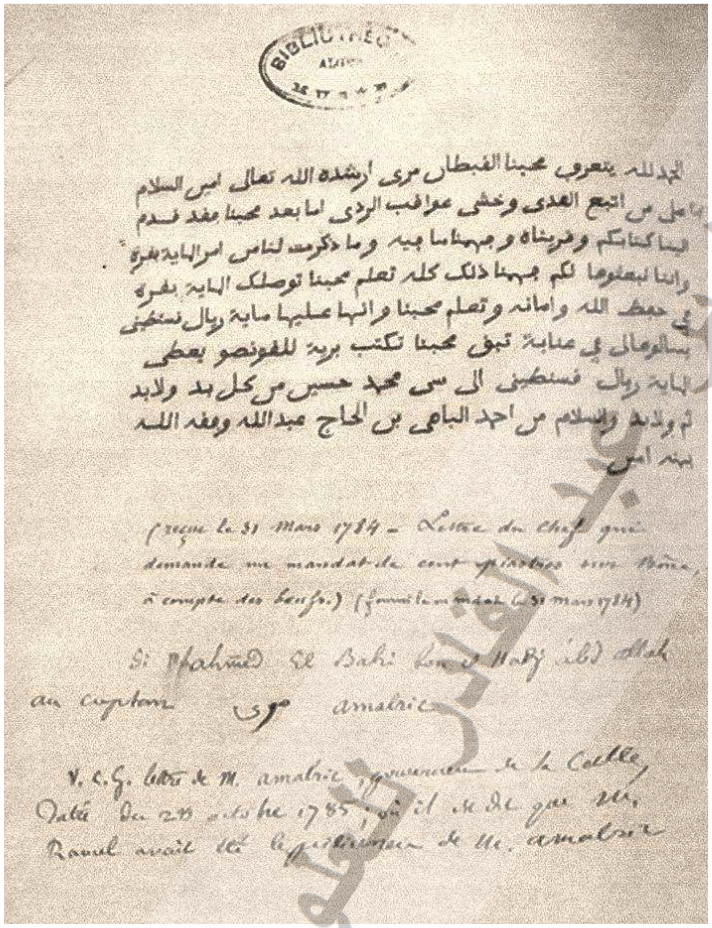

المجموعة 1641 الوثيقة رقم 79 (م.و.ج)

ملحق رقم (20): نسخة من رسالة وجهها صالح باي إلى وكيل الباستيون بتاريخ 1203هـ/1787م يمنع فيها القائمين عليه بشراء قمح الحنانشة.

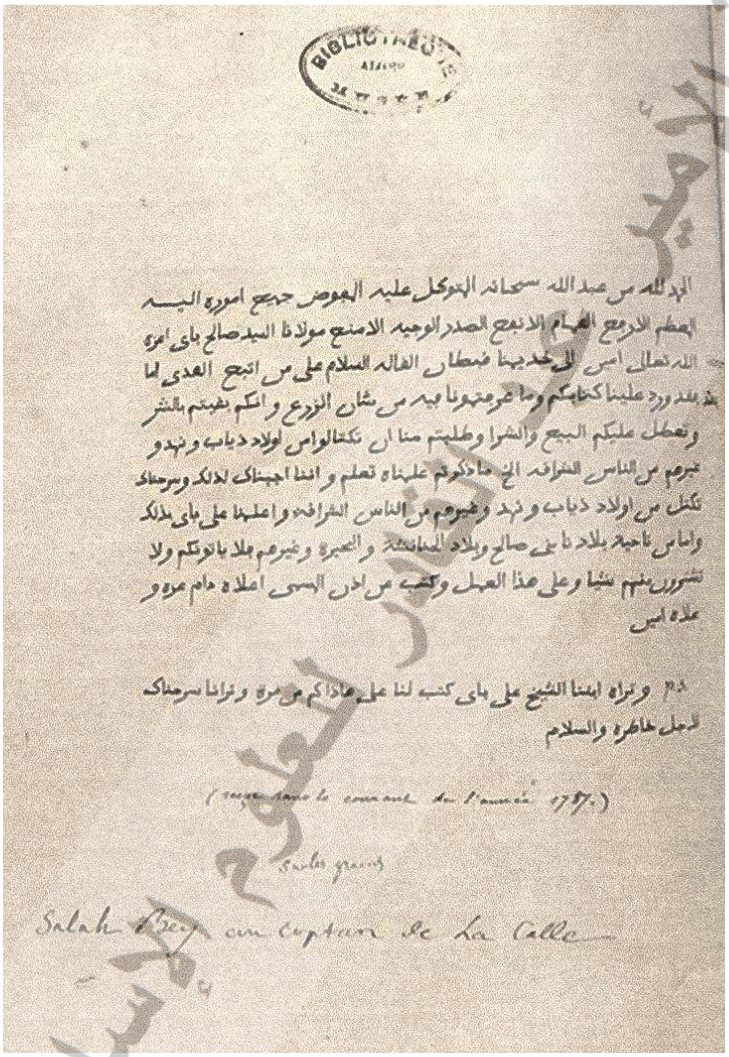

الحمد لله من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع اموره اليه
المعظم الوجيه الهمام الانجح الصدر الوجيه الاصنع مولانا السيد صالح باي امره
الله تعالى امين الى خديمنا قبطان القالة السلام على من اتبع الهدى لما
بعد ورد علينا كتابكم وما عرفتمونا فيه من شان الزرع وانكم نهيتم بالنشر
وتعطل عليكم البيع والشرا وطلبتم منا ان نكتالوا من اولاد ذياب ونهدو
غيرهم من الناس الشرافه الخ ماذكرتم علمناه تعلم وانا اجبناك لذلك وبرخناك
تكتل من اولاد ذياب ونهد وغيرهم من الناس الشرافه واعلمنا على باي بذلك
واما من ناحية بلادنا على صالح وبلاد الحنانشة والصيرة وغيرهم بلا باتوكلم ولا
تشورون منهم شيا وعلى هذا العمل وكتب من اخر المسمى اعلاه دام عزه و
عذه امين

P.S. وتراه ايمنا الشيخ على باي كتب لنا على هذا كم من مرة وترانا سرحناك
لاجل خاطره والسلام

(Traduit dans le courant de l'année 1787.)

Salah Bey

Salah Bey au Capitaine de La Calle

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المجموعة 1641 الوثيقة رقم 87 (م.و.ج)

ملحق رقم (21): نسخة لتذكرة من عثمان باي موجهة للحاج مالك الوكيل عل أنه استلف له على يده من تونس 10 آلاف ريال دورو، بتارخ 1218هـ/1802م

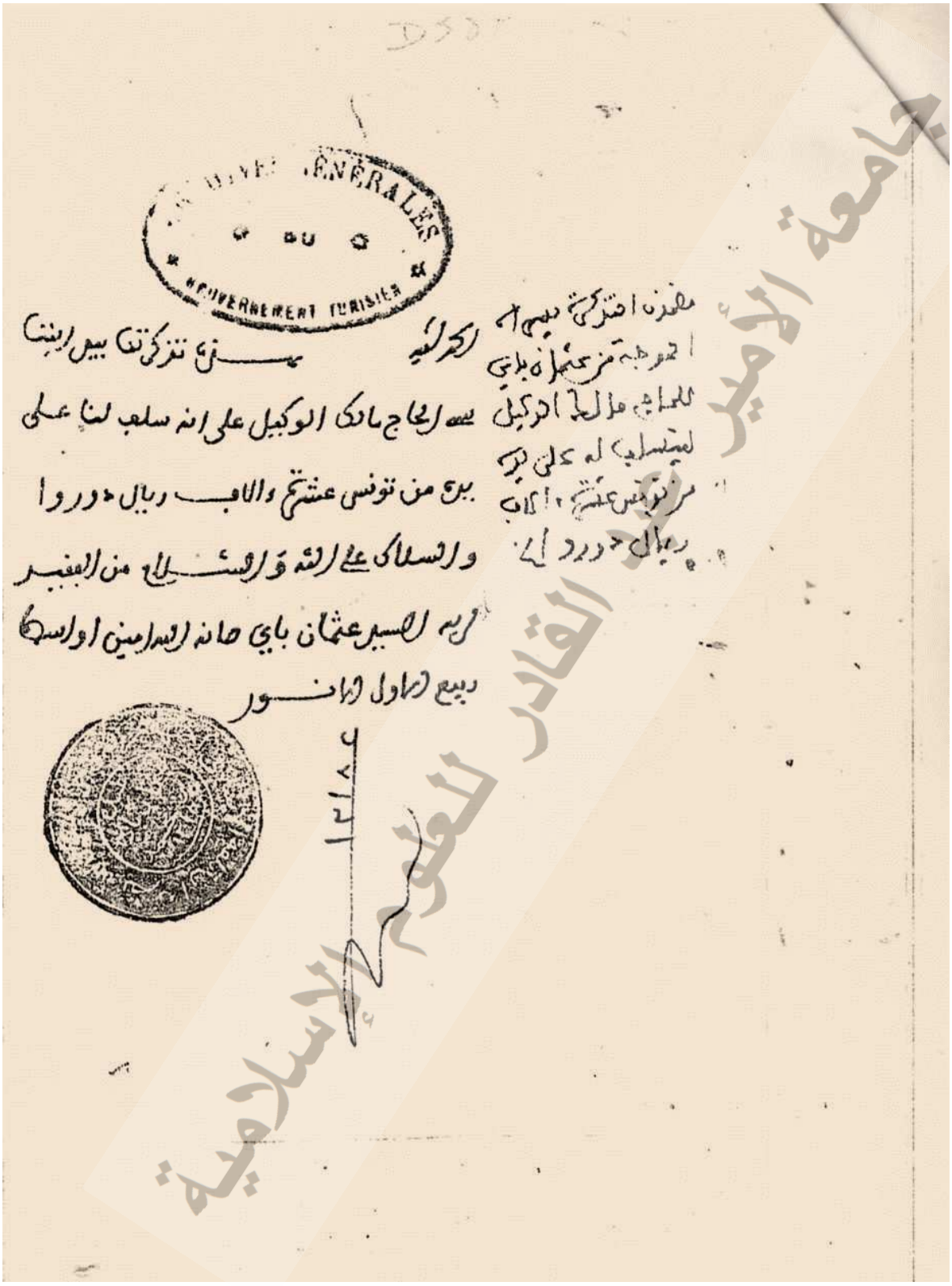

ملف العلاقات التونسية الجزائرية H /223/384/01 (أ.و.ت)

ملحق رقم (22): نسخة من تقرير أعده محمد أحمد قطاف لحسين خوجة باشا مملوك حول الصراع الدائر بين تونس والجزائر المستمر حول الخراج الذي يفرضه الجزائريون على التونسيين وما يخلص إليه الاتفاق في كل مرة بتاريخ 1236هـ/ 1820م

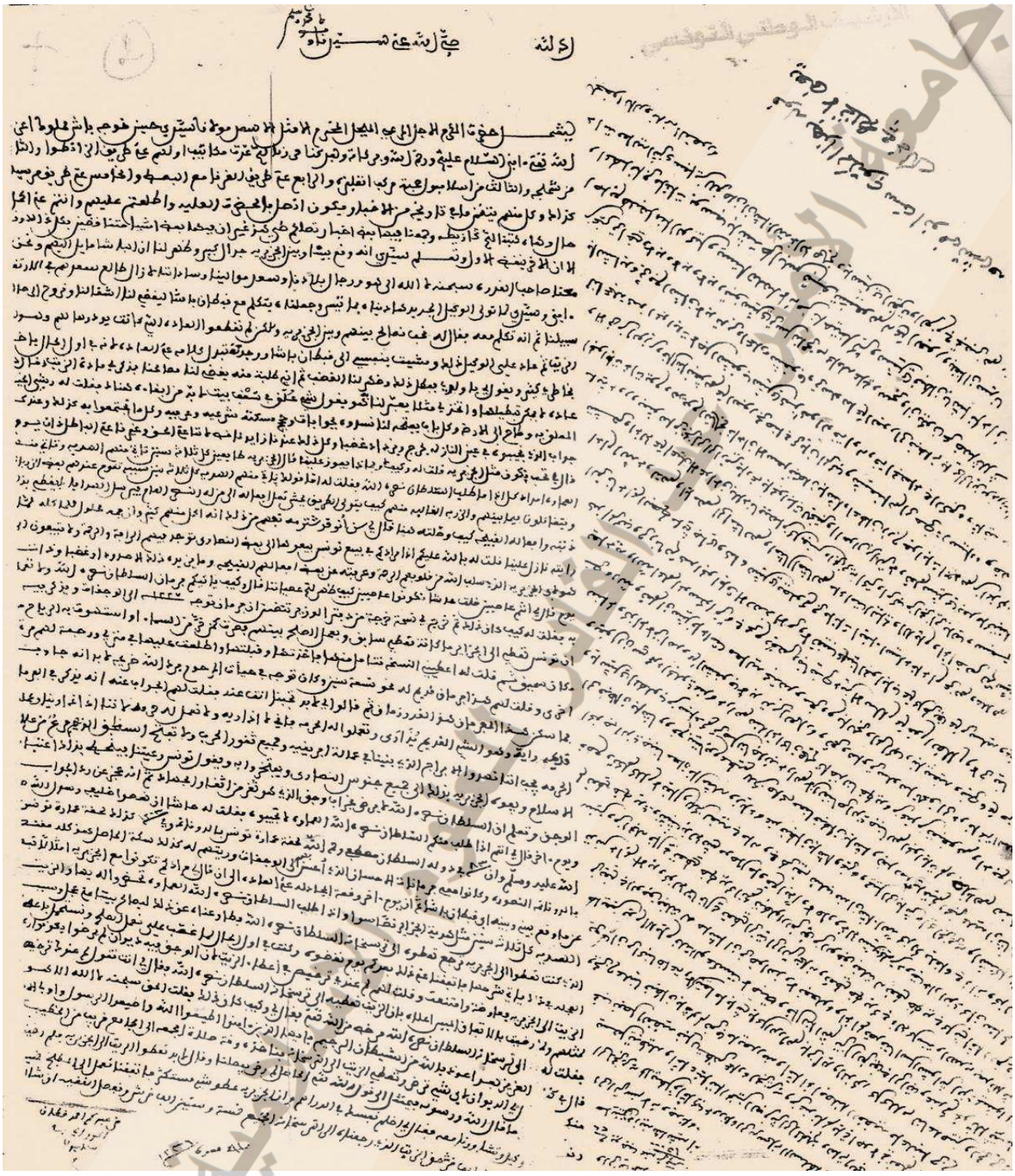

ملف العلاقات التونسية الجزائرية H /223/384/01 (أ.و.ت)

ملحق رقم (23): نسخة من رسالة وجهها أحمد باي إلى حسين باي تونس يعلمه برجل إسمه الشوبان عليه دين لرعايا جزائريين، بتاريخ 1237هـ /1821م

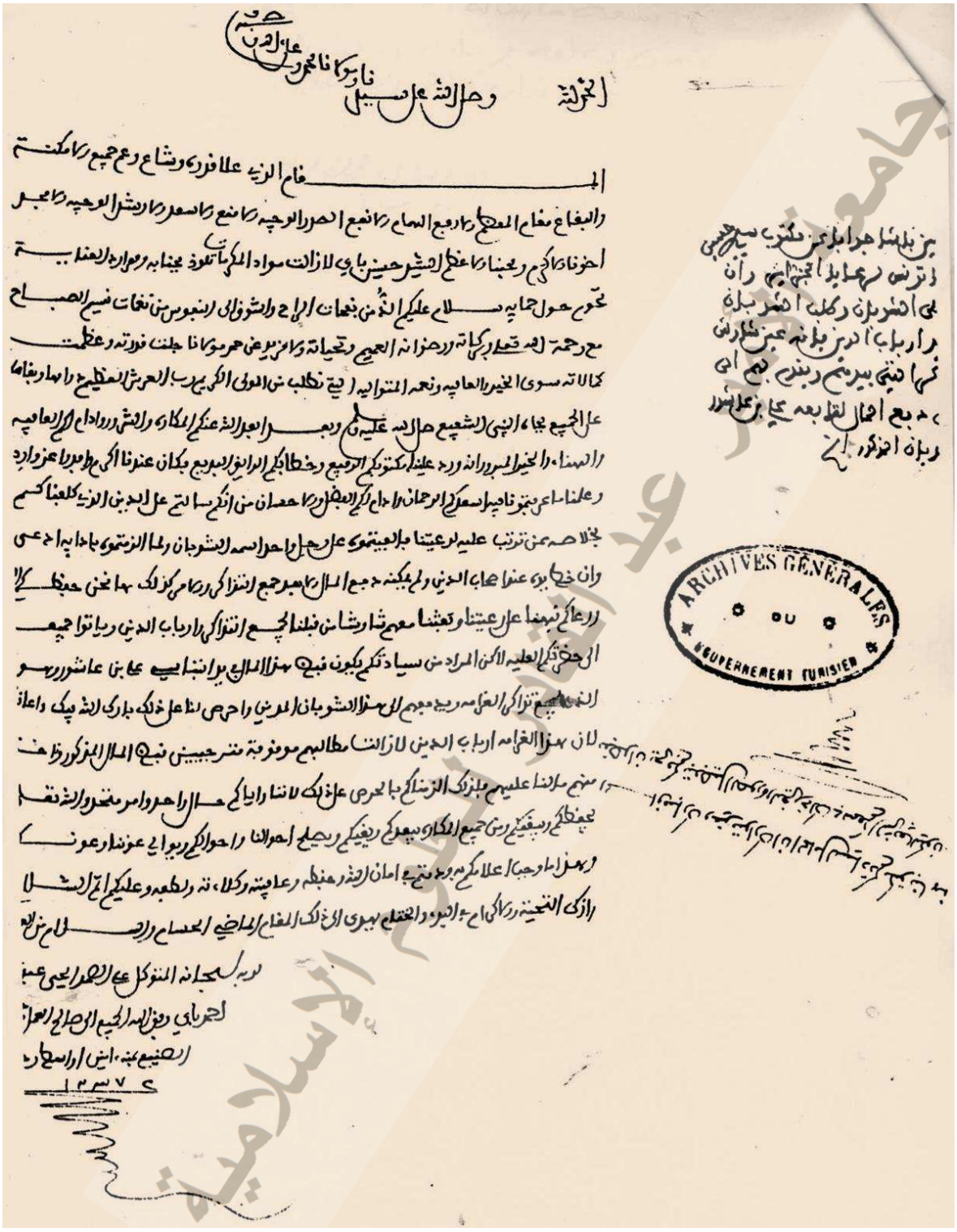

ملف العلاقات التونسية الجزائرية H /223/384/01 (أ.و.ت)

ملحق رقم (24): نسخة من مكتوب وجهه محمد باي إلى السيد حسين باشا باي تونس يعلمه بإغارة الهمامة دوارين من غريب تبسة أين قتلوا ونهبوا ويطلب منه رد ما نهب بتاريخ 1241هـ/1825م

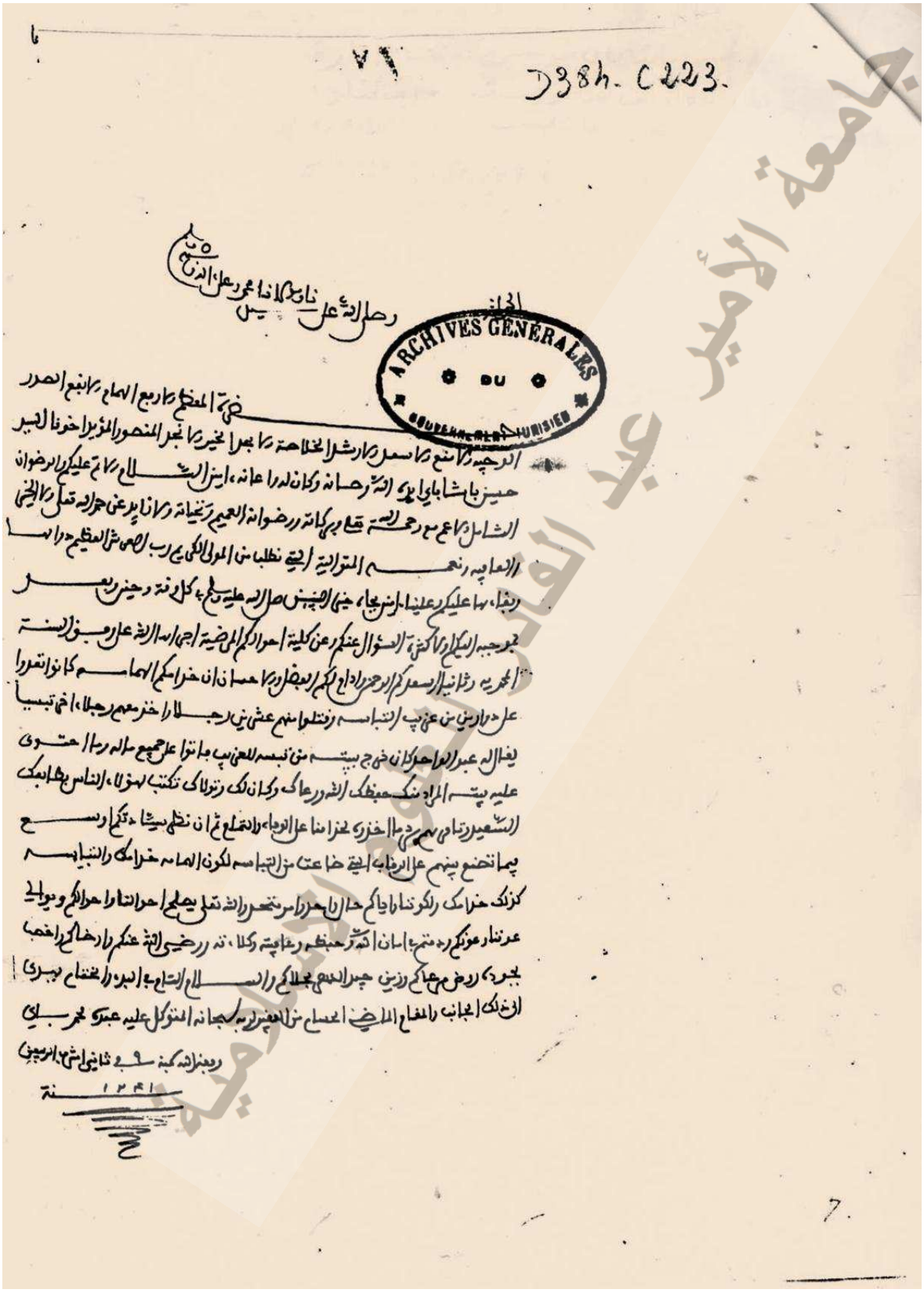
D38h. C223.
ARCHIVES GÉNÉRALES
DU
GOUVERNEMENT TUNISIEN

ملف العلاقات التونسية الجزائرية H /223/384/01 (أ.و.ت)

ملحق رقم (25): نسخة من رسالة وجهها الحاج أحمد باي إلى حسين باشا بتاريخ 29 رجب 1826/1242م تتضمن تسلم الباي للغرامة من الحنانشة التي كانت تخزن أموالها بالكاف.

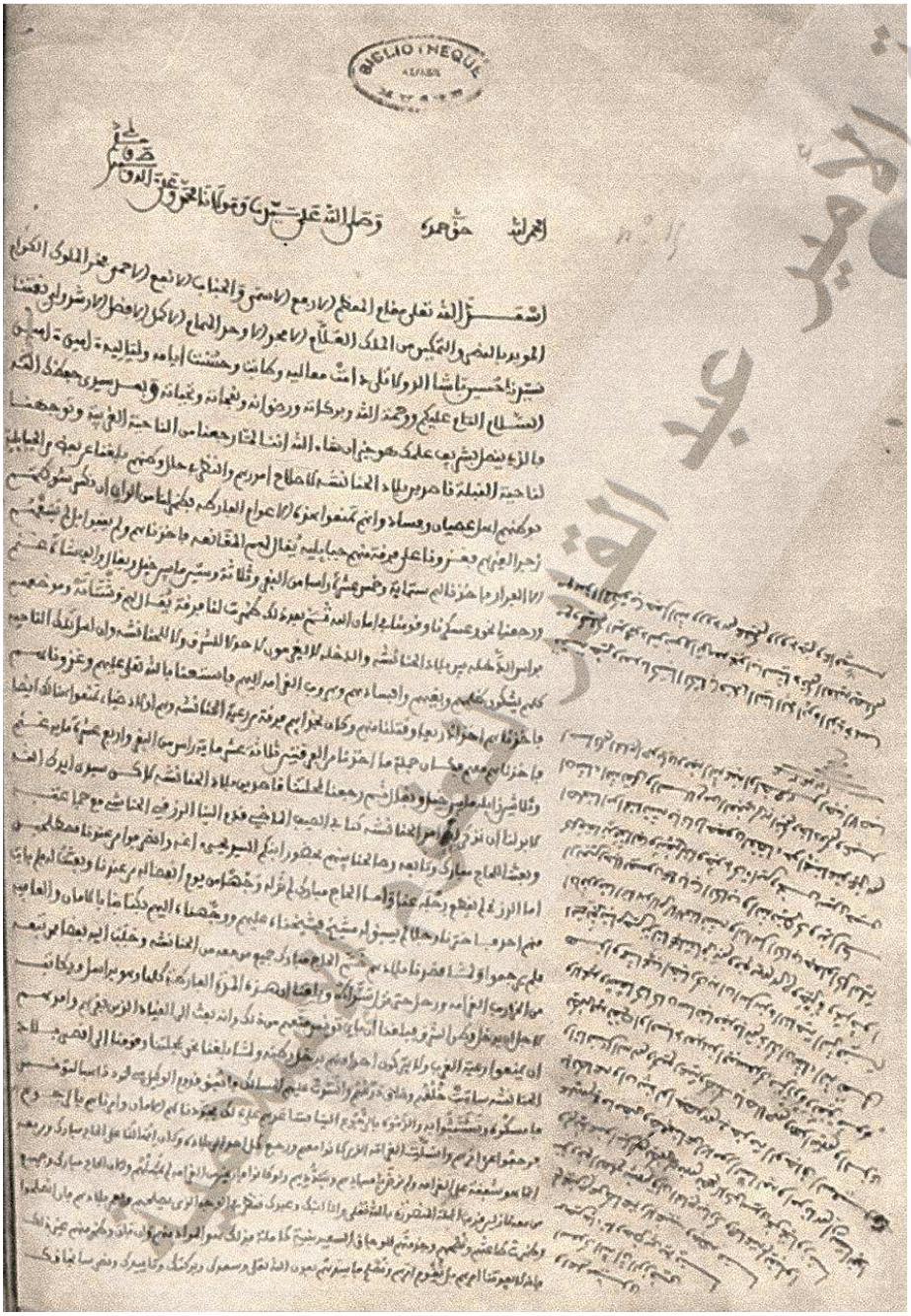

المجموعة 1642 وثيقة رقم 15 (م.و.ج)

ملحق رقم (26): نسخة من رسالة وجهها أحمد باي إلى حسين باي تونس يعلمه فيها أن الحراكتة وغيرهم ترتب لهم ديون على أناس من تونس وتراخوا في دفع هذه الديون والمراد تنبيه هؤلاء الناس أن يدفعوا بتاريخ 1237هـ/ 1821م

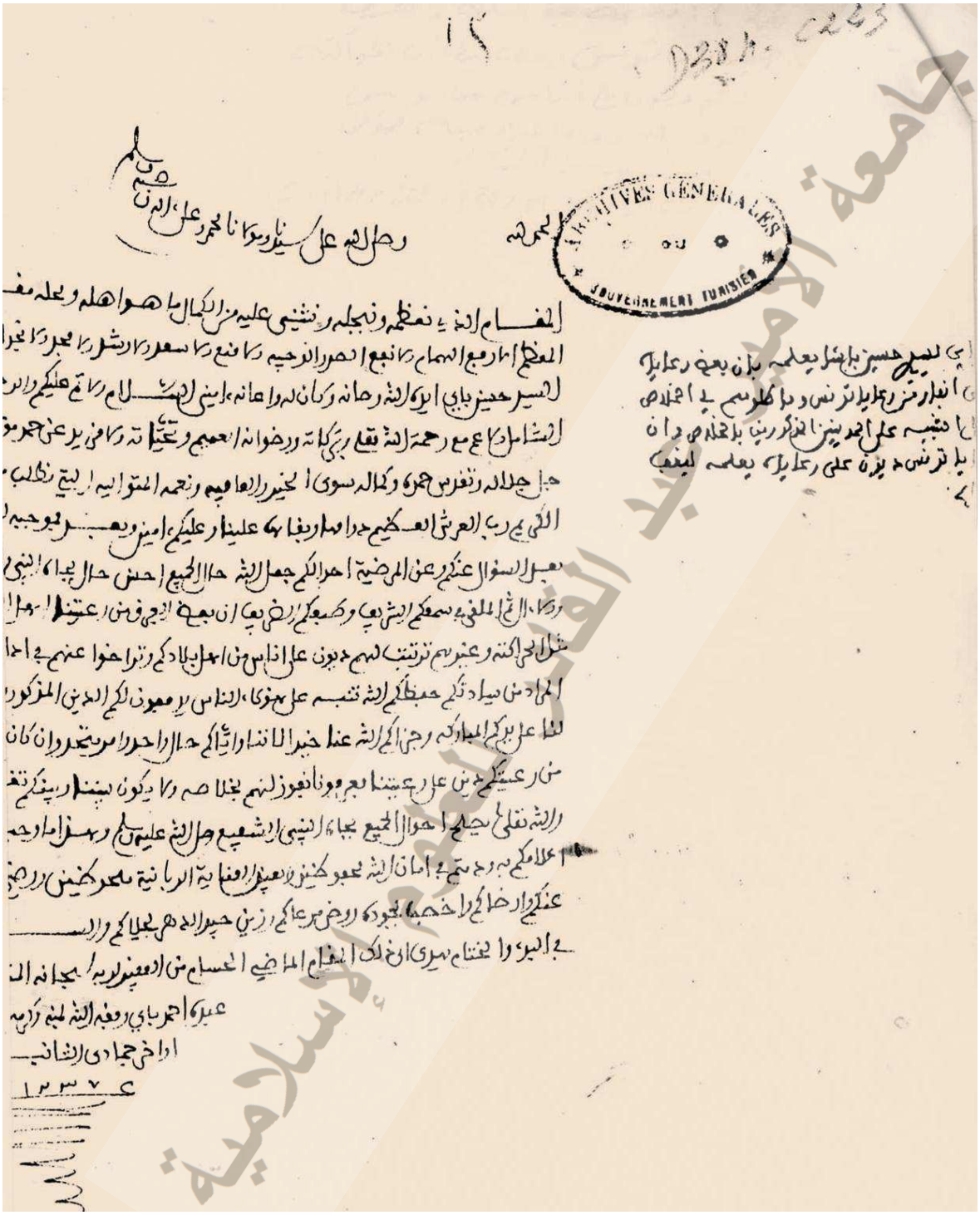

ملف العلاقات التونسية الجزائرية H /223/384/01 (أ.و.ت)

ملحق رقم (27): نسخة لمكتوب من الحاج أحمد باي للقايد سليمان والمشايخ في شأن رعايا الجزائر الفارين إلى إيالة تونس بتاريخ 1243هـ/ 1827م

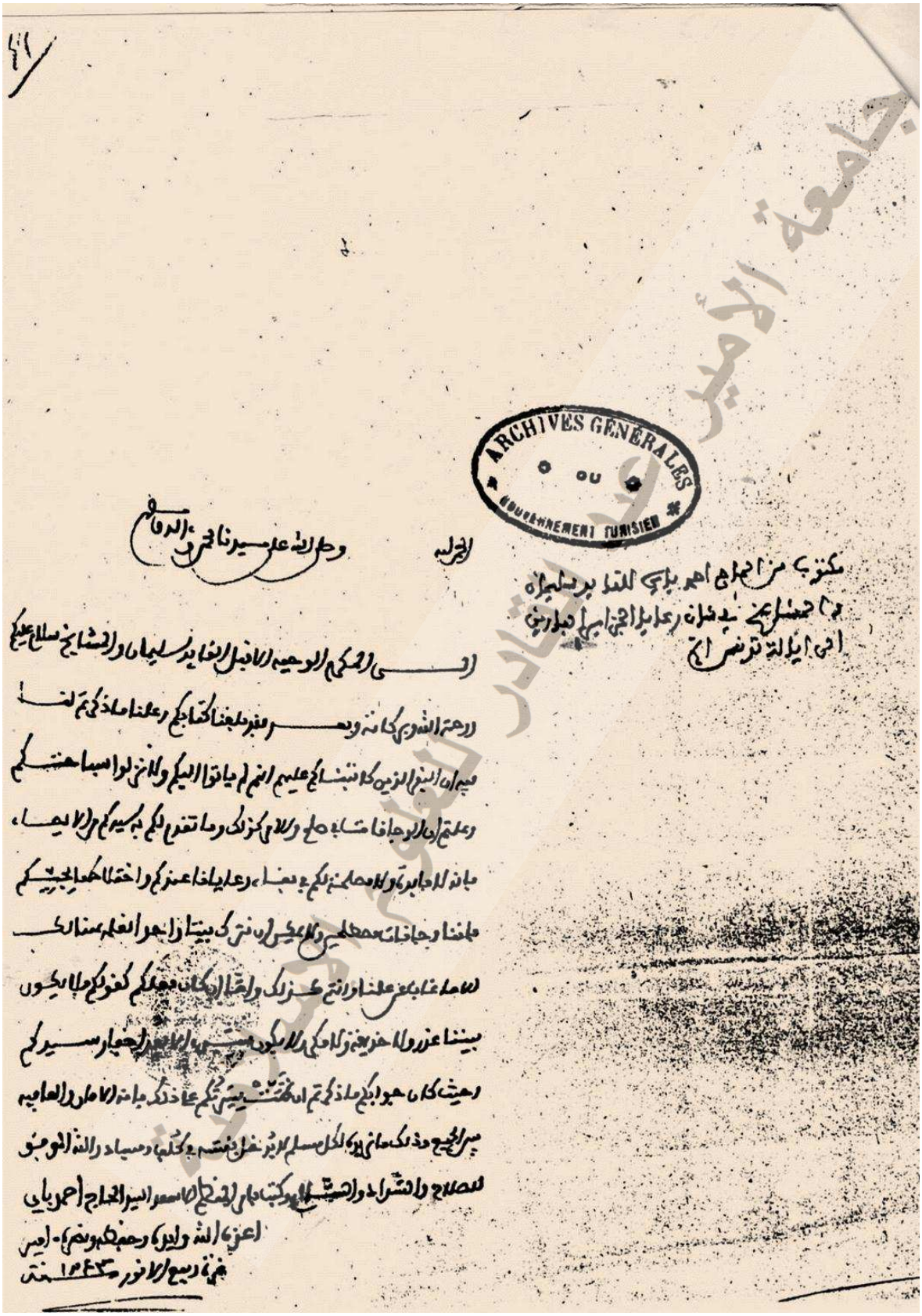
ARCHIVES GÉNÉRALES
OU
GOUVERNEMENT TUNISIEN

ملف العلاقات التونسية الجزائرية H /223/384/01 (أ.و.ت)

ملحق رقم (28): نسخة لرسالة من الحاج أحمد باي إلى السيد على الزغداني عام 1250هـ/ بتعيينه في منصب للقضاء بنجع الحراكتة وأن يحكم بالمذهب المالكي.

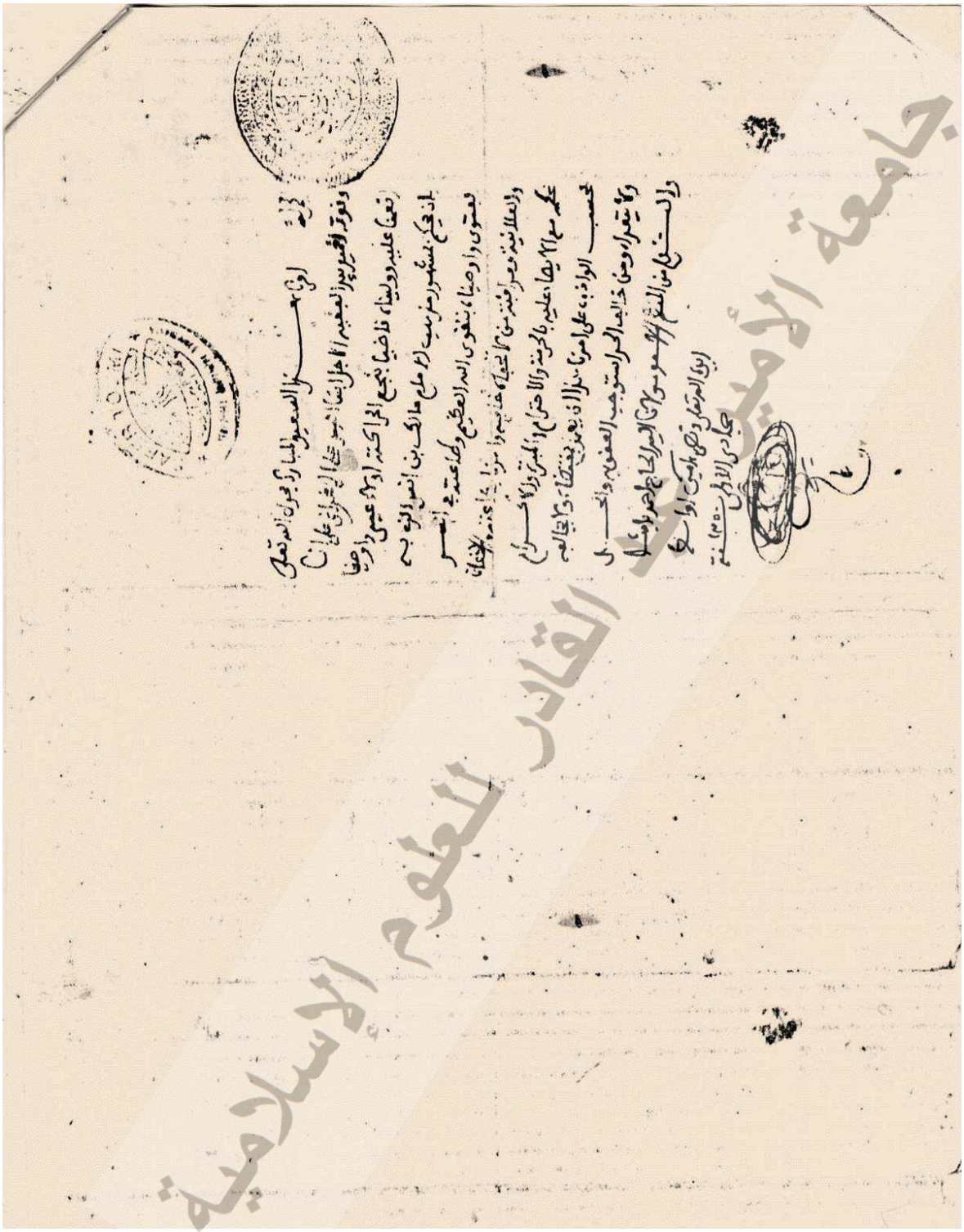

(م.أ.و.ق)

ملحق رقم (29): نسخة من رسالة لأحمد باي إلى مصطفى صاحب الطابع حـــول اعتداءات أولاد بوغانم على رعايا جزائريين وسلبهم إبل وغنم وأثاث وتمر. دون تاريخ.

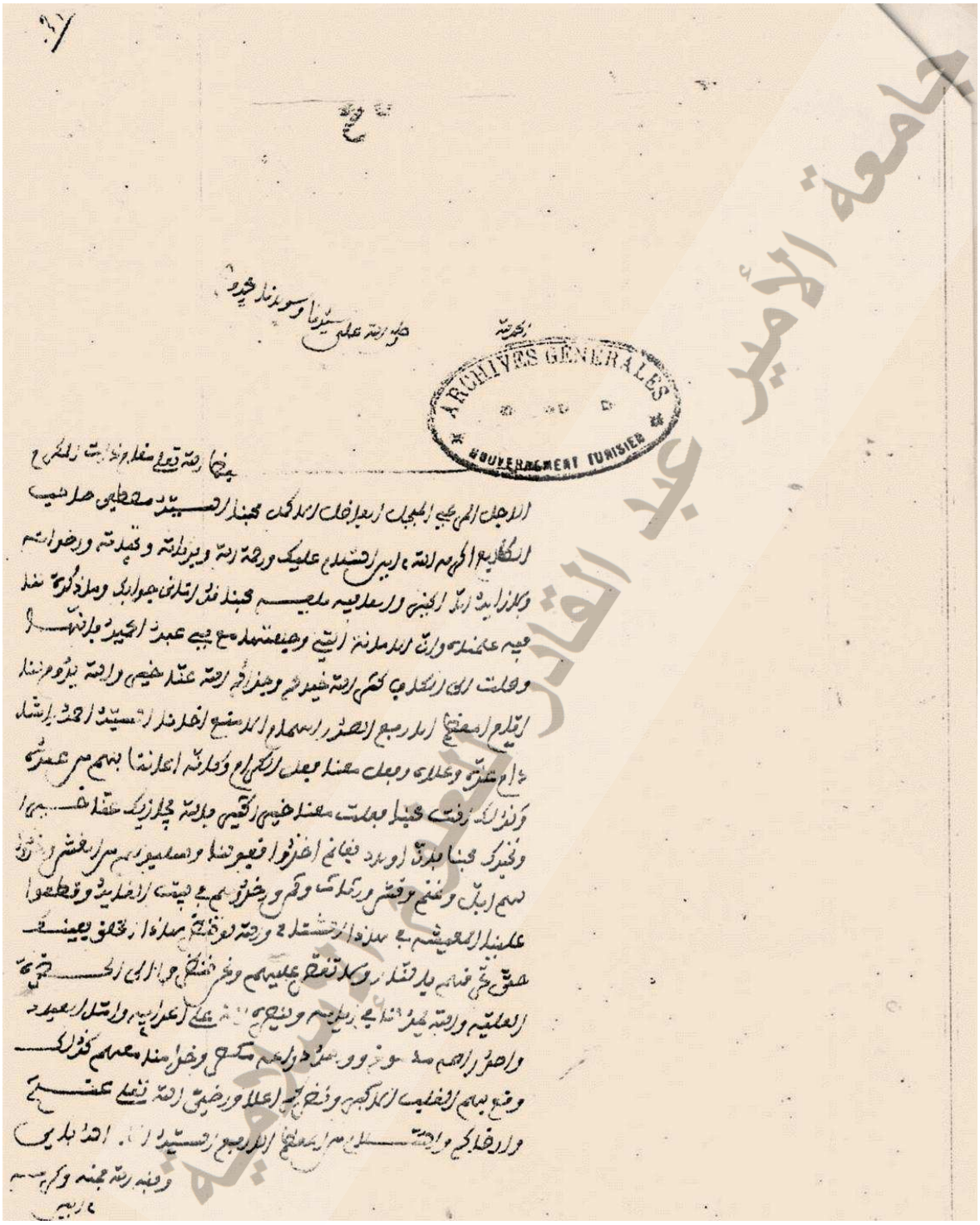
ARCHIVES GÉNÉRALES
GOUVERNEMENT TUNISIEN

ملف العلاقات التونسية الجزائرية H /223/384/01 (أ.و.ت)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم (30): نسخة من بيان خراج تونس لوكيل باي قسنطينة. دون تاريخ

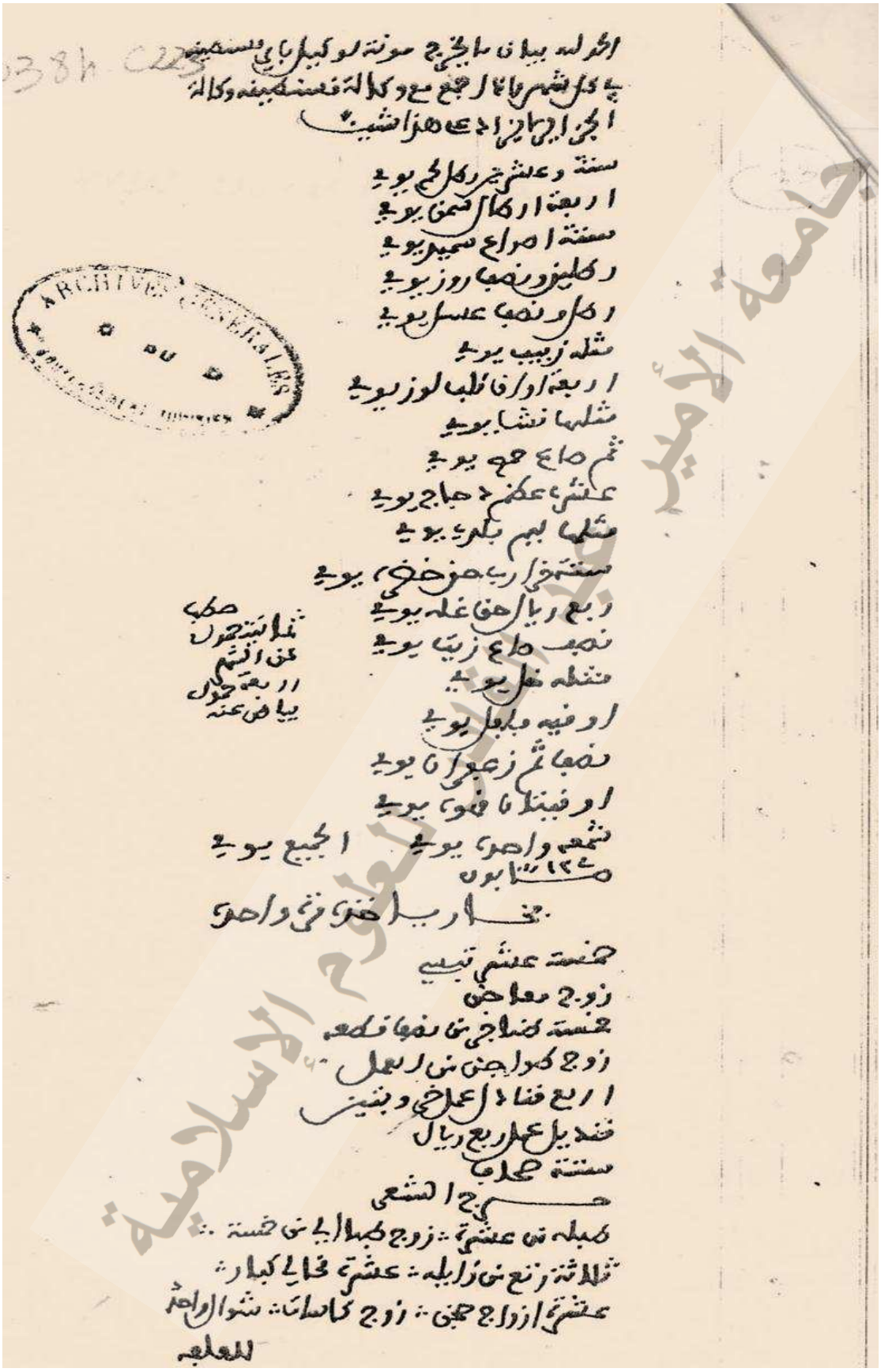

ملف العلاقات التونسية الجزائرية H /223/384/01 (أ.و.ت)

ملحق رقم (31): نسخة من مكتوب وجهه الحاج أحمد باي لقائد الفراشيش وكافة المشايخ يعلمه أن أولاد علي بن يحي وأولاد يحي بن طالب نازلين عندهم ويطلب منه ترحيلهم. دون تاريخ

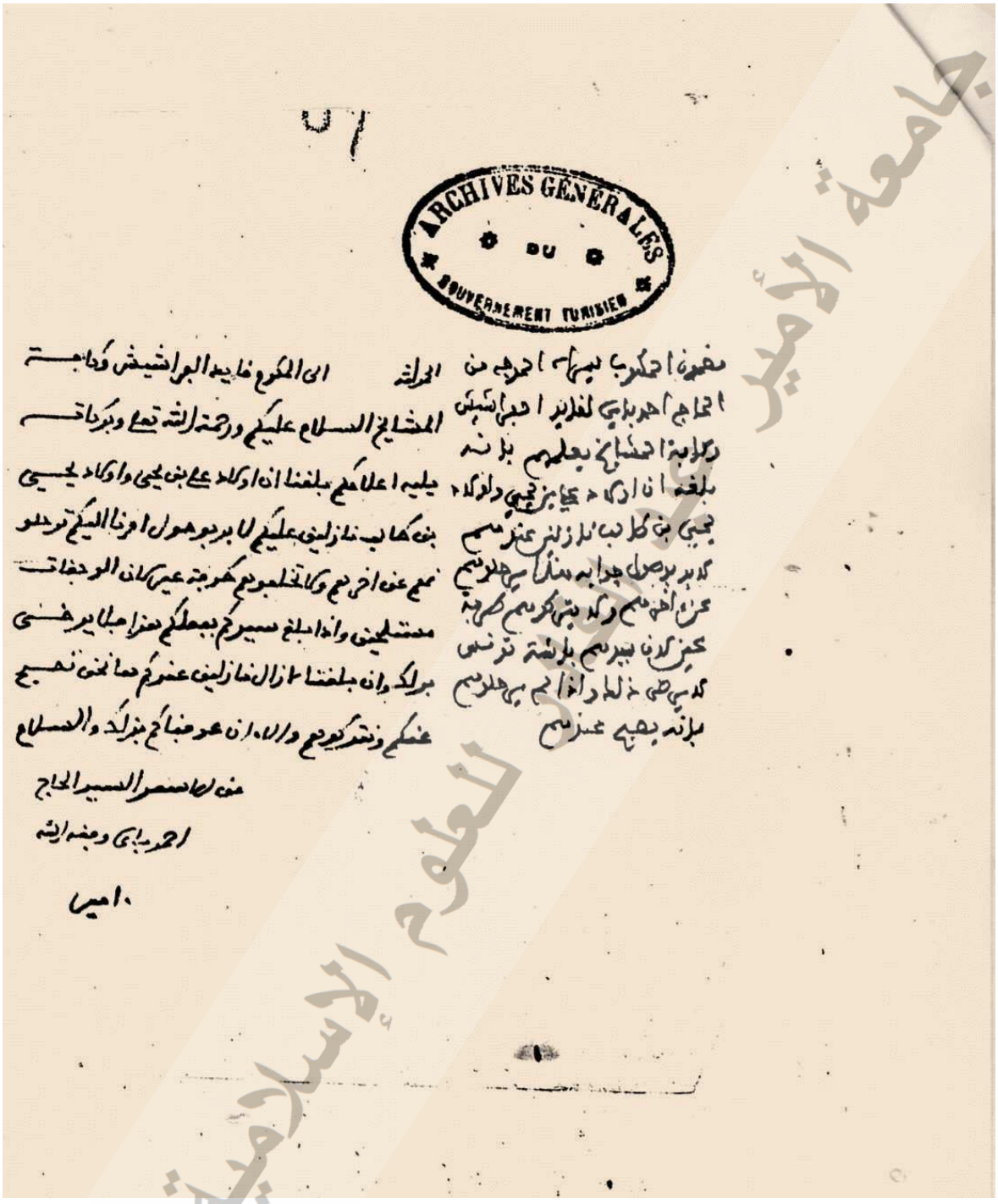

ملف العلاقات التونسية الجزائرية H /223/384/01 (أ.و.ت)

ملحق رقم (32): نسخة من مكتوب وجهه الحاج أحمد باي إلى صالح بن محمد كاهية الكاف يتضمن التنسيق بين الطرفين في تنقل المواشي عبر حدود البلدين بتاريخ 1258هـ.

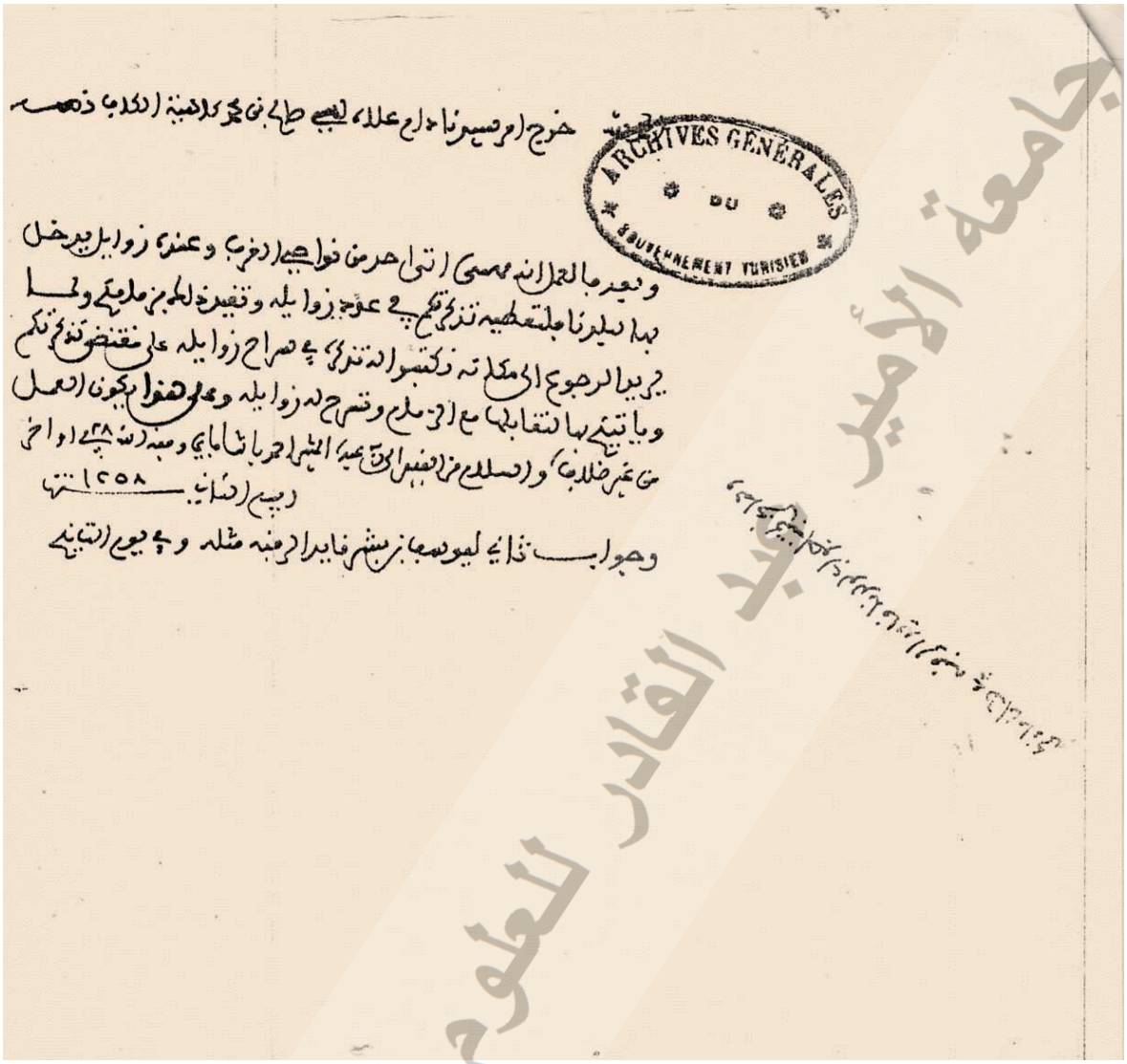

ملف العلاقات التونسية الجزائرية H /223/384/01 (أ.و.ت)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم (33): نسخة لمكتوب من أهل المنعة إلى السيد صالح بن محمد يخبروه فيه بأنهم محاصرون من طرف أولاد سيدي بوغانم بعدما أخذوا غنمهم وحاصوا زرعهم وقطعوا عليهم الماء بتاريخ 1268هـ

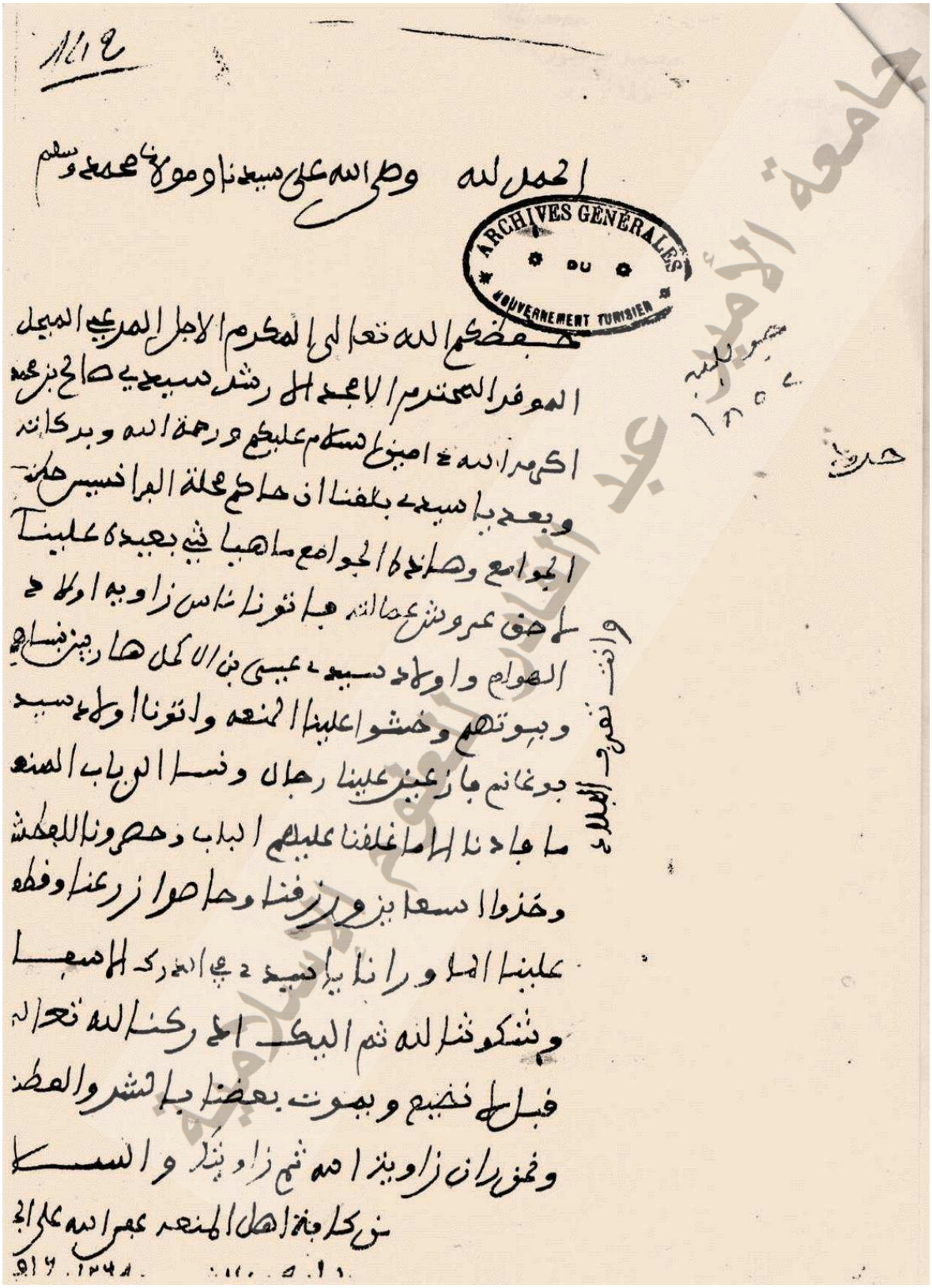

ملف العلاقات التونسية الجزائرية H /223/384/01 (أ.و.ت)

ملحق رقم (34): صور ملتقطة من زيارات ميدانية

صورة ميدانية رقم (01):موضع خنقة سيدي ناجي ووادي العرب بالأوراس

صورة ميدانية رقم (02): المدرسة الناصرية يحاذيها مسجد سيدي المبارك بخنقة سيدي ناجي

صورة ميدانية رقم (03):من بقايا خنقة سيدي ناجي

صورة ميدانية رقم (04):زاوية سيدي علي بن عمر الرحمانية العثمانية بطولقة ولاية بسكرة

صورة ميدانية رقم (05): طاحونة من بقايا حصن الباستيون ضواحي القالة

صورة ميدانية رقم (06):مخازن من بقايا حصن الباستيون ضواحي القالة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا : فهرس الأعلام والقبائل

- أ-

إبراهيم الغرياني : 79

إبراهيم الجديدي : 79

إبراهيم بن بوزيان : 44

إبراهيم بن وديان : 33

ابن أبي الضياف : 46، 50، 81

ابن أبي دينار: 14، 28، 43، 50، 51، 55، 59، 66، 76، 112

ابن العطار: 12، 64

ابن خلدون: 18، 19، 24، 40، 41

ابن صخري : 43

ابن عيسى (أسرة): 40

ابن غانية الميورقي : 19، 39

ابن واشكون (قبيلة) : 33

أبو الكرم بن فضال : 33

أبي محمد الحسن (سلطان) : 49، 50

أحمد التليلي : 101، 104، 105، 109

أحمد الشريف الزهار : 78

أحمد المناعي : 44

...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

احمد بن الحاج : 30

أحمد بن جلاب : 108

أحمد بن مخلوف الشابي : 48، 49، 50، 59

أحمد بن صخري : 85، 86

أحمد باي : 37

أحمد خوجة : 79

أحمد الغوث التباسي التوزري : 49

إسماعيل بن يوسف : 33

آل لومولييني (أسرة): 103

الأعشاش (قبيلة):99، 111

ألفار قوميز زكال : 30

أندري نوشي : 81

أهل الجديرة (قبيلة): 33

أهل الجرف (قبيلة): 33

أهل ماجور (قبيلة) :70

أهل يزليطن (قبيلة): 33

أولاد بليل : 51، 82، 83

أولاد بن شياح (قبيلة) : 35

أولاد بوغانم (قبيلة) : 34، 38، 39، 49، 51، 59، 62،107، 116

أولاد حناش (قبيلة) : 29

أولاد خيار (قبيلة) :34، 36، 37،89، 99، 111

أولاد خيري (قبيلة): 73

أولاد دهان (قبيلة) :89

أولاد ذياب (قبيلة): 85

أولاد رشاش (قبيلة) : 36 ،95

أولاد رزاق (قبيلة): 59

أولاد زايد (قبيلة): 62

أولاد سديرة (قبيلة) : 34، 38، 39

أولاد سعيد (قبيلة) : 15، 51، 59، 62، 70، 76، 82

أولاد سبع (قبيلة) : 31

أولاد سلام (أسرة) : 38

أولاد سيدي عيسى (قبيلة) : 35

أولاد سيدي تليل (قبيلة) : 101 ،105، 113

أولاد سيدي يحي بن طالب (قبيلة):05، 34،36، 52، 76، 113،116

أولاد صاولة (قبيلة): 31، 63، 75، 82، 113

أولاد ضحية (قبيلة): 34، 35، 36، 37

أولاد علي (قبيلة) :34، 36

أولاد عيار (قبيلة) : 15

أولاد عيايشة (قبيلة): 36

أولاد عيسى (قبيلة) : 31

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولاد مانع (قبيلة): 59، 62

أولاد مسعود (قبيلة): 50

أولاد مؤمن (قبيلة): 35، 70

أولاد يعقوب (قبيلة): 30، 63

- ب -

بابار (قبيلة): 33، 61، 74

بايصونال: 04، 06، 11، 14، 45، 78، 99، 103، 109

بن شنوف (قبيلة): 62، 75، 76، 82

بن بوعلاق الحناشي : 97

البرارشة (قبيلة): 36

برناردينو ديمندوزا : 30

بعرة بن حناش : 18

بلقاسم بن منصر بن عبد الإله الحناشي : 97

بني بربار : 35، 49، 60، 62

بني حفص : 54، 55، 56، 67

بني جلاب : 108

بني زنداي (أسرة) : 38

بني زيد (قبيلة) :15

بني سقوال (أسرة): 38

بني سليم (قبيلة):18، 20، 21، 22، 23، 48

بني سليمان (قبيلة): 70

بني صالح (قبيلة):70

بني عرعار (قبيلة): 70

بني غواصي (قبيلة) : 70

بني مازن (قبيلة): 34

بني مراد (أسرة) : 40

بني مسلم (قبيلة) : 36

بني معمري (أسرة) : 38

بني هلال (قبيلة) : 18، 22،23

بني يخزر (قبيلة) : 39

بو حنك باي : 111

بوزيان الشابي : 91، 92

بوغانم (زاوية) :105

بوكمية باي : 109، 110

بولعابة (زاوية) :105

- ﴿ -

تاج العارفين : 79

تزغدانة (قبيلة) : 39

- ﴿ -

ثابت بن شنوف : 76

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ح -

حراث (زاوية) :105

حراكتة (قبيلة) : 31،07، 34، 36، 40، 49، 60، 62،95

حسن بن جربوع : 33

الحسينيين (أسرة) : 41، 99

حسين بن علي باي (تونس) : 99، 100

الحسين الورتلاني : 14، 101، 102. 109

حسن الوزان :06، 12، 52، 66

حمودة ابن عبد العزيز : 28، 107

حمودة باشا (تونس): 81، 82، 87، 88، 89، 91، 92

حناش : 19

حناش بن عبد الله الصنعاني : 21، 22

حناش بن ونيفن : 39، 40

- خ -

سيدي خالد (زاوية) :105

الخباتنة (قبيلة) :89

الخمار الحناشي : 97

خمامسة (قبيلة): 113

الخمير (قبيلة) : 34، 38، 49، 51، 59، 62، 70، 95

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خير الدين بربروس : 29، 30، 53، 54

- د -

درغوث باشا : 31، 57، 59، 60، 67

دريد (قبيلة): 33، 38، 39، 51، 62، 73، 85، 88،92 ، 95

ديفونتان : 11، 78

دي كوكييل : 87

- ذ -

الذواودة (قبيلة): 13، 31، 42، 51، 63، 64، 65، 74

- ر -

الربايع (قبيلة): 76

الرزقي بن عمارة الرشاشي : 95

الرقاقمة (قبيلة):107

- ز -

الزركشي : 19، 24

الزغالمة (قبيلة) : 34، 38، 39، 59، 70، 77، 113،116

الزمول (قبيلة) : 77

زناتة (قبيلة): 73

- س -

سدرة (قبيلة) : 39

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سعادنية (قبيلة) : 70

سعد بن علي : 33

سعد بن بوحميد الحناشي : 97

السعيد بوزيان : 44

سلاوة (قبيلة) : 89

سنان باشا : 66، 67

سيدي عبيد (قبيلة) : 33، 36، 52، 65، 66، 101، 105

- ش -

شاشار (قبيلة): 61

شارل فيرو : 19، 20، 21، 23، 25، 29، 59، 85، 119

شاركان : 30، 54، 55

شارن (قبيلة) : 34، 38، 39، 49، 51، 59، 62، 107، 113

شعبان باي (قسنطينة) : 97

شنوف الشلي : 111

شيايعة (قبيلة) : 04

شيمسات(قبيلة): 73

- ص -

صالح باي : 46

صالح علواني : 119

صانصون نابليون : 84

- خ -

ضيف الله بن أبي الفضل : 33

ضيف الله بن منصور : 33

- ط -

طرود (قبيلة) : 51، 53، 60، 62، 71، 92

طوماس شو:02 ، 06، 07، 11 ، 12، 14، 77، 78، 103 ،106، 109

- ع -

عابد بن سعيد :37

عامر سلطان (قبيلة) : 97

عبد الحفيظ الخنقي : 101، 104،105

عبد الصمد الشابي : 58، 59، 60، 61، 63، 67، 69، 70، 72، 73،92

عبد العالي النفطي : 105

عبد القادر الفاسي : 101

عبد الكريم الفكون : 79

عبد الله المرداسي : 53

عبد الله بن أحمد بن المهدي : 30

عبد الله بن السودة : 31

عبد الملك السناني : 88

عبيد بن سعد الغلوسي : 33

عثمان داي (تونس) : 69

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عداسة (قبيلة) : 22، 23

العدواني : 24، 37، 59، 60، 69، 70، 72، 112

العطافي : 44

عقبة بن نافع : 23

عرفة بن أحمد بن مخلوف الشابي : 33، 48، 49، 50، 53، 53، 56

العرابي بن عزوز الحناشي : 97

عزوز بن عمارة بن دالية : 111

العلاونة (قبيلة) :36

علي الحناشي : 82 ، 88

علي النوري الصفاقصي : 100

علي بتشين : 84

علي باي (قبيلة) : 91 ، 93

علي باي تونس : 46

علي بن بهلول : 44

عمارة العداسي : 112

العمامرة(قبيلة) :100

عمر بن الخطاب رضي الله عنه : 21

عمر بن بوزيان : 44

عمر بن نصير : 33

عيسى الحركاتي : 95

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- غ -

الغرابة (قبيلة): 34

الغلالسة (قبيلة):69

الغنام بن منذر الحناشي : 70 ، 71

- ف -

الفراشيش (قبيلة): 38، 39، 49، 51، 52، 62، 77، 81، 101، 105، 107

فرناند دو غونزاغ : 56

- ق -

قرفة (قبيلة) :34، 36، 40، 70، 71، 113،116

القرمانلية (أسرة) : 41

قطوفة (قبيلة) :39

قماش بن مسعود الشابي : 50

- ك -

كاريت : 24

كعوب (قبيلة) : 48

- ل -

لموتونة (قبيلة) : 50

- م -

ماجر (قبيلة) : 101

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مارسيل أتاردو : 77

مارمول كاربخال : 54، 55

مبارك بن قاسم بن ناجي: 72، 73، 74

مبارك بن عبد الله البباري : 33

المبراز سعيد : 70

محمد الزفزاف : 57

محمد باي : 06

محمد بن السعدي : 117

محمد بن أبي الهادي: 33

محمد بن أبي الطيب الشابي : 56، 57

محمد بن صالح رايس : 58

محمد بن عبد الله : 33

محمد بن عبد الرحمان : 44

محمد بن عبد ربه : 33

محمدبن عمر الشهراوي : 105

المراديين (أسرة): 41، 99، 100

مراد باي (تونس): 43 ، 69، 71،91

مراد باي بوشواطة (تونس): 78

مراد باي كورسو (تونس):77

مراد باي (قسنطينة) :84 ، 85

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مرداس (قبيلة) : 30، 49، 53، 56، 62، 76

المرداسي بن ناصر: 31

المسعود الشابي : 60، 61،68

المشاعلة (قبيلة): 35

مصطفى انجليز : 15

مصطفى باي : 81

المقناح (قبيلة) : 35

مهونة (قبيلة) : 34، 36، 37

الموهوب بن محمد بن سلطان : 44

- ن -

ناجي (سيدي) : 72

الناظور (قبيلة) : 34، 36، 37

النبايل (قبيلة) : 34، 35، 37، 49، 51، 62

نصر بن أحمد المقتعي الحناشي : 49

نصر بن بدية البابارى : 33

نصر بن علي : 44

نفزاوة (قبيلة) : 70، 113

نمامشة (قبيلة) :07، 13، 31، 34، 36، 51، 52، 60، 61، 62، 65، 66، 76، 95

نهد (قبيلة) : 59، 62، 70، 73، 85، 95، 99، 103 ، 105، 111

نور الدين بن إبراهيم : 33

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- هـ -

هابنسترايت : 11، 109، 110

الهمامة (قبيلة) : 59، 62، 76، 105

هوارة (قبيلة) : 12، 18، 19، 20، 21، 23، 31، 39، 40

- و -

ورغة (قبيلة): 38، 39، 49، 51، 62، 77

وشتاتة (قبيلة) : 04، 34، 38

ويلان (قبيلة) : 34، 36،37

وينفن (قبيلة) : 19، 59

- ي -

يفرن بن حناش : 18

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا : فهرس الأماكن والدول

- أ-

أحمد بن يوسف (زاوية): 116

أرق : 32، 78، 80

أزمير : 113

اسطنبول : 68، 113

افريقية : 18

الأوراس : 22، 23، 34، 49، 52، 56، 74، 89 ، 100،101

انجلترا : 104

أوربا : 92

أوكس : 95

- ب-

الباب العالي : 41، 68

بابار: 13

بئر العاتر : 53

باجة : 69، 70، 71، 82

بادس : 72

الباستيون الفرنسي (الجزائر) : 13، 56، 84، 87، 88، 92 ، 102، 103، 106

الباستيون (تونس) : 55

باغاي: 13، 59

البحر المتوسط : 52،92

بحيرة الأرنب : 65

بجاية : 31

بسباس (وادي):07

بسكرة : 13، 30، 57، 63، 66،101 ، 113

بكارية : 104

بلاد الرحل : 23

بلاد أولاد الشيخ : 15

بني صالح : 08

بوحجار : 32

بورجم (وادي) : 07

بومرزوق (وادي) :63، 64، 66، 67، 77

بو موجة (وادي):07

بوهاشم (وادي) : 07

بيار سطل : 15

- ت -

تاغاست : 11.

تاملوكة : 15.

تبرسق : 15، 49، 57، 82

تبسة : 07، 08، 13، 15، 16، 19، 21، 23، 31، 32، 34، 36، 53، 58، 59، 60، 64، 68، 69، 92، 95

تستور : 15

تلمسان : 33، 113

التل: 52، 58، 59، 64

التل العلوي : 39،51

توزر:57، 59، 74، 96،113

توقرت : 72

تيفاش : 04، 05، 07، 11، 12، 13، 15، 16، 52، 54، 55

التيطري : 113

- ج -

جربة : 66، 87، 113

الجريد : 52، 56، 59، 65، 66، 68، 70، 71، 74،87، 94 ، 95، 96، 101 ، 111، 113

- ح -

الحامة (الفحص الأبيض) : 86

الحاميز(جبل) : 02

حفرة الحنانشة : 32، 64

حلق الوادي : 67

الحمام (وادي) : 07، 15

حمة الباي (مسجد) : 48

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمري (وادي) :07

الحوت (وادي) :15

- خ -

خسران (وادي): 65

خميسة : 06، 07 ، 11

خنشلة : 60، 61

خنقة سيدي ناجي : 16، 73، 74، 100، 101،102،104، 111،105

- د -

الدخلة :06، 53

دير (جبل) : 15

- ر -

رأس نيقرو : 103

الرومل (وادي): 69، 70

- ز -

الزاب : 52، 62، 71، 72، 73،101، 113

زريبة الواد : 73، 111

زعرورية : 08

زغالمة (وادي):13

زغوان : 113

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الزيبان : 34

- س -

ساحة النخيل : 72

السباسب العليا أو السفلى : 39، 52، 56، 101

سردياس (وادي): 07

السلسلة الظهرية : 38

السلوقية : 53، 70، 77

سليان (وادي): 13

سطيف : 63، 86

السواحل الشمالية : 52، 56

سوق أهراس : 23، 49، 50

سور بن نور : 15

سوف : 60، 68، 76

سيار : 61

سيبوس : 08

سيدي عقبة : 113

سيراط (وادي) : 02،07، 12، 14،19، 70، 80، 81، 89

- ش -

شاشار: 60، 74، 96

الشابة : 48

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشابية (زاوية) : 116

الشارف(وادي) :04، 15

الشاوية : 22

شبرو(وادي) :07، 12

الشرق الجزائري ، 58

الشوك (وادي) :07

- ص -

الصحراء : 51، 52، 55، 56، 57، 58، 59، 64، 65، 95، 108

صفاقص : 82 ، 113

صنعاء : 21

- ط -

طبرقة : 13، 38، 76، 103، 106

طرابلس : 18، 20، 21،31، 33، 53، 57، 113

- ع -

عبيدة : 71

عنابة : 08، 12، 13، 16، 30، 31، 52، 53، 56،101، 10

العرب (وادي):73

العرق (وادي): 106

عمارة بن العداسي : 89

عين ببوش : 15

عين برناز (غابة): 64

عين البيضاء : 64.

عين الحجر : 92

عين شبرو : 58، 59، 64، 69

عين الكليل (وادي):07

- غ-

غار الملح : 06.

غنام بن امبارك بن فارح (قرية): 68.

- ف-

فج مراو : 46.

فريانة : 13، 16، 23، 101،104، 106،109،111.

فرينة (جبل) : 04.

- ق-

قابس : 70

القالة:04، 08، 11، 13، 32، 56، 84، 95، 99، 103 ، 104 ، 110

قالمة: 12، 16، 34، 37

قصر الباي : 65

قصر الطير : 63

قفصة : 16، 82، 105

قريون (جبل) :77

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القسطنطينية : 29، 112

قسنطينة: 12، 13، 14، 15، 21، 31، 50، 52، 58، 63، 64، 65، 66، 74، 77، 79،84، 85، 91، 94، 98، 100، 102، 104 ، 106، 110،116، 119

القصرين : 105

القطار: 11، 12، 15، 16

القلب (جبل) :07

قليل(جبل) : 04

قلتة الزرقة : 15

قلعة سنان : 05، 12، 13، 15، 21، 22، 32، 34 ، 41، 75، 80، 116، 117

قلعة صنعان : 21، 22

قنيفيدة (وادي):07

القيروان : 15، 23، 48، 49، 51، 52، 53، 56، 57، 58، 59، 60، 67، 68، 82، 107،113

- ك -

الكاف : 07، 12، 13، 15، 69، 70، 71، 75، 76، 80، 82، 94، 104 ، 113

الكرص (وادي):07

كيسة (وادي):07

كوسة: 12

كوينين : 68

- م -

متيجة : 113

مجاز الباب : 15

مجردة (وادي):04،05، 06، 07، 08، 13، 15، 37، 39، 49

مجاز العزري:08

محمل : 13

مداوروش: 07، 11

المدينة المنورة : 113

مرماجنة : 19

مستغانم : 113

مسكانة (وادي):02، 07، 12، 95

مسيد(جبل): 06

معسكر : 113

مصر : 23، 113

ملاق (وادي) :07، 15، 16، 80

مقنعية : 49

مكة المكرمة : 113

مليانة : 116

منقوب (وادي):07

المنية : 86

المهدية : 48 ، 57

.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ن -

نادر شداد : 73

نفطة : 16، 34، 101، 113

نقرين (واحة): 65

نيني : 13

- هـ -

هنشير ماطر : 108

هنشير زريو : 108

- و -

وادي ريغ : 108

وسلات (جبل): 94، 107

ورقلة : 72

- ي -

اليمن : 21

يوكوس : 13

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا : فهرس الجداول

محتوى الجدول ..... ص

طرق ومسالك بين الجزائر وتونس عبر نفوذ الحنانشة..... 15

رصد لبعض المصادر والدراسات ورأيها في أصول الحنانشة..... 24

قبائل إيالة الجزائر ضمن كنفدرالية الحنانشة.....35

فرعا حنانشة إبراهيم ومحمد بن سلطان مع بعض موظفيهم.....44

مكاسب الشابية من أقاليم وأتباع من وراء تحالفها مع كنفدرالية الحنانشة.....62

ضرائب فرضتها السلطة التونسية على عناصر من الحنانشة..... 97

قيم ونسب استفادة الحنانشة بفرعيها من إحسانات بايات تونس..... 116

إحسان من بايات تونس لقلعة سنان.....117

تدفقات مالية من الخزينة التونسية لحنانشة إبراهيم بن بوعزيز.....120

تدفقات مالية من الخزينة التونسية لحنانشة محمد بن سلطان.....123

رابعا : فهرس الأشكال البيانية

أعمدة بيانية لمساحات صالحة للزراعة بمجال الحنانشة بالجزائر.....05

أعمدة بيانية لاهم الغابات التي انتشرت بمجال الحنانشة بالجزائر.....09

أعمدة بيانية لنصيب فرعي الحنانشة من إحسانات بايات قسنطينة.....115

دائرة نسبية تبين حجم استفادة فئات من قلعة سنان من تدفق الأموال والعملة التونسية..... 119

منحنى بياني يوضح حجم توزيع التدفقات المالية من الخزينة التونسية نحو فرعي الحنانشة.....126

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا : فهرس الخرائط

المجال الجغرافي للحنانشة بالجزائر..... 03

طرق ومسالك بين إيالتي الجزائر وتونس عبر كنفدرالية الحنانشة 17

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا /الوثائـق الغير منشورة

01- المكتبة الوطنية الجزائرية

-المجموعة رقم 1641

الوثائق رقم:06،18،32،36،44،45،71،72،79،87،108،109،128،130.

- المجموعة رقم 1642

الوثائق رقم: 15،18،19،23،25،26،29.

02- مصلحة أرشيف ولاية قسنطينة

- صور لمراسلات أصولها بالأرشيف الوطني التونسي

الوثائق رقم :38،113،114،117 .

03- الأرشيف الوطني التـونســـي

2009- السجلات الإدارية والدفاتر الجبائية

- الدفتر رقم 01
- الدفتر رقم 1769
- الدفتر رقم 2070
- الدفتر رقم 2144
- الدفتر رقم 2145

ب- ملف العلاقات التونسية الجزائرية تحت رقم :H/223/384/01

04- المديرية الجهوية لمسح الأراضي – قسنطينة –

-Procès – verbaux du Sénatus –Consulte

-Tribu Hannencha. N° 138

-Tribu Ouled Khiar.N° 220

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-Tribu Ouillen. N° 179

-Tribu Ouled sidi Yahia ben Taleb. N° 238

-Tribu Ouled Dhia. N° 208

-Tribu Ouled sidi Abid. N° 237

-Tribu Zenatia. N° 176

-Tribu Behira Thouila. N° 23

-Tribu Chiebna. N°107

-Tribu Souarakh. N°264

-Tribu Lakhdar- Aouaoucha. N°150

-Tribu Ouled Ali Achicha. N°186

ثانيا /الـــــوثائــق المطبوعـة

01- معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619- 1830م، نشر وترجمة قنان جمال، دار هومة، الجزائر،2010.

02- كراسات الأرشيف، وثائق من القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي، الأرشيف الوطني التونسي 2009.

03- Devoulx Albert, *Tachrifat: Recueil de Notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger*, imprimerie du gouvernement, Alger, 1852.

04- Plantet Eugène, *Correspondance des Dey d'Alger avec la cour de France (1579-1833)*,Paris.1889,vol.02.

05- De Card Rouard ,*Traités de la France avec les pays de l'Afrique du Nord, Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc*, A. Pédone, Paris,1906.

ثالثا /النصوص المطبوعـة

01- ابن أبي الضياف (أحمد،ت 1291هـ/1874م):إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس1963. ج. 01-03.

02- ابن أبي دينار(أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني،ت 1091هـ/1698م):المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس،تحقيق وتعليق محمد شمام ، المكتبة العتيقة،تونس،1961.

03- ابن خلدون (عبد الرحمان، ت808هـ/1046م):مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية،بيروت د.ت.

04- ابن خلدون (عبد الرحمان) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار مؤسسة جمال للطباعة والنشر،بيروت،1979، مج.06.

05- ابن عبد العزيز (حمودة،ت 1202هـ/1788م) :الكتاب الباشي،تحقيق الشيخ محمد ماضور :قسم السيرة الدار التونسية للنشر ،تونس ،1970.ج1.

06- ابن المبارك ابن العطار(أحمد، ت1286هـ/1870م): تاريخ بلد قسنطينة، نشر عبد الله حمادي،دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة،2011.

07- ابن عثمان (حمدان خوجة،ت مابين 1840 و 1845هـ/1256 و1261 م) :المرآة، نشر محمد العربي الزبيري،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، 1982.

08- الإدريسي(أبو عبد الله بن محمد، ت 560 هـ/1165م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،تحقيقمجموعة من المحققين،مكتبة الثقافة الدينية، مصر،د.ت.

09- الزهار(أحمد الشريف، ت1246م/1830م): مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1168هـ-1276هـ/1754م-1830م)،تحقيق أحمد توفيق المدني ،ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1980.

10- الزركشي (أبي عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤ،تبعد 894هـ/1489م):تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة،تونس،1866.

11- العدواني (محمد بن محمد بن عمر، ت النصف الثاني من القرن الـ 11هـ/17م): تاريخ العدواني، تحقيق أبو القاسم سعد الله،ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2005.

12- العنتري (صالح، ت1286-87هـ/1870م): مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،1974.

13- العنتري (صالح):فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة نشر يحي بوعزيز، دار هومة،الجزائر،2005.

14- العياشي (أبي سالم عبد الله، ت 1090هـ/1679م):ماء الموائد المشهورة بالرحلة العياشية،المغرب الأقصى،1898،ج.1.2 .

15- الفكون (عبد الكريم، ت 1073هـ/1662م):منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية تحقيق أبو القاسم سعد الله ،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،1987.

16- الورتلاني (الحسين بن محمد، ت 1193-94هـ/1779م) : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورتلانية،تحقيق ونشر محمد ابن أبي شنب،مطبعة بيير فونتانا الشرقية،الجزائر،1908 ج1،2.

17- الوزير السراج الأندلسي (محمد بن محمد، ت 1149هـ/36-1737م) :الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ،نشر دار الغرب الإسلامي،بيروت،1984.

18- الوزان الفاسي (الحسن بن محمد،المعروف بليون الإفريقي، ت 957هـ/1550م):وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر،ط2،دار الغرب الإسلامي،بيروت 1983.

19- مارمول كربخال (ت بعد 978-79هـ/ 1571م):إفريقيا،ترجمة عن الاسبانية محمد حجي وآخرون مكتبة المعارف،الرباط،1984، ج1.

20- مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، نشر الزبيري محمد العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1973.

21- هابنسترايت.ج.أو.رحلة العالم الألماني.ج.أو.هابنسترايت،إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)،ترجمة ناصر الدين سعيدوني،دار الغرب الإسلامي،تونس،2008.

22- Rozet.M ,*Voyage dans la Régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique* , Arthus Bertrand, Paris,1833. T.2 .

23- Ministre de la Guerre ,*Tableau de la situation des établissement française dans l'Algérie* , imprimerie Royale, Paris, vol,1 ,(1838),3,(1840)

24- Peyssonnel et Desfontaines ,*Voyages dans la régence de Tunis et Alger* .publié par M.Dureau de la Malle. Gide. Paris.1838.

25- Pierre Dan ,*Histoire de Barbarie et des corsaires des royaumes et des villes d'Alger, de Tunis* ,Paris,1637.

26- Shaw Thomas ,*Voyage dans la régence d'Alger au 18e siècle* .Traduit de l'anglais par E.Mac Carthy.1830. grand Alger livres. Alger.2006.

27- Venture de Paradis Jean Michel , *Alger Au 18 siècle (1788-1790)*.grand Alger livres .Alger.2006.

رابعا /المـــــــراجع

أ- باللغة العربية والمعربة

01- ابن أشنهو عبد اللطيف:التكون والتخلف في الجزائر،محاولة لدراسة التنمية الرأسمالية في الجزائر (1830-1962 م)، ترجمة نخبة من الأساتذة،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1979.

02- ابن سليمان فاطمة: الايالة التونسية بين القرنين 16م و19م نشأة المجال،دكتوراه في التاريخ،جامعة تونس، 2001-2000.

03- الإمام رشاد: سياسة حمودة باشا في تونس 1782 – 1814م، منشورات الجامعة التونسية،تونس 1980.

04- الإمام رشاد« سياسة حمودة باشا الحسيني في المجال التجاري » ،المجلة التارخية المغربية،02(1974)،ص ص .83- 88.

05- الباهي مبروك: القبيلة في تونس في العهد الحديث (ق16هـ-19م) من بداية بداوة الجمل إلى بداوة الخروف والحوز، السباسب الوسطى مثالا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،صفاقس،2005.

06- التميمي عبد الجليل:بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي –الجزائر وتونس وليبيا –1816-1821منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني زغوان،1985.

07- إلتر سامح عزيز:الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا،ترجمة عبد السلام أدهم،دار الفرجاني، القاهرة طرابلس، لندن،1991.

08- الجمعية الناصرية للتنمية الثقافية والاجتماعية لخنقة سيدي ناجي في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602-2002م، بحوث في تاريخها وسكانها وترجمات للبعض من أعلامها، دار الهدى الجزائر، دت.

09-الحناشي محمد علي: الحياة الدينية والعلمية بمدينة الكاف خلال القرنين 18 و 19 ميلادي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ،جامعة تونس، 2004 -2005.

10-الحناشي العربي: الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس من 1640-1740م،شهادة الكفاءة في البحث ،جامعة تونس الأولى،1987-1988.

11- الزبيري محمد العربي:التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين 1792-1830م،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

12- الشابي علي: «مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية »، المجلـــة التاريخيـة المغربية،13 - 14، جانفي (1979)،ص ص. 54–81.

13- الشابي علي : « العلاقات بين الشابية والأتراك أواخر القرن 16م ونهاية القرن 17 م» ، المجلة التاريخية المغربية ،17- 18،(1980)،ص ص.69-89 .

14-الطيفي عادل:زاوية سيدي أحمد التليلي بفريانة تطور المؤسسة والعائلة مابين 1730-1959م،دكتوراه في التاريخ جامعة تونس الأولى ،2000-2001م.

15- الفخفاخ المنصف : موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي، منشورات الأرشيف الوطني التونسي،تونس، 1990.

16-القشاعي -موساوي- فلة: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر،1989-1990 .

17- العوامر ابراهيم محمد الساسي: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،منشورات ثالثة، الأبيار، الجزائر 2007.

18- الماجري الأزهر:قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي)،منشورات كلية الآداب والفنون الإنسانية، منوبة، 2005 .

19- بن السايح أحمد " أضواء على حياة محمد بن عزوز البرجي وأبرز مريديه "، الملتقى الأول للعلامة الشيخ محمد بن عزوز-طولقة-بسكرة ،زاوية الشيخ علي بن عمر،11-12 ربيع الأول 1418هـ المواقف لـ 16-17 جويلية 1997م.

20- بن حادة عبد الرحيم: العثمانيون المؤسسات والاقتصاد والثقافة،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء 2008.

21- بن خروف عمار: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، دار الأمل،الجزائر، د.ت. ج.2.

22- بالحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

23- بوجرة حسين: في الطاعون وبدع الطاعون أو الحراك الفكري والاجتماعي وقضايا التبدع والتحديث في مجال التعامل مع الطاعون بالبلاد التونسية وببلاد المغرب العربي بين منتصف القرن 14م وأواخر القرن 18م أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ ،جامعة تونس الأولى،2004 -2005.

24- بوعزيز يحي: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية،دارالبصائر للنشر والتوزيع،الجزائر2008.

25- كاستال بيار: حوز تبسة ،تعريب، العربي عقون، مطبعة بغيجة حسام، الجزائر،2010 .

26- جوليان شارل أندري: تاريخ افريقيا الشمالية،تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة،تونس،1975،ج2.

27- حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ،ط3،دار الكتب العربية الشرقية،تونس،1373هـ.

28-حماش خليفة إبراهيم : العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798إلى 1830م،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،كلية الآداب جامعة الإسكندرية ،1988م.

29- درياس يمينة: سكة الجزائر في العهد العثماني، دار الحضارة للطباعة والنشر،الجزائر ،2007.

30- زوزو عبد الحميد: الأوراس إبان الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية الاقتصادية والاجتماعية 1837-1939م، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار هومة،الجزائر،2005، ج1.

31- سامعي إسماعيل: أحمد بن يوسف التيفاشي حياته وأثاره، منشورات جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة،2009 م.

32- سعيدوني ناصر الدين : النظام المالي للجزائر فيالفترة العثمانية (1800-1830م)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

33- سعيدوني ناصر الدين: دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية – الفترة الحديثة - دار الغرب الإسلاميبيروت ، 2001.

34- سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية،دراسة وأبحاث في تاريخ الجزائر –العهد العثماني-دار الغرب الإسلامي بيروت، 2000.

35- سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي : الجزائر في التاريخ – العهد العثماني-المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ج.4.

36- سعيدوني ناصر الدين «الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني »،مجلة الأصالة،عدد خاص بمدينة عنابة34- 35، (1976)،ص ص.86 – 109.

37- سعيدوني ناصر الدين «الإنسان الأوراسي وبيئته الخاصة»، مجلة الأصالة،60-61،(197) ص ص.115 – 156.

38- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي،دار الغرب الإسلامي،بيروت 1998، ج1،4.

39- سعد الله أبو القاسم: رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي،ط2،دار الغرب الإسلامي،بيروت1990.

40- شدري معمر رشيدة: العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر،فترة الدايات(1671م-1830)،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر،2005-2006.

41- فيلالي السايح: العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1800-1830م،دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث جامعة قسنطينة ،1982-1983.

42- فيلالي السايح: العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1792-1837م،أطروحة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة قسنطينة ،1997-1998.

43- فيلالي مختار: نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني،دار الفن للطباعة والنشر،باتنة،دت.

44-قشي فاطمة الزهراء : قسنطينة المدينة والمجتمع في المنتصف الأول من القرن 13هـ أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19 م،رسالة دكتوراه في التاريخ ،جامعة تونس الأولى ،1998.

45- قشي فاطمة الزهراء : قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس،قسنطينة،2005.

46- عباد صالح : الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، ط3، دار هومة ، الجزائر،2011.

47- علوش سهيلة، حصن الباستيون الفرنسي والسلطات المحلية في الجزائر العثمانية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة –2005-2006

48- عميراوي احميدة: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي دار البعث، قسنطينة ،دت.

49- مروش المنور: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة، الأسعار والمداخيل، دار القصبة للنشر الجزائر،2009، ج1.

50- مريوش وآخرون: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،الجزائر،2007.

51-معاشي جميلة : الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق من القرن 10هـ إلى 13هـ (16 -19م)، دراسة اجتماعية سياسية، مذكرة ماجستير في التاريخ ،جامعة قسنطينة 1990-1991م.

52- هنية عبد الحميد: تونس العثمانية بناء الدولة والمجال،منشورات تبر الزمان،تونس،2012.

53- هلال عمار: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء،الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر،2007.

54-يوسفي صرهودة: معاملات ومبادلات اقتصادية في قسنطينة أواخر العهد العثماني،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية ،2004-2005م.

ب – باللغة الفرنسية :

55- Alouani Salah ,*Tribus et Marabouts.A'rab et walàya dans l'intérieur de l'Ifriqiya entre le 6e/12e et le 12e/18e*,Academic Fernica, Finlande,2010.

56- Badjadja Abd el kerim , *Les anciennes tribus de l'Est Algérien(1867-1887).*Mémoire de D .E.A en géographie .univ.de Constantine ,1974.

57- Babés Leila, *Tribus ,structures sociales et pouvoir politique dans la province de Constantine sous les Turcs* ,D.E.A.université de droit d'économie et des sciences d'Aix –en-province, France ,1981.

58- Babés Leila, *Mythes d'origine et structures tribales dans le Constantinois sous la domination Turque ,*Essai sur le fondement du pouvoir politique, Thèse pour le doctorat troisième cycle, université Aix –Marseille,1984.

59- Bachrouch Toufik, *Formation sociale barbaresque et pouvoir à Tunis au 18e siècle*, Tunis,1977.

60- Berbrugger Adrien ., « Note relative à la révolte de Ben Sakhri »,*R.A*, 10 , (1866) ,pp.337-352.

61- Boukhobza M'hamed, *l'Agro pastoralisme traditionnel en Algérie, de l'ordre tribal au désordre colonial*, office des Publications Universitaires, Alger,1984.

62- Cambon Henri, *Histoire de la Régence de Tunis,* Berger-Levraut,Paris,1948

63- Carette et Warnier, *Description et division de l'Algérie*, de .L.Hachette, Paris,1847.

64- Chentouf Tayeb ,*Etudes d'histoire de l'Algérie (18e et 19e siècle*),office des publication universitaires, Alger,2004.

65- De Grammont Henri- Delmas ,*Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830*,Bouchene, Paris,2002.

66- De la Primaudaie,Elie ,*Le commerce et la navigation de l'Algérie, avant la conquête française*, Paris, 1861.

67- De Tassy Laugier ,*Histoire du royaume d'Alger avec l'état présent de son gouvernement ,de ses forces de terre et de mer et de ses revenus ,police ,justice, politique et commerce ,* Henri du Sauzet ,Paris.

68- Deport Octave et Copolani Xavier,*les confréries religieuses musulmanes*, Alger,1897.

69- Destry Stephen ,*Histoire d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours,* Paris,1845.
70- Carette Ernest, *Etude des routes suivies par les Arabes dans la partie méridionale de l'Algérie et de la Régence de Tunis* , imprimerie Royale, Paris,1844.
71- Emrit Marcel et Piquois Emil, *La Calle et son histoire* , syndicat d'initiative de la Calle,1951 .
72- Faucon Narcisse ,*La Tunisie avant et depuis l'occupation française histoire et colonisation* , Augustin Challamel ,Paris,1893, T1 .
73- Féraud Charles Louis .,« les Harar seigneurs des Hannencha » ,*R.A* ,18,(1874),pp.22-32 ,119-123,127-149,196-236,281-294.
74- Féraud Charles Louis .,« Corporations de Métiers à Constantine avant la conquête française », *R.A*, 16 ,(1872),pp.451-454.
75- Féraud Charles Laurent .,« Notes sur Tebessa », *R.A*, 18 ,(1874),pp.430 – 473.
76- Féraud Charles Laurent .,«Ain Beida», *R.A*, 16,(1872),pp.402- 419.
77- Féraud Charles Laurent .,« Notes historique sur les tribus de la province de Constantine »,*R.S.A.C* ,(1869) ,pp.20- 45.
78- Gaid Mouloud ,*Chronique des beys de Constantine* ,office des publications universitaires, Alger.(aprés1975).
79- Masqueray Emile.,« Djebel Chechar », *R.A*, 22 ,(1878).pp.26- 48, 127- 144,127- 144- 213, 257- 281.
80- Mercier Ernest , *Histoire de Constantine* ,Merle, Constantine,1903.
81- Mercier Ernest , *Histoire de l'Afrique septentrionale(Berbéris) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830*), Ernest Leroux Paris,1868.
82- Mauroy.M, *Du commerce des peuples de l'Algérie septentrionale dans l'Antiquité ,le moyen âge et les temps modernes compare au commerce des Arabes de nos jours* ,imprimerie de Duverger, Paris,.1845.
83- Monchicourt Charles.,« La frontière algéro-tunisienne dans le Tell et dans la Steppe», *R.A*,82, (1938),pp.31- 59.
84- Monchicourt Charles, *La Région du Haut Tell en Tunisie (Kef, ,Téboursouk,Mactar,Thala)*, Arnand Colin ,Paris.1918.
85- Murati .P .,« le maraboutisme ou la naissance d'une famille ethnique dans la région de Tebessa », *R.A*,80, (1937),pp.256 – 315 .

86- Noushi André, *Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en1919*,Essai d'histoire économique et sociale ,PUF/C.N.R.S ,Paris 1961.
87- Playfair .R.L .,« Visite au pays des Khomairs», *R.A*, 25 ,(1881) ,pp .48-64.
88- Pont Justin., « Etude historique sur les Amamra », *R.S.A.C*,(1868),pp.217-239.
89- Rinn Louis,*Marabouts et Khouans ,étude de l'islam en Algérie*, Adolphe Jordan, Alger,1884.
90- Rinn Louis,*Le royaume d'Alger sous le dernier dey*, grand Alger livres,Alger,2005.
91- Rozet et Carette,*l'Algérie l'univers ou histoire et description de tous les peuples de leurs religions ,mœurs, coutumes etc*., imprimer de l'institut, Paris,1850.
92- Saidouni Nacereddine,*L'Algérois rural a la fin de l'époque ottomane(1791-1830)* ,Dar Al –Gharb Al-islami, Berouth,2001.
93- Seltzer Paule,*Le climat de l'Algérie*, imprimerie la Typo-Litho, Normandie, Paris, 1946.
94- Temimi Abeldjelil ,*Le beylik de Constantine et Hadj Ahmed bey (1830-1837),*Publications de la Revue d'Histoire Maghrébine, Tunis, 1978. vol.1.
95- Vaissiére.A .,« les Ouled- Rechach », *R.A*, 36 ,37 (1892) (1893),pp.207-243,5- 21.
96- Vayssettes Eugène ,Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517à1837, Bouchene, Paris, 2006.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

مقدمـــــــة.....أ

الفصل الأول:

كنفدرالية الحنانشة الحدودية :المجال والنشأة

1-الكنفرالية : دراسة في المجال والمسالك.....02

1.1.الموقــع.....02

1. 2.مورفولوجية المجال.....04

3.1.هيدروغرافيا المجال.....06

4.1.الثروة الغابية والنباتية.....08

5.1.طرق ومحطات 10

2-الأصول : قراءة في نقاش تاريخي.....18

3-كنفدرالية الحنانشة : امتداد في الجزائر ونفوذ نحو تونس.....28

1.3.ميلاد الكنفدرالية.....28

2.3. البنية والمجال.....32

1.2.3.بنيتها القبلية وتوزيعها على التراب الجزائري 34

2.2.3 .بنيتها القبلية وتوزيعها على التراب التونسي 38

3.3. أحرار الحنانشة : شيوخ الكنفدرالية.....39

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني :

العلاقات الثقافية والاقتصادية بين الجزائر وتونس

قبل انقسام مشيخة الحنانشة936هـ /1530 م- 1054هـ / 1644م

1.في عهد الشيخ خالد الكبير (936هـ/1530م – 941هـ/1535م) 48

2.في عهد الشيخ سلطان (941 هـ/1535م – 980هـ/1572م) 54

3.في عهد الشيخ عثمان(980 هـ/1572م – 1029هـ/1620م).....63

4.في عهد الشيخ نصر (1029 هـ/1620م – 1048هـ 1638م).....75

5.في عهد الشيخ خالد الصغير(1048هـ/1638م – 1054هـ/ 1644م).....82

الفصل الثالث :

العلاقات الثقافية والاقتصادية بين الجزائر وتونس

بعد انقسام مشيخة الحنانشة 1054هـ/1644م – 1186هـ/1772م

6.في عهد الشيوخ منصر(فرع منصر) ونصر(فرع نصر) والصغير(فرع نصر)
1054هـ/1644م– 1088هـ/ 1677م.....91

7.في عهد الشيخين الحاج المرداسي (فرع نصر) و سلطان (فرع منصر)
1088هـ/1677م – 1136هـ/1724م.....94

8.في عهد الشيوخ بوعزيز (فرع نصر)،ومحمد (فرع منصر)، وسديرة (فرع نصر)
ورجب (فرع منصر) 1136هـ/1724 م – 1168هـ/1755م.....99

9.في عهد الشيخين محمد (فرع منصر) وإبراهيم (فرع نصر)
1168هـ/ 1755م -1186هـ/1772 م.....112

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة.....127

الملاحق.....130

الفهارس

أولا: فهرس الأعلام والقبائل.....181

ثانيا: فهرس الأماكن والدول.....195

ثالثا: فهرس الجداول.....205

رابعا: فهرس الأشكال البايانية.....205

خامسا: فهرس الخرائط.....206

قائمة المصادر والمراجع.....207

فهرس الموضوعات.....220

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية